الباب الثانى

الخواص التركيبية للجمل
فى رسالة الغفران

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

مدخل إلى دراسة الجمل فى رسالة الغفران

أول ما يبدو بوضوح لدارس لغة **رسالة الغفران** هو ما فى الجمل والتراكيب من امتداد داخلى يتعب القارئ، حتى يكاد يضيع عليه المعنى، فيرغمه أحيانًا على إعادة قراءة الجملة أكثر من مرة، ولكى لا نتخذ، اعتباطيًا، من هذا الانطباع قاعدة، قمنا باستبار، فجمعنا عددًا من آراء أساتذة اللغة العربية بالمشرق والمغرب[1]، حول نصوص من **رسالة الغفران**، كانت النتيجة أن آراءهم تكاد تتفق على تعقيد لغتها، فالقارئ ولو تمكن من تذليل الصعوبات التى ترجع إلى الحشد الهائل من الألفاظ الغريبة، والشواهد وأسماء الأعلام والإشارات التاريخية، لن يصل بسهولة إلى فهم مبين لمضامين الجمل والفقرات. إن عائقًا قويًا يقف دون ذلك، إنه التراكيب اللغوية ذات البنيات المختلفة المتداخلة التى تتطلب من القارئ بذل جهد أكثر مما يبذله مع أى نص آخر.

يمكن أن نرجع صعوبة **الغفران** إلى الإطار الذى وضع فيه أبو العلاء أفكاره، ذلك الإطار الذى يبرز شخصية المؤلف لما تتميز به من إغراقه العميق فى خيالات تخلع على النص ثوبًا من الغموض والتعقيد، فصعوبة النص ترجع بالدرجة الأولى إلى ما فيه من استطرادات طويلة تعترض طرفى الجملة الرئيسية. يبدأ المعرى الحكم ثم يستطرد إلى كلام طويل يبلغ أحيانًا اثنى عشر سطرًا، وأحيانًا أكثر من ذلك قبل أن ينهى الحكم الأول. وهذا ما يؤدى فى بعض المرات إلى ضياع الطرف الآخر للجملة، أو نسيانه فى زحام العبارات المستطردة.

---

(١) من بين من لجأنا إلى الاستنارة بآرائهم الأساتذة: محمد السعيد بدوى رئيس قسم اللغات بالجامعة الامريكيه (القاهرة)، شوقى أمين عضو فى مجمع اللغة العربية (القاهرة)، وعبد الرحمن الحاج صالح مدير معهد اللسنيات (الجزائر)، ومحمود الربداوى أستاذ بكلية الآداب، (دمشق).

فهل مرد ذلك إلى عاهة العمى التى لم تكن تسمح له بالكتابة؟ فأبو العلاء كان يملى، ولا يكتب، ولاشك أن خصائص اللغة المملاة تختلف كثيرًا عن خصائص اللغة المكتوبة. وإن لم يكن الاختلاف بينهما من نوع الاختلاف القائم بين اللغة المكتوبة واللغة المتكلمة فهاتان الأخيرتان، كما يرى (فندريس)، لا تختلطان أبدًا: فـ«اللغة المكتوبة هى الطابع المميز للغات المشتركة. واللغة المشتركة، بطبعها، فى نزاع دائم مع اللغة المتكلمة، لأن هذه الأخيرة تخضع للتأثيرات الفردية، وتميل دائمًا إلى الابتعاد عن المثل الأعلى الذى تحتذيه اللغة المشتركة. واللغة المكتوبة معرضة، بدورها، لضربات اللغة المتكلمة، لأن اللغة المشتركة تعتمد فى مقاومتها على الكتابة، أولاً وقبل كل شىء. ومن جهة أخرى، تستعمل الكتابة فى التعبير عن كثير من اللغات الخاصة، بل لا وجود لبعض هذه اللغات الخاصة إلا فى صورة مكتوبة، ولهذا الاعتبار، أيضًا كان الخلاف بين الكلام والكتابة أمرًا مقررًا ثابتًا»[1].

حقًّا كان أبو العلاء يملى لكنه كان يعلم أن ما يمليه يُكتب بيد يستعيرها. فليس ما يمليه لغة متكلمة، وإنما لغة منطوقة فى نية الكتابة، فكان ولا شك يتحرى اختيار ما يلائم لغة الكتابة. وبالرغم من ذلك فإن عدم تقيده بالكتابة يرمى به فى الانسياب مع الإملاء والانفلات من قيود صور الحروف والكلمات، بل يستمر منطلقًا فيضيع منه جزء أساسى من الجملة.

ولنضرب مثالاً ليتجلى مصداق ما قدمناه. يقول أبو العلاء فى وصف أنهار الجنة التى اعدت لابن القارح:

«وفى تلك الأنهار، أوانٍ على هيئة الطير السابحة، والغانية عن الماء السائحة، فمنها ما هو على صُوَرِ الكَراكىّ، وأخَرُ تُشاكلُ المكاكِى، وعلى خَلق طواويسَ وبَط، فبعضٌ فى الجارية، وبعضٌ فى الشَّطِّ، يَنْبُعُ من أفواهها شَرابٌ، كأنهُ من الرِّقة سَرابٌ، لو جَرع جُرعةً منهُ «الحَكَمىُّ»[2] لحكم أنه الفوزُ القِدَمىُّ، وَشَهِدَ لهُ

(١) انظر: ج فندريس اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص، ص ٤٠٥، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٥٠.

(٢) الحكمى: أبو نواس الحسن بن هانئ الشاعر العباسى.

كلُّ وُصَّافِ الخمرِ، من مُحْدَثٍ فى الزمنِ وعتيقِ الأمر، **أنَّ أصنافَ الأشربةِ** المنسوبة إلى الدار الفانيةِ، كخمرِ «عانة» و«أذْرِعات» وهى مظِنَّةٌ للنُّعَّاتِ، و«غزة»، و«بيتِ راس» و«الفِلَسْطِيَّة» ذوات الأحراس، وما جُلِبَ من «بُصْرى» فى الوسوقِ، تُبْغَى به المرابحةُ عند سُوق، وما ذَخَرهُ «ابنُ بُجْرَةَ» بـ«وَجّ» واعتمد به أوقاتَ الحجِّ، قبل أن تُحَرَّم على الناس القهواتُ، وتحظَرَ لخوفِ اللهِ الشهواتُ.

قال «أبو ذؤيب»[1]:

ولو أنَّ ما عندَ «ابنِ بُجْرَةَ» عندها من الخمر، لم تبْلُلْ لهاتى بناطل

وما اعتصر بـ«صرخد» أو أرض «شبام» لكل ملك غير عبام[2] وما تردد ذكره من كميت «بَابِلَ» و«صَرِيفِينَ» واتُّخذ للأشرافِ المُنيفين، وما عُمِل من أجناس المسكرات، مفوّقاتٍ للشارب ومُوَكِّرات، كالجعة، والبِتْعِ، والمِزْر، والسكركةِ ذاتِ الوِزر، وما وُلِدَ من النخيل لكريم يُعْتَرَف أو بخيل، وما صُنع فى أيام «آدَم» و«شيث» إلى يوم المبعثِ من مُعَجَّل أو مكيث. إذ كانت تلك النُّطفةُ ملِكَةً، لا تَصْلُحُ أن تكونَ برعاياها مُشتبِكة»[3].

وردت فى هذه الفقرة أن واسمها: «**أن أصنافَ الأشربة**» ولم يتبين لنا خبرها، فعرضنا النص على بعض المختصين فى اللغة للاسترشاد بآرائهم، فكان موقفهم منه لا يخلو من استغراب وحيرة بل اختلاف، ويمكننا أن نلخص آراءهم فى موقفين مختلفين، أحدهما للأستاذ عباس حسن[4] الذى يرى أن الخبر ضاع من أبى العلاء، والآخر للأستاذ عبد الوهاب التازى[5] الذى يرى أن الخبر هو الجملة «**إذا كانت تلك النطفة...**» وعلى فرض أننا نأخذ بالرأى الثانى فإن هذا لا يزيل ما تتميز به الجملة العلائية من طول نفس، كما قلنا، فقد فصل بين طرفى الجملة، المسند والمسند إليه، اثنا عشر معطوفًا مفردًا، منها سبعة معطوفات، عبارة عن اسم

---

(١) أبو ذؤيب الهذلى شاعر مخضرم فحل.

(٢) العبام: الغبى، الغليظ الخلقة فى حمق.

(٣) انظر: رسالة الغفران، ص ١٤٩، إلى ١٥٣.

(٤) عضو فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٥) أستاذ فقه اللغة وعميد كلية الآداب بجامعة محمد بن عبد الله بفاس.

موصول، هو «ما» ولكل منها جملة صلة، وجملة أو أكثر حال من الموصول، بالإضافة إلى الاستشهاد ببيت شعر لأبى ذؤيب، فى معرض الحديث عن تحريم الخمر، كل ذلك قبل أن يصل المعرى إلى ما يُظن أنه «مسند» إذ لا يخلو موقع الجملة: «إذ كانت تلك النطفة ملكة لا تصلح أن تكون برعاياها مشتبكة» من غموض واضطراب.

هكذا، يؤدى الاستطراد إلى تداخل القول، خصوصًا حين يعمد أبو العلاء إلى شرح المفردات ثم الاستشهاد على ما شرحه من الألفاظ.

لنأخذ مثالاً آخر على استطراد المعرى، هو تعرضه لشرح لفظة «المحظلة» واستشهاده لذلك بقول للعرب، وشعر لأحد الرجاز، قبل أن يعود إلى سياق حديثه، أى إلى وصف عسل الجنة، يقول:

«ولو خالط منا[1] من عسل الجنان، ما خلقهُ الله سبحانه فى هذه الدارِ الخادعة، كالصابِ، والمَقِر، والسَّلَع والجَعْدَةِ، والشيحِ، والهَبيدِ، لعادَ ذلك كلُّه وغيرُه من المُعقِيات، يُعَدُّ من اللَّذائذ المرتقِيات، فآض ما كره من الصّاب، كأنه المعتصر من المصاب. والمصابِ: قصب السكر. وأمسى (لحدج، وكأنهُ المتَّخَذُ بالأهوازِ، إلا يَكُن السُّكَّرَ، فإنه مُوَازٍ، ولصارت الراعيةُ فى الإبلِ، إذا وجدت الحنظلةَ، أتْحَفَتْ بها السيدةَ المُحْظَلة، وهى التى تعظُمُ عليها الغَيرَةُ، من قولهم: حَظَل نساءَه، إذا أفرط فى الغيرةِ عليهنَّ، قال الراجز:

ولا ترى بعلاً ولاَ حلائلا كَهُ، ولا كهُنَّ إلا حاظِلا

وانقطعت معايشُ أربابِ القَصبِ فى ساحل البحر، وصُنِع من المُرِّ الفالوذُ المُحْكَمُ بلا سِحْرٍ، أى بلا خَدع»[2].

وكثيرًا ما يبدأ أبو العلاء الجملة، ثم يستطرد إلى غيرها، فى نحو ثلاثة أسطر،

---

(١) أبو العلاء هنا يستأنف حديثه عن عسل الجنة بعد أن قطعه استطرادًا بحكاية بيتى «النمر» والتفريع عليها خلال إحدى عشرة صفحة من ص١٥٣ إلى ١٦٤.

المنا: كيل يكال به السمن وغيره.

(٢) رسالة الغفران من ص ١٦٤-١٦٥.

قبل أن يصل إلى نهايتها من ذلك قوله :

« . . . فيهتفُ هاتفٌ :

أتَشْعُرُ أيها العبدُ المغفورُ لهُ، لمَنْ هذا الشعرُ؟

فيقول الشيخُ :

نعم، حدّثَنا أهلُ ثِقَتِنا عن أهل ثِقتِهم، يَتوارثون ذلك كابرًا عن كابر، حتى يَصلُوه بأبى عمرو بن العلاء[١]، فيرويهَ لهم عن أشْيَاخ العرَبِ، حرَشةِ الضبَابِ فى البلادِ الكلدَاتِ وجُناةِ الكَمأةِ[٢] فى مغانى البُدَاة، الذين لم يأكلوا شِيرازَ الألبان، ولم يجعلوا التَّمر فى الثّبان، أنَّ هذا الشعرَ لميمونِ ابن قيسِ بنِ جندَل، أخى بنى ربيعةَ ابن ضُبَيْعةَ بن قيس بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابةَ بنِ صَعبِ بن على بنِ بكْر بن وائل »[٣].

وقد تأتى الجملة فلا ندرى أمعطوفة هى على ما قبلها أم مقطوعة عنه، مثلاً، قوله فى نص سقناه سابقًا :

« ينبعُ من أفواهها (أوانى أنهار الجنة) شرابٌ كأنه من الرقة سَرَابٌ، لو جَرعَ جُرْعةً منه « الحَكَمىُّ » لحكم أنه الفوزُ القِدمىُّ، وشَهِدَ له كلُّ وُصَّافِ الخمرِ من مُحْدَثٍ فى الزمنِ وعتيق الأمر »[٤].

إننا نظل حيارى أمام جملة « وشهد له كل . . » فهل هى معطوفة أم مستأفقة؟

وإذا كانت معطوفة، فعلام عُطفت؟، أعلى جملة « لحكم أنه . . . » أم على سواها؟

ولا شك أن هذا يمزق الفكرة ويفسد وحدة الموضوع، ويعبث بنظم الأسلوب، مما يشتت ذهن القارئ، ويلجئه إلى بذل أقصى جهد فى متابعة الموضوع، وربط أجزائه بعضها ببعض.

---

(١) العالم المشهور فى القراءة واللغة توفى سنة ١٥٤ هـ.

(٢) الكمأة : جمع كمء وقيل اسم جمع، نبات يوجد تحت الأرض لا ساق له ولا عروق، لونه يميل إلى الغبرة.

(٣) رسالة الغفران من ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٤) رسالة الغفران ص ١٤٩.

ورغم كل شيء، فإن القارئ المتفقه الذى يقبل القيام بالجهد اللازم، سيعجب **برسالة الغفران**، مصارعًا العوائق، مثله كمثل «أَلْبَنِي»[١] يتحمل الأخطار وهو يتسلق الجبال لأنه يتصور، مسبقًا، أن بعد الصعوبات لذة الفوز بمتعة الوصول إلى القمة. حقًا، وراء صعوبات لغة **رسالة الغفران**، جاذبية خاصة، شيء ما يفرضها كرائعة من روائع الآداب العربية، فمن المفروض لمن يريد اصطياد الحجل أن يتسلح بالبندقية وبالصبر... وعلى القارئ ألا يقف عند مشكلة الأشكال اللغوية، كما يفعل المناطقة الأرسطيون الذين يهتمون بصورة القياس على حساب مضمون النتيجة. عليه أن يذهب إلى أبعد، إلى الشيء السحرى الكامن فى «**الغفران**» فكما يقول محمد كامل حسين:

«أسلوب أبى العلاء شعرًا ونثرًا، فيه كل ما نعيبه على غيره... وفيه كل ما ينبو عنه الذوق الحديث: فى سجعه تكلف بالغ، وصنعة واضحة، وإغراب وشطط، وفى معانيه تكرار كثير، وله تشبيهات غامضة ملتوية واستعارات بعيدة، وكثيرًا ما يكون فيه إسراف فى إظهار علمه باللغة، فترى فيه كثيرًا من الغريب الذى لم يقصد به إلا غرابته، ولا يستساغ ذلك عند غير أبى العلاء، ولأمر ما نرانا نقبل منه ما لا نقبل من غيره. بل إنا لنقرأ أدب غيره من ذوى الأسلوب الجميل والتشبيهات الجيدة والاستعارات البراقة فلا يثير فينا أدبهم الجميل إلا الملل، وهو ما لا نشعر بشيء منه فى أدب أبى العلاء حتى حين يكون خلوًا من الجمال المألوف»[٢].

ويؤكد كامل حسين خلو أسلوب أبى العلاء من الجمال قائلا:

«لا يرجع تعلقنا به إلى أسلوبه، فأسلوبه ليس جميلا»[٣].

فما السبب فى تعلقنا بأدب أبى العلاء، بالرغم مما نعانيه ونحن نستقرئ نصوصه الممتنعة؟

واضح، كما قلنا سابقًا، أن ما يميز لغة **الغفران** إنما يرجع إلى طبيعة الإملاء،

---

(١) Alpiniste وهو الذى يتسلق جبال «الألب» وأصبحت الكلمة تطلق على كل من له هواية تسلق الجبال العالية.

(٢) **البحوث والمحاضرات**، مجمع اللغة العربية، ص ٢٧، القاهرة، ١٩٦٠-١٩٦١.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٩.

فاللغة المملاة تختلف، حتمًا، عن اللغة المكتوبة. ولعل إعجابنا بهذا الأدب يرجع إلى «ما وراء» النص، إلى البنيات الخاصة بلغة هى «لغة المعرى» الأعمى والفنان الفيلسوف. إن لها صفات خصوصية وأخرى مشتركة، بها يقاس الأدب العالى.

ما هى تلك البنيات الخاصة؟

فى رسالة الغفران قوة غير مرئية (خارج اللغة، تظهر باللغة، بالرغم من صعوبة اللغة)، فيها تكمن براعة أبى العلاء الأدبية. مثلها كمثل القوة المغناطيسية تجذب ولا ترى. كلنا يعرف أن العلوم الطبيعية نفسها تثبت - من بين المسلمات - وجود قوى غير مرئية. حقًا، إن أناقة الأسلوب وسهولة اللغة، ليكونان سحر البيان الذى تنبنى عليه قوة التعبير، وهى الميزة الأساسية لكل أدب، بها يبلغ أحسن المراتب، وبها تتحقق القيم الاتباعية التى تضمن له الخلود.

فالجانب الطريف، فى كل لسان، هو أن يسمح لأى فرد أن يتكلم، وأن يختلف كلامه عن كلام الآخرين، ومع ذلك يحصل تفاهم، كما أن الألسنة تسمح لكل متكلم وصل حدًّا ما من إتقان التراكيب والقدرة على استساغتها، بأن يجعل من كلامه أسلوبًا يميزه، دون أن يخرج عن اللسان وأسسه المتفق عليها[1]. فلغة المعرى ليست لغة ابن المقفع، وإن كانتا معًا من صميم اللسان العربى. ومرجع هذه الظاهرة إلى ما فى اللسان من قوة خلاقة، أو ما يعبر عنه شومسكى «بالقدرة على الإبداع» (La créativité).

إن طبيعة اللغة متصلة بطبيعة المتكلم، بقدر ما هى نابعة عن النظام التركيبى الخاص بهذا اللسان أو بذاك. من هنا، يمكننا أن نؤكد أن لغة أبى العلاء هى نتيجة تلاق بين عبقرية العربية كلسان مع مواهبه الخاصة وتطلعاته. فلا يستغل

(١) «الكلام» (Parole) شخصى، أى عمل تعبيرى فردى، إنه غير «اللسان» (Langue) الذى هو نسق مجتمعى، ضمنه ينظم الكلام، فبدون خضوع الكلام لمعايير اللغة، لا يتم التواصل بين المتكلمين، وحينما يصبح الكلام موضوعًا للتفكير العلمى، يسمى «لغة» (Language).

إن اللغة تتعدى ما هو خاص فردى، إنها القانون العام الذى يهيمن على مجموع الألسنة.

أما اللسان فمحدد زمانيًا، ومكانيًا لما يدخل فيه المتكلمون من «اختراعات» شخصية. فى حين تظل اللغة هى الظاهرة الكبرى التى لا تتغير بتغير الأفراد.

انظر: Maurice carvet, Les structuralismes, P 20-21, Aubier, Paris, 1969.

القدرة على الإبداع اللغوى، إلا من كان مهيئًا لاستثمار إمكاناته الشخصية، بالإضافة إلى تمكن تامٍّ من قواعد اللغة وضوابطها. فلغة المعرى (أى أسلوبه فى الحديث الملفوظ والمقروء) اختراع شخصى مستمر داخل إطار ما. ومدى الاختراع الشخصى فى اللغة أوسع مما يمكن أن نتخيل، فكما يقول (شومسكى) أنه من المؤكد:

«أن عدد الجمل التى يمكن الفرد أن يفهمها مباشرة فى لسانه القومى دون الشعور بأية صعوبة أو أية غرابة، لا يخطر على بال»[1].

وبالفعل، إن النماذج الكلامية الممكنة تفوق، كما قيل، عدد الثوانى التى مر بها تاريخ اللغات الإنسانية. لأن الكلام ضمنيًّا، لا تنتهى إمكاناته. فالفكر المبدع يلعب على الدوام، بالبنيات الموجودة، وبهذا الاستغلال يثرى اللغة ببنيات جديدة، تميز لغة كاتب عن لغة كتاب آخرين.

بهذا الصدد، نطرح سؤالاً ملحًّا، وهو:

أين نضع **رسالة الغفران** بالنسبة للسان العربى؟

هل فى مستوى لغة مؤلفة مكتوبة، باعتبار النص الذى بين أيدينا؟

أم فى مستوى كلام، باعتبارها، عمليًّا، منطوقة، مملاة؟

يبدو لنا أن **الرسالة** نوع خاص يجمع بين مميزات الكلام المملى، وبين خصائص اللغة المكتوبة.

بالرسالة استطرادات أدت إلى فلتات مخلة بتقنية التركيب العربى السليم، كما بيناه سابقًا. وتبدو، واضحة، أيضًا، هلهلة المنهجية التى سار عليها أبو العلاء، ولا شك أن ذلك ناتج عن ارتجال المؤلف لكثير من الفقرات.

ومن أبرز مظاهر الفوضى، فى المنهج والانسياق مع الارتجال، أن المعرى كان يتذرع بأوهى الأسباب ليبث فى تضاعيف **الرسالة** أكثر ما يمكن من القصص والانتقادات والشروح، مما قد يكون فى كثير من الأحوال، بعيد الصلة بالموضوع

(١) N. Chomsky, **Le langage et la pensée**, Paris, Payot, 1930.

الذى يطرقه، فلنتأمل حوار ابن القارح مع أبى هدرش[١].

يطرح أبو العلاء قضايا تتعلق بالأشعار المنسوبة إلى الجن وأخرى لها اتصال بماهية الجن وماهية آدم، وما اختص به كل منهما، وإذا به ينتقل، فجأة، ليقص على لسان الجن إحدى مغامرات هذا الأخير مع بنى آدم، ثم يذيلها بقصيدة رائعة. إثر ذلك، ينتقل أبو العلاء إلى حديث عن الرجم، ويتبعه بقصيدة فى الموضوع تتألف من ستة وستين بيتًا، يسوقها على لسان الجنى[٢]. هكذا تبتعد شاعرية أبى العلاء عن الكتابة المنهجية، وتتغلب ذاكرته الجبارة على الالتزام بوحدة الموضوع كما تفرضه العقلانية.

وبالمناسبة نُذَكِّرُ بحديث أبى العلاء عن دنانير سرقت من ابن القارح: بعد أن يستقصى كثيرًا مما له اتصال بلفظ «دنانير» يفاجئنا باستطراد طويل عن لفظتى «ثمانين» و«سبعين» لمجرد افتراضه أن عدد دنانير ابن القارح قد يفوق الثمانين[٣].

إن **رسالة الغفران** لتزخر بمثل هذه الوثبات التى تخلق، حتمًا، شبه «فوضى منهجية». وقد كان بإمكان أبى العلاء أن يتلافاها لو كان يعيد قراءة ما يكتب، ويشطب ما لا محل له فى السياق، ويقدم ويؤخر ما يقتضى ذلك. رغم هذا، إننا متيقنون أنه راجع ما أملاه قبل أن تودع **الرسالة** «المعزل» العلائى، إلا أنه قام بمراجعة ربما وحيدة، وقطعًا مراجعة سمعية لا بصرية، إذ لم تكن عاهة العمى لتتيح المجال للبصر كى يتضامن مع القلم فيعملا على المزيد من التنظيم. أليس «القلم لسان اليد» كما يقول ابن القارح[٤]: أليس أبو العلا «مستطيع بغيره»، كما يقول عن نفسه[٥].

ولكى يكون ما قدمناه ملموسًا، نسوق نصًّا مقتطفًا من **الرسالة** يصور كيف ينجر أبو العلاء مع الحديث عن شىء إلى استقصاء مختلف معانيه، ومن الحديث

---

(١) أبو هدرش: جنى صادفه ابن القارح فى جنة العفاريت.

(٢) انظر: **رسالة الغفران** من ص ٢٩١ إلى ٣٠٤.

(٣) انظر: **رسالة الغفران** ص ٥٧١.

(٤) انظر: **رسالة الغفران** ص ٦٢.

(٥) **الرسالة**، ص ٥٨٣.

عن لفظة إلى الحديث عن ضدها، فمقابل ضدها... فمثلا من حديث عن «السواد» وما له به أدنى اتصال لفظى أو معنوى، ينتقل أبو العلاء إلى الحديث عن «البياض» كما تقدم أن أشرنا إليه. ثم يندفع من «بياض» إلى «الأبيضين» (= اللبن والماء)، وإلى غير ذلك من المعانى الخاصة بالبياض، وهو مفهوم ساقه عرضًا، إذ لم يكن يقصده أولا، وإنما انساق إليه بطريق تداعى المعانى، ومرة أخرى، ينزلق المعرى من لفظ «الأبيضين» إلى ألفاظ أخرى جانبية، لم تكن لتخطر على بال القارئ، فعندما يذكر صيغة المثنى: «الأبيضين»، يتذكر «الأحامرة» و«الأحمرين». يقول مخاطبًا ابن القارح:

«... وأنَّ فى منزلى لأَسْوَدَ[1] هو أعزُّ علَىَّ منْ عنترةَ على «زبيبة» (...) وحضر[2] (الأسود) فى ناد حضرَهُ الأسودانِ اللذان هما الهَنَمُ والماءُ، والحرَّةُ الغابرةُ والظلماءُ. وإنَّه لَيَنْفِرُ عن الأبْيَضَيْنْ، إذا كانا فى الرَّهَجِ[3] مُعرَّضَين. الأبيضانِ اللذان ينفِرُ منهما: سيفانِ، أو سيفٌ وسِنانٌ، ويَصبرُ عليهما إذا وَجدهما. قال الراجز:

الأبْيَضَـانِ أَبَـردا عـظامى المـاءُ والـفـتّ بـلا إدامِ

ويرتاحُ إليهما فى قول الآخر:

ولكنـهُ يمضى لىَ الحـولُ كلُّهُ ومـالىَ إلا الأَبْيَضَـينِ شرابُ

فأما الأبيضانِ اللذان هما شحمٌ وشباب، فإنما تفرحُ بهما الرِّبابُ، وقد يُبتَهَجُ بهما عند غيرى، فأما أنا فَيَئِسَا من خيرى. وكذلك الأحامرةُ والأحمرانِ[4]، يعجبُ لهما أسَودُ رانٍ، فيتبعهُ حليفُ سِتْرٍ، ما نزل به حادثُ هِتر»[5].

---

(١) يقصد أبو العلاء بـ«أَسْوَد» قلبه.

(٢) يذكر أبو العلاء بعض الأشخاص ممن سموا بأسود، مثل «أبى الأسود الدؤلى»، و«الأسودان» بصيغة المثنى، وإنْ كان يطلق على رجل واحد، هو نبهان بن عمرو بن طىء، وقد أحصينا أربعة عشر شخصًا ممن يحملون هذا الاسم، وذكرهم أبو العلاء بهذا الصدد. ولطول النص، نحيل على رسالة الغفران، من ص ١٣٣ إلى ص ١٣٨.

(٣) الرهج: بسكون الهاء وفتحها، الغبار.

(٤) الأحمران: الخمر واللحم. والأحامرة (بصيغة الجمع): الخمر واللحم والخلوق، وهو نوع من الطيب.

(٥) الرسالة: انظر من ص ١٣٢ إلى ١٣٩.

أترى صنيع أبى العلاء إلى أين يَصِل؟

إن استطراداته تطول جدًّا لأنه يحيط بأطراف الموضوع الفرعى، الهامشى، ولا يكتفى بذلك، بل كل استطراد يسلمه، بتلقائية أحيانًا، وبتكلف، أحيانًا أخرى، إلى استطراد آخر، فآخر.

* * *

لعل التزام أبى العلاء بالسجع، كان له أيضًا الأثر الكبير فى ذلك، ولعمرى إن إتقان السجع خاصية لا تتوفر إلا لمن يحظى بذخيرة لغوية تمكنه من إشباع التعلق بالصنعة والتنميق، فقد شغف المعرى بتحدى منافسيه وخصومه، لا يشعر بإحراج فى إحراجهم «لزوم ما لا يلزم». فالاستطرادات، فى الرسالة، تردد صدى لرغبة فى أعماقه، أنها إبراز الثروة اللغوية الهائلة التى يفخر بها والتى تعكس شخصيته كلغوى مشهور، وأستاذٍ يُؤَم.

* * *

ومن هنا نعود لنؤكد ما قلناه: أين نضع **رسالة الغفران**، ضمن نظام الكلام أم ضمن نظام اللغة العربية؟

لقد أجبنا بأنه أسلوب يجمع بين خصائص كل من المستويين.

غير أنه بالرغم من كل شىء، إن الظواهر الكلامية تظل نادرة إذا قيست بمميزات **رسالة الغفران**، باعتبارها أثرًا «لغويًّا» و«أدبًا فنيًّا» مسطورًا، حرر طبقًا لتقنية التأليف اللغوى الراقى. حقًّا، كان أبو العلاء يملى، ولكن إملاءاته تأتى بعد أن اختمرت فى ذهنه، إنه إملاء بعد تأمل سابق، منسق.

وعندما كان المعرى يملى، كان «يتكلم» طبقًا للغة، أى: «لمعايير تراعى».

إن اللغة، بالنسبة لكل متكلم: «ميزان حركة ووسيلة حياة فى المجتمع[1]».

ففى فترة اختمار ما سَيُمْلَى، كان ذهنُ أبى العلاء منشغلا بالقوالب التى سيفرغ

---

(١) تمام حسان، اللغة العربية، مبناها ومعناها، ص ٣٢، القاهرة ١٩٧٣، انظر كذلك كتابيه مناهج البحث فى اللغة واللغة بين المعيارية والوصفية.

فيها المعانى طبقًا لمقاييس اللغة العربية، أى لأنماط معيارية مشتركة سابقة عن الكلام.

ألم يَرُم أبو العلاء، بالإضافة إلى إبداع قصة سماوية، كتابة رسالة فى اللغة والأدب تحديًا لمراسلة، ابن القارح؟

ألم يكن على علم بأن رسالته الكبيرة الحجم المتنوعة المعانى ستسير فى المجالس الأدبية واللغوية، فى المعرة وحلب وغيرهما من المراكز الثقافية المزدهرة آنذاك؟

ألم يكن المعرى على علم بأن له خصومًا يتربصون به الهفوات، وهو المتضلع فى اللغة، المعتز بقيمته وسعة اطلاعه؟

إذا كان الأمر كذلك، فلِمَ لا يعمل صاحبنا جاهدًا على أن تأتى الغفران فى قمة الآثار الأدبية، وأن تتبوأ أعلى مستويات اللغة، تراكيبَ وألفاظًا؟

هكذا جاءت **الرسالة** تعكس شخص أبى العلاء كأعمى يملى، وكلغوى ماهر يبرع فى الاستعمالات الجيدة، ويعرض مقدرته فى الاطلاع الواسع على المترادفات والألفاظ الغريبة، فجمعت بين فنية الإطار السماوى الروائى، وبين سلامة البنيات اللغوية رغم الارتجال ورغم الشكل الروائى الذى يميزها.

* * *

تحتل **الرسالة**، إذن، موقعًا خاصًا بين الكلام وبين اللغة، فلا يخرج «كلام» المعرى عن كونه عملا حدوده اللغة، فبرغم ما يوجد من اختلاف بين خصائص اللغة والكلام، كما يؤكد فندريس فيما سقناه سابقًا، فإن الصلة تظل وثيقة بينهما. فالكلام كما يرى الأستاذ تمام حسان «سلوك واللغة معايير هذا السلوك. والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط والكلام حركة، واللغة نظام هذه الحركة. والكلام يحس بالسمع نطقًا، والبصر كتابة. واللغة تفهم بالتأمل فى الكلام. فالذى نقوله أو نكتبه كلام، والذى نقول بحسبه ونكتب بحسبه، هو اللغة. فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب، واللغة هى الموصوفة فى كتب القواعد وفقه

اللغة والمعجم ونحوها»[١].

هكذا تمتزج فى أسلوب الرسالة خصائص الكلام بخصائص اللغة ولذلك امتازت التراكيب العلائية بطابع خاص، طابع الامتداد الداخلى.

إن عاهة العمى، حسب ما يقول علماء النفس، تقوى الذهن وتشحذه، فلا يحول دون الأعمى، كما هو الأمر بالنسبة للمبصر، مشهد يلفت نظره، فيقطع عليه الانسياب فى ما هو منشغل به فكريًا، ذلك الانسياب الذى يصاحبه، حتمًا، امتداد فى التراكيب المعبرة.

فلنقرأ صفحة أو صفحات من مؤلفات طه حسين، مثلا، ألا تبرز ظاهرة الجمل الطويلة فيها واضحة؟ بيد أن الأسلوب العلائى يظل ذا ميزة لا نجدها فى أسلوب طه حسين وهى الالتزام المفرط بالإيقاع المعتمد على تداخل التراكيب والألفاظ الغريبة.

ولا غرابة فى ذلك؛ فأبو العلاء كان شغوفًا بالموسيقى حتى إنه أقام فى جنته، مجالس للغناء والطرب، وجمع لها أشهر المغنين والمغنيات[٢]، وقدم لنا مشاهد لرقص الأوز على مختلف الألحان. فالمعرى، كان، يهوى الموسيقى ويتقن ضروبها[٣]. فكأنى به وهو يملى رسالته، يهتز لسجع الألفاظ، وينفعل لتوقيعات التراكيب. فجاءت لذلك جل تراكيب الرسالة، مهما كان عدد عناصرها، موقعة

---

(١) انظر: اللغة العربية: مبناها ومعناها، ص ٣٢. إن التفرقة بين اللغة والكلام ناشئة عن فكرة اللغوى الفرنسى الرائد دسوسور الذى فرق بين مصطلحات ثلاثة وهى:

(أ) «Le Iangage» ويعنى به اللغة كظاهرة إنسانية عامة يتميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات.

(ب) «La langue» ويعنى بها اللغة المعينة كالعربية أو الفرنسية، مثلا، ويقابلها فى العربية مصطلح «اللسان» حسب اختيار الدكتور الأستاذ عبد الصبور شاهين (انظر كتابه: فى علم اللغة العام، ص ٢٩ وما بعدها. ط ٢، القاهرة ١٩٧٧).

(جـ) «Le Parole» وهو اللغة فى مستوى الممارسة الفردية وتقابل مصطلح «الكلام» انظر:

(F. Saussure, cours de linguistique générale, Paris, 1960).

وبهذا الصدد نشير إلى أنه إذا استخدمنا فى هذا البحث «اللغة» فى مقابل «الكلام» فإننا نعنى بها اللغة المعينة المقصودة بكلمة Langue.

(٢) انظر رسالة الغفران ص ٢٧٢.

(٣) انظر رسالة الغفران من ص ٢١٢ إلى ٢١٤. وانظر: كذلك، كتاب أبى العلاء، الفصول والغايات، حيث يتحدث فى فقرات خاصة عن ضروب الموسيقى ومصطلحاتها.

تسير على أنغام مثيرة ما نظن أبا العلاء قد أجهد نفسه لاتقانها.

إن ما يطبع أساليب الرسالة من قوة تدفق الألفاظ، وانسياب التعابير، ومرونة وصل الكلمات بعضها مع بعض، ليدل على تبحر أبي العلاء فى أساليب اللغة وترويضه لها وامتلاكه لزمامها مما جعل الإملاء عنده من أعلى نماذج الكتابة عند المبصرين.

هكذا تظهر لغة المعرى (بالرغم من الصناعة) بعيدة عن التصنع الذى يتجلى عند الكثيرين من المغرمين بالصنعة.

فلنستمع إلى تعقيب أبي العلاء عن براعة «إوزة من أوز الجنة فى الغناء:

«فَإذا تَيَقَّنَ [ابن القارح أن] لها حَذاقة، وعَرَف منها بالعوُد لَبَاقة، هَلَّلَ وكَبَّرَ وأطال حمدَ ربِّه واعتبَرَ، وقال:

ويحَك، أَلَم تكونِي الساعة إِوَزةً طائرة، والله خَلَقَكِ مَهدِيَّةً لا حائرة؟ فمن أينَ لكِ هذا العِلمُ، كأنك لجَذَلِ النفْس خِلْم؟ لو نَشأتِ بينَ مَعْبد وابن سُرَيْجٍ، لما هِجْتِ السامعَ بهذا الهَيْج، فكيفَ نَفَضْتِ بَلَه إوزٍّ، وهزَزت إلى الطربِ أشدَّ الهز؟»[1].

إن ظاهرة الايقاع بين الجمل منتشرة جدًّا، سواء فى «فصل الرحلة» أو فى «فصل الرد على الأسئلة». وإنها كما يبدو، فى النموذج السابق، تقوم على التزام السجع، مهما كلف ذلك أبا العلاء من استعمال للغريب وشرحه.

فمثلا، من حرصه على التلاؤم، قوله «خِلْم» التى تلائم لفظة «علم»، و«سرَيج» و«هَيْج».

ولنستمع إلى نموذج آخر من الفصل الثانى من الرسالة:

«وأَما أبو القَطِران الأَسَدِى - وأَىُّ البشَرِ من الخُطوب مفدِىّ - فصاحبُ غزلٍ وتبطل، وتوفر على الخُردِ وتعَطُّل. وما أَشُكّ أن الشيخ، - أقرَّ الله عينَ الأدبِ

(١) رسالة الغفران، ص ٢١٤.

بالزيادةِ فى عُمرهِ - أشدُّ شَوْقًا إلى «أحمَدَ بن يحيَى»[١]، مع صَمَمه، «وأبى الحسن الأثرَم»[٢]، مع ثرمَه، من «المرارِ بن سَعيد»، عندَ رَجاءِ العدَةِ وخوْف الوعيد، وهو ذلك المتهيِّم إلى «وحشية» وإنْ فَقَدَ لبَيْنِها الحشيّة، وادكَر ثغرًا كالإغْريض، وخدًّا يعدَل بلونِ الإحْريض[٣]، وإنما وُدُّ الغانية خِلابٌ وخدَاع، وللكمدِ فى هَوَاه ابتداعٌ. ولو هَلَكَتْ تلك المرأةُ «والمرارُ» يعيشُ لعَدَّ أنَّه بتَلَفِها نَعِيشُ، لا سِيَّما بعد السِّنِّ العالية، وقُوةِّ النفسِ الآلية. ولعل «أبا القطران» لو مُتِّع بهذه المذكورة ما يكونُ قَدْره مائةَ حِقْبةٍ، على غَيرِ الجَزَع - والرِّقبة، لجازَ أن يَغْرَض من الوِصَال، إذَا عَلِمَ أَنَّ حَبْلَه فى اتصال. ولو نَزَل بها شيْءٌ تَتَغَيَّرُ به عَن العَهْدِ، لَتمنى أن تُقذَفَ إلى غير المهْدِ، لأن ابْنَ آدَمَ بخيلٌ مَلولٌ، تَسرى به إلى المَنيَّة أمُونٌ ذلُول، ولو أصابها العَوَرُ، بعد أَنْ سَكَن عينَها الحَوَر، لظَنَ أن ذلك نبأٌ لا يُغْفَرُ ولا يُكفَّر، فكيفَ يُعْتَبُ على الفَاهِينَ، وينْتقَمُ من القَومِ الساهِين؟ والله، سبحانَه، قد رَفَع ذلك عن ساهٍ ما عَلِم، ونائم إذَا أحَسَّ بالمؤلم أَلِم»[٤].

إن المعرى «فنان» يحترم قواعد اللغة، نحواً وصرفًا وتركيبًا، ولكنه يلتزم بالتعبير ذى النفس الطويل المتسلسل، وكأنه يريد أن يقنع ويبهر بتمكنه من اللغة، ويتحدى اللغويين والمعجميين ويعجزهم. يحترم أبو العلاء اللسان العربى، ويتجاوزه، متصرفًا خلاقًا، فهو يعتبر اللغة معرفة وصناعة، علمًا وفنًا: يأخذ بالمتفق عليه، بكيفية موضوعية كما هو حال العلماء أمام المعطيات الواقعية، ثم يتصرف كالفنان الذى يأخذ عن الطبيعة الألوان والظلال ليعطى لوحة فيها الطبيعة وفيها شىء آخر، شىء من ذاتيته هو. إننا نلمس طابع أبى العلاء فى جميع مؤلفاته، وعلى رأسها الغفران، ذلك الطابع الذى يتجلى واضحاً فى طريقة استعماله للكلمات، وكيفية رصفها، وفى تركيب الجمل ووزنها.

إذن، إن لغة المعرى لغة عالم فنان، ورسالة الغفران كتاب كلاسيكى (اتباعى)

---

(١) تغلب، إمام الكوفيين فى النحو واللغة فى عهده، توفى ببغداد سنة ٢٩١ هـ.

(٢) على بن المغيرة الأثرم، عالم لغوى ونحوى، أخذ عنه ثعلب، توفى سنة ٢٣٢ هـ.

(٣) الإحريض: العصفر عامة، وقيل حب العصفر.

(٤) انظر: الرسالة، ص ٣٩٦-٣٩٧.

من وجهتين، من جانب «علوم» اللغة، ومن الجانب الأدبى، وأعنى فنون القول حيث تتدخل المخيلة، والذوق، والتلميحات اللاذعة، وعنف التعبير، وحنان التعاطف.

إنها للذة كبرى نشعر بها ونحن نردد كثيرًا من فقرات **الرسالة** ونعيش بين أحضان نسيجها الرائق. يقول أبو العلاء فى وصف جارية بالجنة:

«فيأخذُ [ابن القارح] سَفَرجلةً، أو رُمانةً، أو تُفاحةً، أو ما شاءَ الله من الثمار، فيَكسرها، فتخرج منها جاريَة حوراءُ عيناءُ، تَبْرَقُ لِحُسْنِها حُورِيَّاتُ الجِنانِ، فتقول:

مَنْ أنتَ يا عبدَ الله؟

فيقول:

أنا فُلان ابنُ فلانٍ.

فتقول:

إنى أُمَنَّى بِلقائِكَ قَبْلَ أن يَخلُق الله الدُّنيا بأربعَةِ آلافِ سنَة.

فعند ذلك يَسْجدُ إعْظَامًا لله القَدير ويقول:

هذا كما جاء فى الحديثِ: «أعْدَدْتُ لِعبادِىَ المؤمنينَ ما لاعَيْنٌ رَأَت، ولا أُذُنٌ سَمِعت، بَلَه ما أطلْعتُهم عليه»، وبله فى مَعْنى: دَعْ وكيفَ.

ويخطِرُ فى نَفسه، وهو ساجدٌ، أن تلك الجارية على حُسْنِها ضاوِية، فيَرْفَعُ رأسَه من السُّجودِ وقد صار من ورائِها رِدْفٌ يُضاهى كثُبان «عالج» وأنقاءَ الدَّهناءِ وأَرْملةَ يَبْرِينَ وبنى سَعْد، فيُهالُ من قُدْرَةِ الله اللطيفِ الخبير، ويقول:

يا رازِقَ المشرِقَةِ سَنَاها، ومبْلِغَ السائلةِ مُناها، والذى فعلَ ما أعْجَزَ وهالَ ودَعا إلى الحِلم الجُهَّالَ، أَسْأَلُكَ أن تقصُرَ بُوصَ هذه الحُوريةِ على ميلٍ فى ميل، فقد جازَ بها قدرك حدَّ التَّأميل، فيقال له:

أنتَ مخيَّر فى تكوينِ هذه الجاريةِ كما تَشاءُ، فَيقتَصرُ من ذلك على الإرادة»[١].

ونلحظ، كذلك ظاهرة السخرية فى الأسلوب العلائى وقد امتزجت بتلميحات لاذعة فى مشهد شجار الأعشى مع نابغة بنى جعدة، بالجنان[٢].

* * *

يصف بعضهم الشاعر المجيد بأنه «ذو نفس شعرى طويل». وبما أن جمل أبى العلاء مترامية الأطراف، قد يجوز أن نصف المعرى بأنه «ذو نفس تركيبى طويل». فإذا كان غيره يكتفى، مثلاً، بالنعت المفرد فهو تروقه الجمل الوصفية المتتالية، مثل ما نجده فى النص التالى. يقول:

«وأَجْمع مُلحِدٌ ومُهتِدٍ، وناكبٌ عن المحجّةِ ومُقتَدٍ، أَنَّ هذا (الكتابَ) الذِى جاءَ به «محمد»، ﷺ، كتابٌ بهر بالإعجاز، ولقى عَدُوَّه بالإرجَاز[٣]، ما حُذِى عَلَى مِثالٍ ولا أشبه غَرِيبَ الأمثالِ، ما هو من القصيد الموزونِ، ولا الرجز من سهْل وحزون. ولا شاكَل خِطابةَ العرب، ولا سجعَ الكهنة ذوى الأرب. وجاء كالشمس اللائحةِ نوراً للمسَّرةِ والبائحة؛ لو فَهِمهُ الهَضْبُ الراكِدُ لتصدَّعَ، أو الوعولُ المعْصِمَةُ لراق الفَادِرة والصدَع «وتلك الأمثال نَضْرِبُها للناس لعلَّهم يتَفَكَّرون»! وإن الآية منه أو بعض الآية، لتعترِضُ فى أَفصَح كَلِم يقدِر عليه المخلوقون، فتكونُ فيه كالشهاب المتلألِءِ فى جنْحِ غَسَقٍ والزهْرَةِ البادِيةِ فى جُدوبٍ ذات نَسَقٍ»[٤].

هكذا تتعدد الجمل الوصفية للموصوف الواحد، وسنعود إلى دراسة هذه الظاهرة بتفصيل، فى مكان آخر.

كذلك، إذا كان من الكتاب من يميل إلى الحال المفردة، فأبو العلاء يأبى إلا أن تكون «الحال» جملة أو جملاً على العموم، يقول:

---

(١) انظر: الرسالة، من ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٢) انظر: رسالة الغفران، من ص ٢٣١ إلى ص ٢٣٤.

(٣) الرجز: ارتعاد يصيب البعير أو الناقة فيعجزها عن القيام.

(٤) انظر: رسالة الغفران من ص ٤٧٢ إلى ص ٤٧٣.

«إنَّه المسكين قال هذه الأبيات، وبنو آدم فى دار المحن والبَلاءِ، يقبضون من الشدائدِ على السُّلاءَّ[١]، والوالدةُ تخاف المنيَّة على الولَد، ولا يزالُ رُعْبُها فى الخَلَد، والفقْرُ يرْهَبُ ويُتَّقى، والمال يُطَلَبُ ويُسْتَبْقَى، والشَغَبُ موجودٌ والظَّماءُ، والكَمَهُ معروف والكَمَاءُ[٢]، ولم يُكفَفْ لِلغِيَرِ عِنانٌ، ولا سُكِنت بالعفو الجنانُ»[٣].

هكذا تتوالى جمل الحال معطوفًا بعضها على بعض.

وكل هذه القيود أو المكملات، تتكرر فى صورة المفرد وفى صورة الجمل، ويتولد بعضها عن بعض، فتتمدد بذلك الجمل والتراكيب عنده.

من هنا، نؤكد أن التراكيب العلائية جديرة بأن تدرس، ولن تتم هذه الدراسة، إلا إذا حددنا مفهوم الجملة وحصرنا أقسامها لنرى أى أنواع الجمل يكثر استعماله عند أبى العلاء، وما السر فى تفضيله لبعض الأنواع، إلى غير ذلك مما سنراه فى موضعه.

---

(١) السلاء: بالضم شوك النخل، واحدته سلاءة.

(٢) كمىء يكمأ: حفى، كمئت اليد من البرد أو العمل، تشققت فصارت كالكمأة.

(٣) انظر: رسالة الغفران ص ٢٢٥-٢٢٦.

ما الجملة؟

نعنى بدراسة التراكيب إبراز خواصها. أى إحصاء مجموعة من الظاهرات التى يتميز بها البناء الداخلى للجمل، من حيث كونها بسيطة أو مركبة، فعلية أو اسمية، ومن حيث نظام الأجزاء داخلها. وبالتالى معرفة أى الأنواع يطغى على غيره فى النص المدروس.

لذا نرى من المفيد أن نخصص، أولاً: دراسة للجملة وأقسامها عند النحاة القدامى والمحدثين، ثم نعقبه بفصل آخر تطبيقى نتصدى فيه للجمل العلائية وأشكالها.

فما الجملة؟

أولاً: الجملة فى اللغة:

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية، وجدنا ابن منظور فى **لسان العرب** يرى أن الجملة واحدة الجمل، وهى جماعة الشىء. ومنه قولهم أجمل الشىء أى جمعه عن تفرقة. وكذلك أجمل له الحساب. فالجملة جماعة كل شىء بكامله، من الحساب وغيره. قال تعالى:

﴿لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة...﴾[1].

وجاء فى حديث القدر: «كتاب فيه أسماء أهل الجنة والنار أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص».

ويرى ابن منظور أن الحبل الغليظ سمى «جملة» لأنها قوى كثيرة، جمعت فأجملت جملة، ويرجح أن يكون لفظ «جملة» فى اصطلاح النحاة، مشتق من جملة الحبل[2].

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٣٢.

(٢) لسان العرب، مادة «جمل».

يتبنى الزبيدى فى تاج العروس هذا التعريف نفسه، ولكنه يضيف تحليلاً بسيطاً للمفهوم الإصطلاحى «الجملة» يقول:

«ومنه أخذ النحويون الجملة لمركب من كلمتين أسندت إحداهما للأخرى»[1].

مما تقدم نستنتج أن الجملة فى اللغة تعنى الجمع بين شيئين أو أكثر.

فما مفهوم الجملة فى اصطلاح النحاة؟

للإجابة على هذا السؤال سنعرض آراء بعض النحاة العرب القدامى والمحدثين، وكذا آراء بعض علماء اللغة الأوربيين.

ثانيًا: «الجملة» عند النحاة العرب القدامى:

أول صعوبة صادفتنا فى البحث عن تعريف النحاة للجملة هى أننا لم نوفق، فى استقرائنا للكثير مما اطلعنا عليه من المؤلفات النحوية (سواء ما طبع منها أو ما يزال مخطوطًا) إلى الحصول على دراسة وافية للجملة، رغم ما لها من مكانة أساسية فى التركيب.

إن الجملة قوام التعبير وهيكله على اختلاف الأشكال والصيغ، ورغم ذلك لم تنل حظ التوفر على دراسة منفردة، ورغم الجهد العظيم الذى بذله النحاة فى التعرض إليها تبقى فى حاجة إلى المزيد من الدرس وإلى تصنيف مختص، إذ لا يزيد عمل أولئك النحاة الذين برعوا فى لم قواعد النحو وتصنيفها فى الحديث عن الجملة على لمحات عرضية وسريعة ومتفرقة اقتضاها المقام، فى بعض الأبواب، مثل «باب الكلام» «وباب المبتدأ» «وباب الموصول» «وباب الصفة».

ثانى صعوبة هى أن ما عثرنا عليه من المؤلفات التى عقدت للجملة فصلاً منفردًا لم يهتم بتعريف الجملة، بقدر ما اهتم بتحليل أجزائها وسرد أقسامها وأنواعها، ثم إثارة مشكل الاختلاف القائم بين النحاة، عن معرفة ما إذا كان الكلام مرادفًا للجملة، أم هناك فرق بينهما.

---

(١) تاج العروس، جـ٧ ص ٢٦٤.

قد عثرنا على مخطوطات جذبتنا عناوينها[١]. لكن، بعد الاطلاع علمنا أن المراد بلفظ «جمل» هو دراسة الأبواب النحوية المعهودة، التى تتخذ الكلام منطلقًا لها، لبحث الاسم وما يعتريه من بناء وإعراب، وجمع وإفراد، وبحث الفعل وأقسامه، والحرف، . . . دون أن نعثر على دراسة خاصة بالجملة فى حد ذاتها، إلا ما ذكر لمامًا فى بعض الأبواب.

عثرنا كذلك، على مخطوطات متخصصة فى ذكر الحدود النحوية، وهى رسائل مختصرة، بعضها تعرض لذكر حد الجملة[٢] وبعضها الآخر لم يتعرض[٣] كما سنرى.

كل ذلك جعلنا نضطر، إلى استقراء الأبواب التى عقدت لتعريف الكلام. بل وأكثر من ذلك، أخذنا ننتقل، خلال أوتار متشابكة من الفصول والأبواب النحوية، وبين أقواس متداخلة من الشروح والحواشى التى ورد فيها ذكر الجملة، ولو عرضًا، عسانا نحصل على عناصر تنير لنا السبيل وتساعدنا فى التعرف على الجملة عند النحاة العرب القدامى.

كانت مصادرنا فى ذلك متنوعة، منها **الكتاب** لسيبويه، **والمقرب** لابن عصفور، فمصنفات ابن مالك، وما دار حولها من الشروح والحواشى، وكتاب **المغنى** لابن هشام.

فأما **الكتاب** فقد وردت فيه إشارة إلى الفرق بين الكلام والقول أثناء حديث سيبويه عن الأفعال التى تستعمل وتلغى، يقول:

«واعلم أن «قلت» إنما وقعت فى كلام العرب على أن يحكى بها، وإنما يحكى بعد القول ما كان كلامًا لا قولاً. نحو قلت زيد منطلق لأنه يحسن أن تقول: زيد

---

(١) مثل: **الفاخر** فى شرح جمل عبد القاهر الجرجانى، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٢٢٧ (نحو)، **وشرح الجمل الكبيرة** للزجاجى، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٩ (نحو)، **وشرح الجملة وأقسامها (منظومة)**، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٢٩٣ (نحو)، **إصلاح الخلل الواقع فى الجمل**، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١١١٠ (نحو).

(٢) الأزهرى **شرح الحدود فى النحو**، دار الكتب، القاهرة رقم ١٩٥١ (نحو). ابن قاسم المالكى، **شرح حدود الأبدى**، دار الكتب، ١٩٥٠ (نحو). **أرجوزة جزئية فى الحدود النحوية**، دار الكتب، ١٠٠٤ (نحو).

(٣) حسين القصبجى، **ذكر بعض الحقائق النحوية**، دار الكتب ١٠٤ (نحو).

منطلق، ولا تدخل قلت»[١].

ومقتضى هذا كما يقول ابن جنى: «أن الكلام عنده ما كان من الألفاظ قائمًا برأسه مستقلاً بمعناه، وأن القول عنده بخلاف ذلك، إذ لو كانت حال القول عنده حال الكلام لما قدم الفصل بينهما ولما أراك فيه أن الكلام هو الجمل المستقلة بنفسها الغانية عن غيرها»[٢].

فكان الكلام عند سيبويه طبقًا لاستنباط ابن جنى مكوَّنًا من جملة أو جمل ولكن كل جملة تتميز بصفتين هما الاستقلال بحيث تكون (غانية عن غيرها) والإفادة.

وقد نجد عند ابن جنى تحديدًا أكثر لهذا المضمون فى قوله:

«إن الكلام إنما هو فى لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها، المستغنية عن غيرها، وهى التى يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تراكيبها»[٣].

فإذا انتقلنا إلى ابن عصفور نجده يعرف الكلام بقوله:

«الكلام، اصطلاحاً، هو اللفظ المركب وجودًا أو تقديرًا، المعتمد بالوضع»[٤].

ولعل السبب فى افتقادنا لدراسة مفصلة عن الجملة فى التآليف التى تلت **الكتاب** هو أن سيبويه الرائد لم يخصص لها فصلاً، وحيث أن جميع من أتوا بعده اكتفوا بالشرح لما جاء فى الكتاب، لذا لم يأتوا بجديد فى الموضوع. كما أن مصنفات ابن مالك التى كانت حدثاً جديدًا، فى تنظيم جديد لأبواب النحو، لم تتعرض فى باب خاص للجملة، وكل ما تلاها من المصنفات نفتقد فيه هو أيضًا هذه الدراسة، ويبدو أن مرجع ذلك إلى أمرين:

١ - **أولهما**: أن جل النحاة الذين عاصروا ابن مالك، أو جاؤوا بعده لا تخرج

(١) الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، جـ١، ص١٢٢.
(٢) الخصائص، تحقيق محمد على النجار، جـ١، ط٢، ص١٨، ١٩، القاهرة ١٩٥٢.
(٣) المصدر السابق، ص٣٣٢.
(٤) المقرب، جـ١. ص٤٥. بغداد، ١٩٧١.

دراساتهم عن كونها، إما شرحًا لكتابيه، **الكافية والألفية**، وإما شرحًا لشروحهما، وإما حاشية أو تعليقًا على الشرح، ومن الطبيعى أن تنهج هذه التآليف النهج الذى خطه المصنف فى منظومته. وبما أن ابن مالك لم يتعرض لتعريف الجملة، فقد أبى الشراح والمعلقون إلا أن يظلوا مقلدين، يحذون حذوه، أوفياء فى تقيدهم بأبواب وفصول **الألفية والكافية**.

- **ثانيهما**: أن المواقف التى اتخذها الشراح من تعريف ابن مالك للكلام كانت مواقف متنوعة.

فتعريفه الكلام هو:

«ما تضمن كلمتين بالإسناد، ولا يتأتى ذلك إلا فى اسمين أو فى فعل واسم». (**الكافية**، باب الكلام وما يتألف منه).

ويضيف فى مستهل **الألفية**:

«كلامنا لفظ مفيد كاستقم».

وفى التسهيل:

«الكلام ما تضمن من الكلم إسنادًا مفيدًا ومقصودًا لذاته»[1].

إن مواقف الشراح متنوعة. لقد انقسموا أصنافًا، يمثل الصنف الأول كل الذين اعتمدوا فى شرح تعريف الكلام على ما ورد فى **الألفية**، متقيدين بذلك، دون التفات إلى التعريفين الآخرين الموجودين فى **الكافية وفى التسهيل**، فشرحوا مدلول «لفظ» ومدلول «مفيد» شرحًا سريعًا، ولم يتعمقوا فى أغوار مدلولى «الإفادة» و«القصد» وما يدخل تحتهما من أنواع التراكيب، وما يخرج بالتقييد بهما من صور المركبات، ومن ثمة لم يتعرضوا لذكر تعريف الجملة مكتفين بتعريف الكلام. من هؤلاء ابن هشام فى **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، حيث يقول:

---

(١) الأشمونى، حاشية الصبان، قد أفرد بابا أسماه «كلام على تعريف الكلام والكلم والكلمة»، ط. المدارس الملكية، سنة ١٢٩١ هـ.

«الكلام - فى اصطلاح النحويين - عبارة عما اجتمع فيه أمران: اللفظ والإفادة [...] والمراد بالمفيد: ما دل على معنى يحسن السكوت عليه».

ثم ينتقل إلى ذكر أجزاء الكلام:

«وأقل ما يتألف الكلام من اسمين: كـ«زيد قائم» ومن فعل واسم «قام زيد» ومنه «استقم» فإنه من فعل الأمر المنطوق به، ومن ضمير المخاطب المقدر بأنت»[١].

على أن ابن هشام، كما سنرى، قد أفرد بابًا خاصًا بالجملة فى كتابه المغنى. وقد حظى شرح ابن هشام بحاشية للأزهرى، غير أن ما بها من إضافات، فى موضوع تعريف الكلام، يعتبر طفيفاً ولا يتطرق إلى الجملة. يقول الأزهرى معلقًا على شرح ابن هشام لتعريف الكلام.

«الكلام فى نفسه: اللفظ والإفادة. والمراد بالمفيد، هنا، ما دل على معنى يحسن السكوت (من المتكلم) عليه، (أى على ذلك اللفظ بحيث لا يصير السامع منتظرًا لشيء آخر)[٢]. وعلم من تفسير المفيد، بما ذكر أنه لا يحتاج إلى قولهم المركب، لأن المفيد الفائدة المذكورة، يستلزم التركيب. ولا إلى قولهم المقصود، لأن حسن سكوت المتكلم يستدعى أن يكون قاصدًا لما تكلم به».

ثم يذكر الأزهرى مايحترز عنه «بالمفيد» ويجعل منه المركب:

«الإسنادى المسمى به: كبرق نحره، والمعلوم للمخاطب: كالسماء فوقنا». وصور تأليف الكلام عنده ستة:

«اسمان - فعل واسم - فعل واسمان - فعل وثلاثة أسماء - فعل وأربعة أسماء - جملة القسم وجوابه - أو الشرط وجوابه»[٣].

---

(١) ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط ٤، جـ ١، ص ١١، القاهرة، ١٩٥٦.

(٢) ما بين الأقواس من إضافات الأزهرى.

(٣) الأزهرى، التصريح على التوضيح، جـ ١ ص ٢٢، ط. القاهرة، ١٣٢٥هـ.

وقد اعتمد ابن عقيل هذا التقسيم، وجاء بأمثلة لبعض أنواع الصور[١]. ويضيف الأشمونى لما خرج من حد الكلام بقيد الافادة المركب غير المستقل، يقول:

«وخرج باللفظ [...] وبالمفيد المفرد، نحو: زيد، والمركب الإضافى، نحو: غلام زيد، والمركب الإسنادى المعلوم مدلوله ضرورة، كالنار حارة، وغير المستقل كجملة الشرط، نحو: إن قام زيد..»[٢].

يمثل **الصنف الثانى** من الشراح أولئك الذين تناولوا تعريف الكلام فى **الألفية**، على ضوء تعريفى **الكافية والتسهيل**، فذكروا ما يخرج عن حيز الكلام، من الجمل، نتيجة تقييد ابن مالك الإسناد المفيد بكونه «مقصودًا لذاته». وحصروه فى أنواع من الجمل. من هؤلاء الخضرى الذى يرى أن التقييد بـ«المفيد» يغنى عن قوله «المقصود لذاته» لأن هذه الجمل لم تفد لنقص إسنادها بتوقفها على ما هى قيد له»[٣]. كذلك الأشمونى والصبان، إذ يريان أن ابن مالك، فى شرح الكافية، لم يذكر فى حد الكلام «التركيب»، و«القصد» نظراً إلى أن الإفادة تستلزمهما. لكنه، فى **التسهيل**، صرح بهما وزاد فقال:

«لإخراج نحو «قام أبوه» من قولك: «جاءنى الذى قام أبوه»، لأن الإسناد فيه ليس مقصودًا لذاته، بل لتعيين الموصول وتوضيحه. ومثلها الجملة الخبرية والحالية والنعتية»[٤].

ويضيف السيوطى، إلى أنواع الجمل السابقة، جملة الجزاء:

«... ليخرج المقصود لغيره كجملة الصلة والجزاء»[٥].

ويضيف الرضى الجملة القسمية والجملة الشرطية:

---

(١) انظر ابن عقيل، **شرح ألفية ابن مالك**، ص٣ ط. القاهرة، ١٢٨١هـ.

(٢) انظر الأشمونى، **حاشية الصبان**، باب «كلام على تعريف الكلام والكلم والكلمة»، ط. المدارس الملكية، ١٢٩١هـ.

(٣) انظر: الخضرى، **حاشية على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك**، ط٢، مصر، ١٣٠٦هـ.

(٤) انظر: الأشمونى، **حاشية الصبان**، باب «كلام على تعريف الكلام والكلم والكلمة».

(٥) انظر السيوطى، **البهجة المرضية فى شرح الألفية**، ص٤، ط١، المدارس الملكية ١٢٩١هـ.

«وليخرج بقوله المقصود ما تركب به لذاته الإسناد [. . .] الذى فى الجملة القسمية، لأنها لتوكيد جواب القسم، والذى فى الشرطية، لأنها قيد فى الجزاء»[١].

لقد رأينا السيوطى يخرج جملة الجزاء من مفهوم الكلام، فى حين نجد الرضى ينص على أنها كلام، فيضيف بأن جزاء الشرط وجواب القسم كلامان، بخلاف الجملة الشرطية والقسمية[٢].

لكننا نجد صاحب **الفاخر** ينص على خروج الجملة الشرطية عن مفهوم الكلام:

«فخرج به كل ما لم يحسن السكوت عليه مما ذكر، وخرج الشرط بانفراده، والجواب على انفراده»[٣].

الصنف الثالث: هناك فئة أخرى من النحاة، لم تتقيد فى شرح تعريف ابن مالك للكلام بما تقيد به شراح الصنف الثانى، بل طرحوا مشكل تعريف الجملة، فتساءلوا: هل هى والكلام شىء واحد، أم هناك فرق بينهما؟

منهم من يرى أنها تخالف الكلام لكون الإسناد الأصلى فيها قد لا يكون مقصودًا لذاته. ومن هؤلاء الرضى الذى يصرح:

«والفرق بين الجملة والكلام، أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلى، سواء كانت مقصودة لذاتها أولا، كالجملة التى هى خبر المبتدأ [. . .]، والكلام ما تضمن الإسناد الأصلى وكان مقصوداً لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس»[٤].

ومنهم من لا يفرق بين الكلام والجملة، كالزمخشرى الذى يعرف الكلام بأنه:

---

(١) انظر الرضى، **شرح الكافية**، جـ١، ط. اولنمسدر، ١٣١٠هـ.

(٢) نفس المصدر

(٣) انظر **الفاخر فى شرح جمل عبدالقاهر**، مخطوط، دار الكتب، رقم ٢٢٧ (نحو)، ص ٩.

(٤) **شرح الكافية**.

ملاحظة: عاصر ابن مالك، وفرغ من **شرح الكافية** فى سنة ٦٧٣هـ، ويبدو أنه لم يطلع على التسهيل، من ثم أخذ على صاحبه مآخذ منها: إطلاقه «الإسناد» فى تعريف الكلام، من غير قيد كونه «مقصوداً لذاته» كيما يتم التفريق بينه وبين الجملة.

«هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى [. . .] ويسمى الجملة».

ويحصر ابن يعيش الجمل التى تسمى كلامًا فيما كان مفيداً، فيشرح تعريف الزمخشرى للكلام بقوله:

«إنه عبارة عن الجمل المفيدة، وهو جنس لها»[١].

* * *

أما ما اطلعنا عليه من دراسات خاصة بالجملة (خارج نطاق الشروح والحواشى)، فنفتقد فيها، هى كذلك، التعريف الجامع المانع للجملة، كل تلك الدراسات مهتمة، إلى حد بعيد، بالاختلافات القائمة حول جواز تسمية الكلام جملة.

ولعل ابن هشام هو أول من عقد باباً خاصًا بالجملة، وذكر أقسامها وأحكامها. ولقد أعلن، منذ البداية، بل فى عنوان الباب نفسه، عن رأيه فيها:

«شرح الجملة وبيان أن الكلام أخص منها لا مرادف لها»[٢].

فالجملة فى نظره أعم من الكلام.. يقول:

«الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد، ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، كـ «قام زيد»، والمبتدأ وخبر، كـ «زيد قائم»، وما كان بمنزلة أحدهما، نحو «ضُرب اللص»، و «أقائم الزيدان»؟، و«كان زيد قائماً»، و «ظننته قائماً». وبهذا يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين، كما يتوهمه كثير من الناس، وهو ظاهر قولِ صاحب المفصل، فإنه، بعد أن فرغ من حد الكلام، قال: ويسمى الجملة، والصواب أنها أعم منه، إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً، فليس بكلام»[٣].

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشرى، جـ١، ص١٨.

(٢) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، جـ٢، ص٣٧٤، القاهرة.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

لقد اكتفى ابن هشام، فى تعريف الجملة، بالنص على ما تتألف منه، مع ضرب أمثلة لبعض صورها، ثم قارن بين تعريف تام ومحدد للكلام، وتعريف شكلى بالأمثلة للجملة، مستخلصاً من ذلك «أنهما ليسا بمترادفين».

لكن، يبدو لنا، أن ما عرف به الجملة لا يحتوى على أى عنصر يميزها، عن الكلام. فكيف بنى حكمه فى التفريق بينهما على مشار إليه مبهم، وهو ما جاء فى العبارة التالية:

وبهذا يظهر لك...

إن ما «يظهر» له من التعريفين غير ما يظهر لنا، فالأمثلة التى ساقها للجملة مفيدة يحسن السكوت عليها، وهى بذلك نماذج للكلام، حسب تعريفه هو نفسه للكلام، وهو لا يخرج عن تعريف النحاة، كما رأينا.

ومن جهة أخرى، إنه تعريف لا يصلح لأن يتخذ حجة للتفريق بين «جملة» و«كلام»، ولا للرد على الزمخشرى فيما ذهب إليه. فهل يمكننا أن نرمى قول ابن هشام هذا بالغموض والاضطراب؟

أورد ابن هشام حديثاً عن عدد الجمل المعترضة، فى الآيات القرآنية:

﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة، حتى عفوا وقالوا: قد مس آباءنا الضراء والسراء، فأخذناهم بغتة وهو لا يشعرون. ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا، فأخذناهم بما كانوا يكسبون. أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون﴾[1].

فلنتأمل تعليقه على هذه الآيات، عسانا نتعرف على رأيه فى ما تختلف فيه الجملة عن الكلام.

يروى ابن هشام رأى بعض المعترضين على ابن مالك فهم يرون أنه كان عليه أن يعد الجمل الاعتراضية ثلاثاً، ولكن المعترض على ابن مالك، كما يقول

(١) سورة الأعراف، الآيات ٩٥، ٩٧.

ابن هشام : «لا يعد، و«هم لا يشعرون» جملة، لأنها حال مرتبطة بعاملها، وليست مستقلة برأسها، ويعد «لو» وما فى حيزها جملة واحدة [. . .]. ويعد «ولكن كذبوا» جملة و«فأخذناهم بما كانوا يكسبون» كله جملة. وهذا هو التحقيق، ولا ينافى ذلك ما قدمناه فى تفسير الجملة، لأن الكلام هنا ليس فى مطلق الجملة، بل فى الجملة بقيد كونها جملة اعتراض، وتلك لا تكون إلا كلامًا تامًّا»[١].

يبدو أن ابن هشام يطلق «جملة» على كل ما توفر فيه الإسناد الأصلى، سواء كان مستقلا بالإفادة لكونه مقصوداً لذاته، (مثل الجمل الاعتراضية الثلاث التى يصفها بأنها ليست مطلق جملة)[٢] أو غير مستقل بالإفادة لكونه غير مقصود لذاته، مثل جملة الحال «وهم لا يشعرون». فالنوع الأول هو المسمى كلاماً.

وعليه، فالجملة عند ابن هشام، كما يظهر لنا، نوعان : نوع يسميه «**مطلق جملة**» وهو الذى لا يشترط فيه الاستقلال بالفائدة، ونوع «**ليس مطلق جملة**» وهذا يشترط فيه أن يكون كلاماً تامًّا.

ذلك هو رأى ابن هشام فى الجملة، فماذا نجد عند غيره من النحاة؟

يقتصر السيوطى فى «باب الكلام والجملة» على نقل أقوال بعض النحاة، وخاصة ما جاء عند ابن هشام. وسنحاول أن نستخلص رأيه مما فى « باب الألفاظ» حيث يقول :

«تقسيم ما خرج من الفم، إن لم يشتمل على حرف فصوت. وإن اشتمل على حرف ولم يفد معنى، فلفظ. وإن أفاد معنى، فقول، وإن كان مفرداً، فكلمة، أو مركباً من اثنين ولم يفد نسبة مقصودة لذاتها، فجملة، أو أفاد ذاك فكلام»[٣].

يبدو لنا أن السيوطى يخص الجملة بما لا يكون الإسناد فيه مقصوداً لذاته.

---

(١) ابن هشام، المغنى، جـ٢ ص ٣٧٥.

(٢) نشير هنا إلى رأى الدمامينى الذى يعتبر أنه ابتداء من قوله تعالى : «ولو أن [. . .] يكسبون» كلام واحد، لارتباط بعضه ببعض، فالمقصود بالفائدة المجموع، فهو جملة اعتراض واحدة تضمنت جملا (انظر: حاشية الأمير على المغنى).

(٣) السيوطى : **الأشباه والنظائر فى النحو**، جـ٢ ص٢، حيدر آباد، ١٣١٦هـ.

وعلى ذلك، فهى عنده ليست أعم من الكلام، إذ لكل منهما خصائص تميزه عن الآخر.

وقد لا نكون مخطئين إذا قلنا إن السيوطى ينفرد بهذا الرأى، فلم نعثر على نحوى غيره يذهب مذهبه، فى حين نجد جماعة من النحاة يحذون حذو ابن هشام. من هؤلاء، نذكر الأزهرى، وعبد القاهر، فكل منهما يشير إلى الخلاف القائم حول ترادف الجملة والكلام، ثم يذكر حدًّا للجملة لا يخرج مؤداه عما جاء عند ابن هشام.

يقول الأزهرى:

«فحدها (الجملة) القول المركب الإسنادى، أفاد أو لم يفد»[١].

ونجد ابن القاسم يصرح بكون الجملة أعم من الكلام. يقول:

«حد الجملة ما تركب من كلمتين فأكثر، بشرط الإسناد، أفاد أو لم يفد. فهى أعم من الكلام إذ يشترط فيه الإفادة بخلافها. ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط، وجملة الجواب، وليس ذلك بمفيد، فليس كلاماً».[٢]

وقد سلك نفس النهج صاحب **الأرجوزة الجزئية**،[٣]، وصاحب **الفاخر فى شرح جمل عبد القاهر**.[٤] وهذا الأخير لم يتعرض لحد الجملة، فى باب الكلام وإنما استخلصنا رأيه من حديثه عن خبر المبتدأ، حين قال:

«المسألة الرابعة فى تقسيم الخبر، وهو قسمان، مفرد [...] وجملة، وهى ما تضمن جزأين، مسند ومسند إليه».

---

(١) الأزهرى: **شرح الحدود فى النحو**، مخطوط بدار الكتب، رقم ١٩٥١.

(٢) ابن القاسم، **شرح حدود الأبدى**، مخطوط بدار الكتب، رقم ١٩٥٠.

ملاحظة: يبدو أن ما جاء عند كل من الأزهرى وابن القاسم يكاد يكون منقولا حرفيًا عن الدمامينى، فى شرح المغنى، وإن لم يذكر أى واحد منهما أنه نقل عنه. يؤكد هذا تاريخ انتهاء التأليف، فقد أنهى الدمامينى شرحه حوالى سنة ٨١٧هـ، فى حين أن الآخرين أنهيا عملهما سنة ٩٨٠هـ، كما يصرحان بذلك.

(٣) **أرجوزة جزئية فى الحدود النحوية**، مخطوط بدار الكتب، القاهرة، رقم ١٠٠٤.

(٤) مخطوط بدار الكتب ص ٩١، رقم ٢٢٧ (نحو).

كان بودنا أن نتعرف على رأى الزجاجى فى الجملة[١]، غير أن كل ما عثرنا عليه هو ما جاء عند شارح «الجمل» فى حديثه عن الجملة المحكية، يقول:

«المراد بالجمل هنا، ما عمل بعضه فى بعض، فالمحكى فى هذا الباب هو الجملة المنسوبة، كالفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر»[٢].

كما علمنا من خلال ما يأخذه عليه صاحب **إصلاح الخلل الواقع فى الجمل** إنه يفرق بين الفعل وفاعله وبين الجملة، يقول: «واعلم أن الاسم المبتدأ يخبر عنه بأحد أربعة أشياء، باسم هو هو [...] أو بفعل وما اتصل به من فاعل ومفعول كقولك زيد خرج وعبد الله أكرم أخاك وما أشبهه، أو بظرف [...]، وبجملة نحو قولك زيد قائم [...] هذا التقسيم خطأ لأنه جعل الفعل والفاعل وما اتصل بهما قسماً على حدة وأخرجه من الجمل، وحكمه حكم الجمل»[٣].

. تلك هى بعض وجهات النظر التى أدلى بها نحاتنا، منذ بداية استنباط قواعد النحو وضبطها إلى القرن الثانى عشر الهجرى. ومنها نستنتج أن آراءهم فى الجملة ومقارنتها بالكلام تنقسم إلى مذاهب مختلفة، أبرزها أربعة، على أن الاختلاف القائم بينهم اختلاف لا يتعدى أن يكون جزئيًا، إن لم يكن شكليًا:

١ - الكلام مكون من جمل مستقلة فهو أعم من الجملة، وهو مذهب ابن جنى القائم على كلام سيبويه.

٢ - الكلام أخص من الجملة، وهو رأى ابن هشام.

٣ - الكلام هو الجملة، والجملة هى الكلام.

٤ - مذهب لا يقطع أصحابه برأى فيدعون الأمر مبهمًا.

***

(١) يلاحظ أن العنوان «الجمل الكبيرة للزجاجى» رقمه ٤٧٢ بفهرست دار الكتب فى حين نجد أن للمجلد الذى يحمل هذا الرقم عنواناً آخر هو: «شرح التسهيل للمرادى». وفى باب الحكاية، يشير المؤلف إلى أنه سبق له أن تطرق للجملة فى «باب الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر». ولم نعثر على هذا الباب فى المخطوط الذى تمكنا من الاطلاع عليه.

(٢) انظر، شرح الجمل الكبيرة، مخطوط بدار الكتب، نمرة ١٩ (نحو)، «باب الحكاية» ص ٧٩.

(٣) مخطوط بدار الكتب، رقم ١١١٠ (نحو)، ص ٣٠.

قبل أن نتعرض إلى الحديث عن تعريف الجملة عند النحاة العرب المحدثين نود أن نشير إلى أقسام الجملة كما جاءت عند النحاة العرب المتقدمين.

يبدو أن الدراسات اللغوية والنحوية التى سادت حتى عهود متأخرة كانت ترتكز على المفهوم الإسنادى، ويعتبر ابن هشام أول من أفرد أنواع الجملة بقسم خاص من كتابه المغنى، وبما أن الجملة تتكون من مسند ومسند إليه، أساسًا، وقد تنضاف إليهما متعلقات فهى بهذا الاعتبار، لا تخرج عنده كما عند النحاة قبله عن كونها:

أولاً: فعلية، أو اسمية، أو شبه جملة.

ثانيًا: صغرى، أو كبرى.

لكن ابن هشام لم يقف عند ذلك، بل أضاف تقسيمًا ثالثًا اعتمد فيه على الناحية الوظيفية للجملة. فقسم الجمل حسب موقعها الإعرابى إلى قسمين:

أولاً: الجمل التى لا محل لها من الإعراب، «وهى التى لا تحل محل المفرد»، على حد تعبيره.

ثانيًا: الجمل التى لها محل من الإعراب.

ويدخل تحت كل نوع أصناف شتى من الجمل[1]. ولم يأت النحاة الذين جاءوا بعده بجديد، فى الموضوع، فقد تبنوا كلهم هذا التقسيم.

فما الجملة عند المحدثين؟ ذاك ما ستجيب عنه الصفحات التالية:

ثالثًا: الجملة عند نحاة العربية المحدثين:

أوردنا، فيما سبق، آراء بعض النحاة العرب القدامى حول تعريف الجملة وما تولد عنها من مناقشات، عقيمة فى بعض الأحيان، وحافزة على بث الكثير من الشروح والتعاليق، أحيانًا أخرى، ضمن مصنفات النحو واللغة والبلاغة.

فلنتجه الآن إلى المحدثين من اللغويين، العرب والغربيين، لنطلع على آرائهم فى تعريف الجملة.

---

(١) انظر، المغنى، جـ٢.

إن الدراسات التى ظهرت حديثًا، فى هذا المجال كثيرة، سنقتصر على بعضها، وسوف لا نقف عند الاعتراضات التى أبداها هؤلاء المحدثون حول الخلاف الناشب بين اللغويين والمناطقة فى مفهوم الجملة، كما لن نتعرض للحديث عن انتقاداتهم لآراء النحويين القدامى، بل سنستنير وحسب، بآرائهم فى تعريف الجملة.

من أوائل اللغويين المحدثين الذين تعرضوا لدراسة الجملة العربية المستشرق الألمانى برجشتراسر، فقد خص فصلاً لدراسة التراكيب فى العربية، غير أننا لا نجد عنده تعريفًا متميزًا للجملة، فقد اكتفى ستراشر فى تحديد الجملة بذكر عناصرها، إذ يقول:

«الجملة هى ما تكون من مسند ومسند إليه»[١]، ثم انتقل إلى الحديث عن أنواعها فقسمها إلى بسيطة ومركبة، وفعلية، واسمية.

ومن بين الدراسات الحديثة، فى الموضوع، نشير، كذلك، إلى الفصل الذى عقده الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه من أسرار اللغة، تحت عنوان: «الجملة العربية أجزاؤها ونظامها»[٢]. وفيه يرى المؤلف أن تعريف الجملة فى لغة ما، يجب أن يستقى من الاستعمال، ومما تواضع الناس على استقلاله بالمعنى فى كل كلام، ثم يعرفها بقوله:

«إن الجملة فى أقصر صورها، هى: أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر».

ويرى أن فى كل لغة يمكن تحليل الكلام إلى كتل تفيد معنى يطمئن إليه السامع، وكل كتلة منها تشتمل:

«فى غالب الأحيان، على ما يسمى بالمسند والمسند إليه وحدهما، وتلك هى الجملة القصيرة التى اكتفى فيها بركنيها الأساسيين، مثل قول إبراهيم، حين رأى

---

(١) التطور النحوى للغة العربية، ص ٨١، القاهرة، ١٩٢٩.

(٢) ص ١٩٠، مكتبة الأنجلو، القاهرة.

القمر بازغًا، «هذا ربى» ثم يضيف: «ولكن الجملة تتضمن فى الأعم الأغلب أمورًا أخرى تطول بها الجملة وتتعقد، مثل قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، خالدين فيها أبدًا﴾

فالمسند إليه هنا قوم معينون من الناس، وقد أسند إليه ما يستحقونه من دخول الجنة والخلود فيها، وقد جاء هذا الإسناد فى صورة من الكلام مطولة معقدة»[١].

هكذا حدد إبراهيم أنيس الجملة وبين أركانها، ثم قسمها، حسب ما تشتمل عليه من عناصر، إلى قصيرة ومطولة معقدة.

نشير إلى دراسة أخرى فى الموضوع قام بها ريمون طحان، فقد عقد، هو أيضًا، فصلا خاصًا بالجملة عنونه بـ«الدراسات الجملية».

يفرق طحان بين الكلام والجملة. فالكلام:

«هو ما تركب من مجموعة متناسقة من المفردات لها معنى مفيد».

أما الجملة فهى: «الصورة اللفظية الصغرى أو الوحدة الكتابية الدنيا للقول أو الكلام الموضوع للفهم والإفهام، وهى تبين أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها فى ذهن المتكلم الذى سعى فى نقلها، حسب قواعد معينة وأساليب شائعة، إلى ذهن السامع»[٢]، ولا ينسى طحان أن ينص على توفر عنصر الإفادة، فى كل من الكلام والجملة، فيضيف:

«ولا يكون الكلام تامًّا والجملة مفيدة إلا إذا روعيت فيهما شروط خاصة منها تعود إلى المنطق، ومنها تعود إلى متطلبات اللغة وقيودها»[٣].

ثم يشير إلى ما يوجد بين الكلمات التى تتألف منها الجملة والكلام المفيد من علاقات صوتية ومعجمية وصرفية ونحوية. ولذلك فإن الجملة تخضع لقواعد أصولية، ويكفى أن نتتبع قواعد معينة لنستطيع فهم وتكوين عدد لا حصر له من الجمل.

---

(١) نفس المصدر، ص ١٩١.

(٢) انظر: **الألسنية العربية، سلسلة الألسنية**، رقم ٢، ص ٤٤، بيروت ١٩٧٢.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

بعد ذلك ينتقل إلى تحليل مستويات وعناصر الجملة، ويذكر أقسامها، وهى عنده بسيطة، أو مركبة أو معقدة[١].

من خلال تلك النماذج، نرى أن التعاريف السابقة للجملة لا تخرج عما رأيناه عند النحاة القدامى وبخاصة سيبويه وابن جنى وأنها استقيت من المصنفات العربية القديمة. فالشيء الجديد فى دراسات الباحثين المحدثين هو تأثرهم باللسنيات الحديثة، والعمل على تبسيط التعابير القديمة المستعملة، فى بعض التعاريف، كيما تتماشى ولغة العصر، فتقترب من الأذهان. إنها محاولة إخضاع قواعد اللغة العربية لمناهج البحث الغربية المعاصرة. على أن هناك بعض النظريات، فى اللسنيات الحديثة، لم يتوصل إليها الغرب إلا حديثًا، ولكنها معروفة عند النحاة واللغويين العرب منذ سيبويه.

بعد هذه الوقفة عند تعريف المحدثين للجملة العربية، ننتقل إلى إلقاء نظرة على تعاريفِ الغربيين للجملة عسانا نصل إلى نظرية متكاملة عن الجملة عمومًا.

رابعًا: الجملة عند النحاة الغربيين:

إن الباحث، فى نحو اللغات الغربية، يجد نفسه أمام تعاريف شتى تختلف فيما بينها. وعلى العموم، إن التعريف الذى يتردد كثيرًا هو أن الجملة:

«مجموعة من الألفاظ، تترتب بطريقة خاصة، وتؤدى معنى يصح السكوت عليه».

وسنكتفى بإيراد بعض تعاريف الجملة، فى اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية.

يرى (مارسيل كرسو) أن:

«الجملة منطوق يعبر عن فعل أو حكم»[٢].

فجملة الفعل، تتطلب لفظًا يمثل فى الذهن موضوع سؤال ما، كما تتطلب لفظًا

---

(١) المصدر السابق، ص ٩٦.

(٢) Marcel cressot, **le style et ses techniques**, P. 25 P. U. F. 1969.

آخر يعين ما يراد قوله عن هذا الموضوع، مثل : «Je me nome le pauvre». (اسمى الفقير).

وفى جملة الحكم يرتبط الموضوع والوصف برابطة (Copule) أى الفعل المساعد، مثل : «Le chien est fidéle» (الكلب مخلص).

ويلاحظ أنه يصرح، دائمًا، **بالرابطة** فى اللغات الهند - أوربية، فى حين يستغنى عنها فى اللغة العربية. فكما يبدو من الجملة المترجمة «الكلب مخلص» أن «est» التى تحتل مكانًا أساسيًا فى بناء الجملة الفرنسية، لم يحتج إليها فى الجملة العربية، والذى يقوم بدور الربط بين المسند والمسند إليه فيها هو علاقة معنوية ملحوظة غير ملفوظة.

نستنتج من هذا أن الجملة فى اللغات الهند - أوربية لا تستغنى عن الفعل أو ما يقوم مقامه ولا تترك الرابطة إلا إذا احتوت الجملة على فعل منطوق يقوم بدور الربط ودور الوصف معًا مثل : «Paul Travaille» (بول يخدم).

ومن جهة أخرى، تتركب الجملة، فى اللغة الفرنسية، من ألفاظ ثانوية تحدد العناصر الأساسية فتَظهَر ظروفًا للفعل أو الحالة أو ما شابه ذلك، مثل : «Aujourd'hui Paul a écrit une longue Lettre à son Pére» . (كتب بول اليوم رسالة طويلة إلى أبيه)، «Le chien est fidéle a son maître» (الكلب مخلص لسيده).

أما فى اللغة الإنجليزية، فقد ساق (فرايز) بعض التعريفات الشائعة للجملة، منها، أن الجملة :

«مجموعة من الكلمات تعبر عن معنى كامل»[١].

وهذا التعريف يتفق مع الرأى السائد بين النحاة العرب القدامى فى شرطهم توفر الفائدة، كما رأينا سابقًا.

أما (بلمفيلد) فيرى أن الجملة : «تركيب أو شكل لا يعد فى الحديث جزءًا من تركيب أو شكل أكبر»[٢].

---

(١) Fries, the structure of Anglish, P 9

(٢) Bloom Field ص ٢، من المصدر السابق.

يذكرنا هذا بما سبق أن رأيناه عند ابن جنى من أن الكلام «عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها، المستغنية عن غيرها وهى التى يسميها أهل هذه الصناعة الجمل، على اختلاف تركيبها».

يعطى (روبير) تعريفًا آخر للجملة هو:

«مجموعة من الكلمات تبدأ بحرف كبير وتنتهى بنقطة»[١].

هل يعتبر هذا تعريفاً؟

ما نظن ذلك، لأنه لا يحتوى على العناصر الضرورية التى تتكون منها «الجملة»، فـ(روبير) لم يدخل فى تعريفه ما يجب أن يؤديه التركيب من معنى مفيد، كما لم يذكر مكونات الجملة، ولا العلاقة بين العناصر التى تتألف منها. فدور الحرف الكبير (Majuscule = حرف التاج) هو أن يدل على بداية الجملة، وأن يأتى، كذلك، فى أوائل الأعلام (الأشخاص، والأمكنة..). أما النقطة، فهى وإن أتت فى آخر الجملة، إلا أنها تدل على نهاية أى محتوى؟ فيكفى أن يقع غلط ما فى وضع النقطة ليصبح القارئ فى متاهة. ثم إن للنقطة استعمالات أخرى منفردة (تأتى، مثلا، بعد الحرف المختصر لكلمة مثل: ج. م. ع.).

إن تعريف الجملة بكونها «كلمات تبدأ بحرف كبير وتنتهى بنقطة»، «تعريف» شكلى محض. وحتى لو قبلناه كتعريف، يظل ذا مفعول فى اللغات الغربية وحسب. فهو لا ينطبق بحال على الجملة العربية لانعدام ظاهرة الحروف الكبيرة والصغيرة فيها. بالإضافة إلى أن الجملة فى العربية لا تنتهى بالنقطة. فالتنقيط والفواصل لم تدخل العربية إلا حديثًا بتأثير الغرب.

بهذا الصدد، تبدو أمامنا ظاهرة عرفتها العربية منذ القديم، وهى ظاهرة الوقف، فإذا لم تكن العربية قد عرفت التنقيط، فإنها تميزت بالوقف. وقد عمل النحاة على إبراز ما يصيب الكلمة من تغير فى حالة الوقف وإنهاء الكلام، وشرحوا الطرق المتعددة المتبعة فى الوقف. ثم أضاف القراء إلى عمل النحاة دراسات

---

(١) Robert, English, syntax P L.

تعرضوا فيها لمواضع الوقف فى آيات القرآن الكريم، وميزوا أنواعًا، منها التام، والحسن. . ولضبط مواضع الوقف وحصر أنواعه، اعتمد النحاة والقراء على معانى الجمل والآيات. فعملوا على المحافظة على الوحدة المعنوية، وعلى تلافى البدأ بما يفسد المعنى، ويفصل بين أواصر الكلمات والعناصر الأساسية التى بها تتم تلك الوحدة المعنوية.

هكذا اجتهد القراء فى تخير مواضع الوقف ووضعوا رموزًا وإشارات فى أواخر الآيات ورؤوسها ليهتدى بها المتعلم، فكان اتفاقهم فى اختيار تلك المواضع مسايرًا لا تفاقهم فى فهم وتفسير الآية. وينتج عن اختلافهم فى الفهم اختلافهم فى تخير مواضع الوقف. وقد روى عن أم سلمة أنها قالت:

«إن النبى ﷺ، كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية، فيقول:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿الحمد لله، رب العالمين﴾ ثم يقف، . . . إلخ»[1].

ولا تهمنا، فى دراستنا هذه طرق الوقف ومصطلحاته كما اتفق عليها النحاة والقراء، ولا ما اختص به أحد الفريقين دون الآخر مما جاء مشروحًا فى مصنفاتهم العديدة، بل الذى يهمنا هو معرفة دور الوقف فى الكلام. أيمكن أن نقارنه بدور النقطة فى اللغات الغربية الحديثة؟

إذا استندنا إلى نظرية من يقول بأن تحريك أواخر الكلمات كان علامة من علامات الوصل فى الكلام، شعرًا ونثرًا، فيكون سقوط الحركة الإعرابية والتزام السكون للوقف علامة على انتهاء الكلام، من ثم قالوا: «العرب لا تقف على متحرك».

أيمكن أن نعتبر وقف المتكلم فى حديثه دليلا على انتهاء جملة؟

أيمكن أن نعتبر سقوط الحركة الإعرابية من آخر كلمة فى عدد ما من الكلمات المرصوفة علامة على انتهاء جملة، وبالتالى نتخذ من ذلك تعريفًا للجملة؟

---

(١) انظر، إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، من ص١٤٢ إلى ص١٦٦.

إذا قارنا بين هذه النتيجة وبين تعريف (روبير) للجملة، نستطيع أن نؤكد : إذا كنا لا نتبين الحرف الكبير ولا النقطة إلا فى **النصوص المكتوبة** باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، مثلا، كذلك لا يمكن أن نتبين مواضع الوقف إلا فى اللغة **العربية المنطوقة**.

أمن الممكن أن نستخلص، من استقصاء الآى المبدوءة برموز الوقف وإشاراته، تعريفًا للجملة يستند إلى ظاهرة الوقف؟ إذا كان ذلك ممكنًا يصبح تعريف «الجملة» هو أنها «الكلام المنتهى بعلامة الوقف» أو بعبارة أخرى، «الكلام الذى تسقط منه حركة الإعراب».

نرى أن هذا تعريف ناقص، وذلك لأن الوقف ظاهرة خاصة باللغة العربية المنطوقة، ولا توجد له إشارات فى العربية المكتوبة، سوى فى القرآن الكريم، فإن كان من الممكن أن نقابل تلك الإشارات بالنقط الموجودة فى النصوص المكتوبة، بلغة غربية حديثة لنتخذها منطلقًا لتحديد الجملة، سوف نكون عاجزين، لأن تلك الإشارات لا يتوفر وجودها فى كل النصوص العربية المكتوبة عمومًا.

***

يبدو، كخلاصة لما سبق، أنه لا يمكن أن يتخذ التنقيط أو الوقف عمدة فى تعريف الجملة لقصور كليهما عن الإيفاء بتعريف جامع مانع.

يبقى أن نختار تعريفًا للجملة يفى بما تتوخاه هذه الدراسة المتواضعة.

إبداء رأينا فى تعريف الجملة

على ضوء التعاريف التى أوردناها للجملة، سواء ما كان منها للعرب أوللغربيين، نستطيع أن نقول إن اللغة، كوسيلة للتواصل، تخضع، حتماً، لعادات البيئة التى تنتمى إليها، كما تخضع وسائل التواصل الأخرى من إشارات ورموز للبيئة التى نشأت فيها[١]. هكذا فإن العادات اللغوية، فى بيئة ما، هى وحدها التى تحدد معنى الجملة حسب استعمالها لها[٢].

كما نستخلص أن تحديد أركان «الجملة» يختلف من فصيلة لغوية إلى فصيلة أخرى. فبينما رأينا أن العربية (وهى تنتمى إلى الفصيلة السامية) تكتفى بالمسند والمسند إليه لتمام الفائدة فى الجملة، علمنا أن الفرنسية والإنجليزية (وهما من الفصيلة الهندية الأوربية) تشترطان، لتمام الفائدة، اشتمال الجملة على مسند ومسند إليه، ثم على «رابطة»، أى فعل مساعد يدل على «العندية» أو «الكينونة» يربط بينهما، إلا أن يكون المسند فعلا، كما بينا فى المثال الفرنسى: (Paul travaille).

بيد أنه بالمقارنة بين تلك التعاريف، نلاحظ أنها جميعاً، تشترك فى اشتراط توفر الجملة على ثلاثة عناصر هى:

١ - التركيب أو الإسناد.
٢ - الاستقلال.
٣ - الإفـادة.

---

(١) نذكر بهذا الصدد حادثة جرت لنا ببلغاريا حيث سألنا أحد المارة عن شيء، فأجاب بكلمة تدل على الإيجاب، وصاحبها بإشارة إذ حرك رأسه من اليمين إلى الشمال، فاختلط علينا الأمر، حيث فهمنا أن هناك تناقضاً بين الكلمة وبين الإشارة، فقد اعتدنا فى المغرب، وفى البلاد العربية عموماً، أن حركة هز الرأس هاته، تعنى النفى، وأن هز الرأس من أعلى إلى أسفل يعنى الإيجاب، فلما استوضحنا ذلك علمنا أن مدلول الإشارة عند البلغاريين هو عكس ما عندنا.

(٢) انظر، إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ١٩١.

بناء على ذلك، يمكننا أن نستقى من مجموع تلك التعاريف، تعريفاً للجملة، سيعتمده هذا البحث:

إن الجملة بناء لغوى يعبر عن معنى كامل، ومستقل، ولا يعتبر جزءاً داخلا فى تركيب لغوى أكبر، وقد تأتى الجملة، كلمة، أو عبارة، أو تركيباً، أو تراكيب.

انطلاقاً من هذا التحديد، نرى لزاماً علينا أن نتعرض لتعريف كل من الكلمة والعبارة والتركيب.

١ - الكلمة:

قام جدل حاد بين اللغويين المحدثين، حين حاولوا تعريف الكلمة، فـ (بلمفيلد) يحددها بقوله:

«أصغر صيغة حرة»، ونلاحظ أن ليس فى ذلك جدة عما جاء عند النحاة العرب القدامى حين عرفها بعضهم بأنها «القول المفرد»، وأضاف آخرون بأنها «لفظ مفرد دل على معنى مفرد».

ويعرفها عباس حسن:

«اللفظة الواحدة التى تتركب من بعض الحروف الهجائية وتدل على معنى جزئى، أى مفرد»[١].

ويعترض تمام حسان على من عرف الكلمة بأنها «لفظ مفرد» أو «قول مفرد»، وذلك لأنه يرى أن هذا التعريف يغفل عن حقيقة الفرق بين الكلمة وبين اللفظ فالفرق بينهما: «هو فرق ما بين اللغة والكلام». كما يرى أن «القول ربما يكون مركبا من أكثر من لفظ واحد وتقاليد التحليل فى اللغة العربية تجعل مقول القول دائماً فى صورة جملة»[٢].

من هذه التعاريف، نستخلص المميزات التى تحدد الكلمة. فالكلمة، على حد تعبير إبراهيم أنيس:

(١) النحو الوافى، جـ ١، ص ١٥، ط ٤. القاهرة.

(٢) اللغة العربية مبناها ومعناها، ص ٣١٧.

«يمكن إفرادها بالنطق، وحذفها من الكلام، وإقحامها فيه، أو الاستعاضة عنها بأخرى»[١].

وهذا ما لا يتوفر مجموعاً، فى الضمير، مثلا.

البناء الداخلى للكلمة.

تعتبر الكلمة من حيث البناء الداخلى أصغر الوحدات البنائية التى تتألف منها اللغة، إذ لا يمكن تحليلها إلى أجزاء تنطق بمفردها.

وتنقسم الكلمة، بحسب ما بها من لواصق، إلى:

(أ) بسيطة: ما تجردت من اللواحق والسوابق، مثل «ولد».

(ب) مركبة: ما تكونت بزيادة لاصقة واحدة، على الأقل، لاحقة كانت أو سابقة. مثل «السيف» إذ تعتبر أداة التعريف سابقة يراد منها التعيين، رغم أنها أضيق اللواصق مجال تطبيق، ومثل «عبدت» لأن تاء التأنيث لاحقة لبيان النوع. وهى من اللواحق المتصلة التى تعتبر أوسع اللواصق مجالا[٢].

التوزيع الموقعى للكلمة (الانفصال والاتصال)

تنقسم الكلمة، حسب الموقع الذى يمكن أن تشغله، إلى قسمين:

(أ) مستقلة، وتسمى أيضاً حرة، وغير مستقلة، وتسمى أيضاً مقيدة.

ويتميز القسم الأول بخصائص، منها أن الكلمة يمكن أن تكون بمفردها جملة، متى وقعت بين سكتتين. يقول حنا ترزى:

«الكلمة الواحدة قد تكون جملة مختزلة نحو «أنا»، جواباً لمن قال: «من ذهب؟»»[٣].

---

(١) دلالة الألفاظ، ص ٣٩، ط ١. القاهرة، ١٩٥٨.

(٢) تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص ١٥٩.

(٣) فى أصول اللغة والنحو، ص ١٩٦، بيروت.

ويطلق عليها (بلمفيلد) : «الجملة الكلمة»، وتلك هى أصغر أشكال الجملة. وعلى حد تعبير إبراهيم أنيس[١] «أقصر صورها».

فإذا سألت الأم أحد أولادها : «من أكل التفاحة»، فأجيب : «عمر» كانت كلمة «عمر»، فى المثال، أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه. ويشيع هذا النوع من الكلمات التى تعد جملا، بمعونة القرائن، فى التراكيب اللغوية الحديثة، وخاصة فى عناوين الصحف والمجلات وبعض اللافتات[٢].

٢ - العبـارة :

بناء لغوى يتألف من كلمتين فأكثر، يوجد بينهما ترابط يجعل منهما وحدة متماسكة يمكن التعويض عنها بكلمة[٣].

وتختلف العبارة، عن التركيب، بكونها لا تستلزم قيام علاقة الإسناد بين طرفيها، الشىء الذى يجب توفره فى التركيب، سواء كان التركيب عبارة عن فعل وفاعل، أو مبتدأ وخبر، أو فعل ونائب فاعل.

ويدخل، تحت العبارة، أصناف شتى منها :

١ - المضاف والمضاف إليه مثل : غلام محمد.

٢ - الاسم وتوابعه من :

(أ) نعت، مثل : الرسالة التى توصلت بها.
(ب) توكيد، مثل : الكاتب نفسه.
(جـ) عطف، مثل : محمد وعلى.
(د) بدل، مثل : الخليفة عمر.

---

(١) من أسرار اللغة، ص ١٩٦.

(٢) انظر : الخواص التركيبية للجملة فى اللغة العربية كما تمثلها لغة الصحافة المعاصرة (مخطوط رسالة قدمها بكلية دار العلوم محمد حسن عبد العزيز، ١٩٧٥) القاهرة.

(٣) انظر : الخواص التركيبية للهجة أم درمان العربية (مخطوط رسالة قدمها بكلية دار العلوم، القاهرة، كمال إبراهيم بدرى).

البناء الداخلى للعبارة :

تنقسم العبارة إلى قسمين :

١ - العبارة غير الفعلية : وهى كل بناء مركب يمكن استبداله بكلمة اسمية. وتشمل :

(أ) العبارة الإسمية. مثل : كتاب سيبويه.
(ب) العبارة الظرفية. مثل : فوق الكرسى.
(جـ) شبه الجملة. مثل : على الطاولة.

٢ - العبارة الفعلية : وهى كل بناء مركب يمكن استبداله بكلمة فعلية.

يسمى الجزء الأول فى العبارة، الرأس، والجزء الآخر، الضميمة.

التوزيع الموقعى للعبارة

- تشغل العبارة الاسمية المواقع التى تشغلها الكلمة الاسمية.
- تشغل العبارة الظرفية المواقع التى يشغلها الظرف.
- تشغل شبه الجملة مواقع الصفة.
- تشغل العبارة الفعلية المواقع التى تشغلها الكلمة الفعلية.

وإن ما يهمنا فى الوقوف عند العبارة هو النص على أنها قد تأتى جملة، نحو: «سبحان الله». فهذه عبارة تفيد السامع معنى مستقلا بالفهم[1]، وكذا نحو «وأسفاه!». **ولقد قدر القدماء لأمثال هذه التعابير ما يستقيم به قيام مسند ومسند إليه، كتقديرهم لذلك مثلا «أقول»...**

٣ - التركيب :

بناء لغوى يتألف من مسند ومسند إليه تقوم بينهما علاقة تسمى رابطة الإسناد.

---

(١) انظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ١٩٠.

أقسام التركيب :

يمكن أن نقسم، التركيب على ضوء البناء الداخلى، والتوزيع الموقعى. إلى ما يلى :

البناء الداخلى :

ينقسم التركيب، بحسب المسند، إلى :

(أ) التركيب الفعلى : ومسنده وحدة فعلية : « يعمل المجد ».

(ب) التركيب الاسمى : ومسنده وحدة اسمية : « الحكاية معروفة ».

التوزيع الموقعى :

وينقسم من حيث التوزيع الموقعى، إلى :

(أ) التركيب المستقل، وهو الذى يمكن أن يستعمل منفرداً، جملة بسيطة. ويتميز بأنه لا يمكن استبداله بوحدة أقل منه مثل : تسود الأمم برجالها.

(ب) التركيب غير المستقل : وهو الذى لا يمكن أن يستعمل منفرداً جملة بسيطة، ولكنه يمكن أن تتكون منه، منفرداً، جملة صغرى تكميلية، أو كما يسميها تمام حسان « جملة فرعية »[1].

مثل التركيب : « يتحادثان » و « كلٌّ واحدٍ منهما على بابِ قَصرٍ من در » و « قد أُعفى من البؤس والضر » (من قول أبى العلاء) :

« ويَمضى فى نُزهتهِ تلك، بشابَّين / يتَحادثان / كلٌّ واحدٍ منهما على بابِ قصرٍ من دُرٍّ / قد أعفِى من البُؤسِ والضرِّ »[2].

ويتميز التركيب غير المستقل بأنه يمكن استبداله بوحدة أصغر، كلمة أو عبارة.

---

(١) اللغة العربية مبناها ومعناها، ص ٢١٨.

(٢) رسالة الغفران، ص ٢٠١.

وهو يختلف عن العبارة فى كونه يتركب من مسند ومسند إليه، أما هى فتتكون من كلمتين، على الأقل، ولا يتوفر فيهما الإسناد، (كما رأينا).

من بين المواقع التى يمكن أن يشغلها التركيب غير المستقل المواقع التالية.

(أ) موقع المفعول به من كلمة فى التركيب المستقل المستعمل معه، مثل: زعم اليهود **أنهم برآء من حريق دير ياسين**.

(ب) موقع الصفة من كلمة فى التركيب المستقل المستعمل معه، مثل: جاء ولد **يجرى**.

(جـ) موقع الحال من كلمة فى التركيب المستقل المستعمل معه، مثل: جاء التلميذ **والكتاب بيده**.

(د) موقع المفعول لأجله من كلمة فى التركيب المستقل المستعمل معه، مثل: ذهبت إلى المسجد **لأصلى**.

(هـ) موقع فعل الشرط من التركيب المستقل المستعمل معه مثل: **إن تتق الله** تفز برضاه.

بعد التعرف على أنواع التراكيب وذكر مواقع كل منها فى الجملة، ننتقل إلى دراسة أشكال الجملة وخصائصها فى **الغفران**.

الفصل الثانى

أشكال الجملة فى رسالة الغفران

(تطبيقيًّا وإحصائيًّا)

خصائص الجمل العلائية تطبيقيًّا

إن هدفنا من تحديد مفهوم الجملة وحصر أقسامها، كما ذكرنا سابقاً، هو إيجاد خطة يتبناها هذا البحث لدراسة الجمل والتراكيب العلائية. وقد أتينا، فى بداية هذا الفصل، بتعاريف شتى للجملة، تنوعت مشاربها ما بين عربية وفرنسية وانجليزية، ثم استخلصنا منها جميعاً تعريفاً أشرنا إلى أن هذه الدراسة ستعتمده وهو: **الجملة بناء لغوى يعبر عن معنى كامل ومستقل، أى وحدة دلالية تامة، يعبر عنها بوحدات بنيوية مختلفة، ولا تعتبر فى بنائها جزءًا داخلا فى تركيب لغوى أكبر، وقد تأتى هذه الوحدة البنيوية كلمة أو عبارة أو تركيباً أو تراكيب.**

انطلاقاً من هذا التحديد تعرضنا للحديث عن كل من الكملة والعبارة والتركيب. ويبدو لنا، من خلال ذلك، أن العلاقة القائمة بين الجملة وبين الكلمة والعبارة والتركيب هى علاقة الشىء بنفسه، فقد رأينا أن الكلمة قد تكون جملة وأن العبارة قد تأتى، هى أيضاً، جملة، وأن التركيب، كما يكون جملة مستقلة بنفسها، يقع جزءًا من جملة. فما تعدد أنواع الجمل سوى مظهر لما تحتويه الجملة من أصناف التراكيب.

من الجمل ما تتم الفائدة فيه بتركيب واحد مستقل عما قبله وبعده، استقلالا تامًّا، ومنها ما لا تتوفر فيه الفائدة إلا بتركيبين أو ثلاثة مستقلة، أو غير مستقلة، أوهما معاً، ترتبط فيما بينها بأداة، وقد يكتفى فيها بالربط السياقى.

ونحن، إذ نرغب عن تقسيم الجمل الذى ذكرناه، سابقاً، مما جاء عند

ابن هشام، نرمى إلى تلافى تداخل بعض أنواع الجمل فيه ونرغب فى تبنى تقسيم يبدو لنا سهل التطبيق. فهاته الدراسة، كما قلنا، تحليلية تطبيقية، أكثر منها نظرية، وإن كنا قد حاولنا وضع تعريف نظرى للجملة ليكون منطلقاً إلى التطبيق.

وهذا يقتضى منا أن نتبنى تقسيماً جديداً لأنواع الجمل يعتمد بناءها التركيبى الداخلى.

فما هى تلك الأقسام؟

يمكن، على أساس البناء الداخلى، تقسيم الجملة إلى قسمين كبيرين:

١ - **الجملة الكبرى**: تتكون من تركيب مستقل.

٢ - **الجملة الصغرى**: تتكون من تركيب غير مستقل، وقد تأتى كلمة، أوعبارة أو جملة، ولا تظهر فى شكلها الراهن إلا إذا اعتمدت على نطق سابق أوموقف معين، وبذلك تختلف الجملة الصغرى عن الجملة الكبرى لأن هذه الأخيرة يمكن أن تظهر دون أن تتوقف على نطق سابق.

إن الجملة الكبرى لا تتكون دائماً من تركيب واحد مستقل، بل تتنوع محتوياتها. ومن ثم يمكن تقسيمها على ضوء البناء الداخلى إلى ثلاثة أقسام:

(أ) الجملة البسيطة.

(ب) الجملة المركبة.

(جـ) الجملة التركيبية.

وفيما يلى نعمل على دراسة نماذج علائية لكل نوع من أنواع الجمل تلك، محاولين تبيان خصائص كل منها فى رسالة الغفران.

نماذج الجمل البسيطة:

تعتبر الجملة البسيطة الصنف الأول من أقسام الجمل الكبرى، وهى ما تكونت على الأقل من تركيب مستقل. وتتميز بخواص من جملتها:

١ - تتكون من تركيب مستقل واحد فعلى، وتسمى الجملة «الفعلية»، أو من

تركيب مستقل واحد غير فعلى، وتسمى الجملة «الاسمية».

٢ - يمكن أن تظهر بشكلها الراهن، دون الاعتماد على نطق سابق أو موقف معين.

٣ - وكما تأتى الجملة البسيطة مثبتة، تأتى منفية، وتكون تقريرية واستفهامية.

٤ - تخلو من أدوات العطف ومن أدوات الربط التركيبية.

وفيما يلى سنسوق أمثلة، مما ورد فى **رسالة الغفران**، لكل نوع من أنواعها.

أولا - الجمل الفعلية: وهى إما أن تكون:

(أ) مثبتة، مثل قول أبى العلاء المعرى:

- «وما زال اليمنُ منذ كان، مَعْدِناً لِلْمُتكسبينَ بالتديُّنِ والمُحتالِين على السُّحْتِ بالتَّزَيُّنِ»[١].

(ب) أو منفية، مثل:

- «ولست آمناً فى العاقِبةِ فضيحةً غيرَ مُصاقِبَة»[٢].

ثانيًا - الجمل الاسمية: وهى إما:

(أ) مثبتة، مثل:

- «والعلومُ تفتقرُ إلى مراس، ودارسٍ للكُتبِ أخِى دِرَاس»[٣].
- «وهذا تناقُض فى الحديث»[٤].

(ب) منفية، مثل:

- «وأما ابنُ الراوندى، فلم يَكن إلى المصجلة بمهدى»[٥].

---

(١) الرسالة، ص ٤٤٢ - السحت: الحرام أو ماخبث من المكاسب فلزم عنه العار.

(٢) الرسالة، ص ٣٩١.

(٣) الرسالة، ص ٣٩٠.

(٤) الرسالة، ص ٤٤٨.

(٥) الرسالة، ص ٤٦٩ - أحمد بن يحيى شهر بتآليفه الجريئة الكافرة، توفى ببغداد سنة ٣٠٠ هـ.

ثالثاً - الجمل الاستفهامية مثل :

- «هل أردتَ ببعض معنى كلٍّ؟»[١].
- «فهل ما حُكِى صحيحٌ عنك؟»[٢].

نماذج الجمل المركبة :

ما تكونت، على الأقل، من تركيبين مستقلين، لا يعتمد أى واحد منهما على الآخر، وقد يتم الربط بين التركيبين بأداة من أدوات العطف أو الاستدراك، وقد يكتفى بالربط السياقى وتعتبر الجملة المركبة القسم الثانى من أقسام الجملة الكبرى. ومن خواصها أنها :

١ - تتكون من تركيبين أو أكثر من التراكيب المستقلة.

٢ - قد يكتفى فى الربط بين تراكيبها بالربط السياقى.

٣ - يتم الربط بين تراكيبها بأداة من روابط التسوية.

إن الخاصية الأخيرة تقتضى منا وقفة قصيرة، ماذا نعنى بروابط التسوية؟

إنها أدوات تقوم بوظيفة الربط بين تركيبين مستقلين. وهى على صنفين :

(أ) أدوات العطف، مثل : الواو، الفاء، ثم، أو، ...

(ب) أدوات الاستدراك، مثل : لكن، بل، ...

والفرق بين أدوات العطف وأدوات الاستدراك هو أن الأولى تستعمل للربط بين :

---

(١) الرسالة، ص ٢١٦.

(٢) الرسالة، ص ٣٥٦.

(أ) كلمتين، مثل قول أبي العلاء :

- « وفي تلك الأنهارِ، أوانٍ على هيئةِ الطيرِ السابحةِ، / و / الغانيةِ عن الماءِ السائحةِ »[١].

- « فيأخُذُ سَفَرْجلةً، / أو / رُمَّانةً، / أو / تُفَّاحةً، / أَوْ / مَا شَاءَ اللهُ من الثِّمار »[٢].

(ب) عبارتين، مثل :

« فهل لك أن نركَبَ فَرِسَين من خيل الجنَّةِ فَنَبْعَثُهما على صيرانها / و / خِيطَان نَعَامِها / و / أَسْرَابِ ظِبائِها / و / عَانَاتِ حُمُرِها »[٣].

(جـ) تركيبين، أو أكثر، نحو:

« وينظُر الشيْخُ في رياضِ الجنةِ / فـ / يَرَى قَصْرين مُنِيفَين / فـ / يَقُول في نفسه . . . »[٤].

وفيما يخص أدوات الاستدراك فإنها لا تستعمل إلا للربط بين تركيبين مستقلين. ويعد ظهورها، في أي شكل لغوي، دليلا على أن هذا الشكل جملة مركبة.

ونعود الآن إلى التراكيب التي تربط بينها أداة من روابط التسوية.

إنها تتميز بالخواص التالية :

(أ) انها تراكيب مستقلة، فلا يربط بأداة التسوية بين تركيب مستقل وآخر غير مستقل، أو تركيبين غير مستقلين.

---

(١) الرسالة، ص ١٤٩.

(٢) الرسالة، ص ٢٨٨.

(٣) الرسالة، ص ١٩٥.

- الصيران : جمع صوار، بضم الصاد وكسرها، قطيع البقر.

- الخيطان : جمع خيط، الجماعة من النعام أو الجراد.

- عانات : جمع عانة، القطيع من بقر الوحش.

(٤) الرسالة، ص ١٨١.

(ب) الغالب أن تكون التراكيب متجانسة فى الشكل، أى يربط التركيب الفعلى بالفعلى، والاسمى بالاسمى.

(جـ) من غير الغالب أن تكون التراكيب المربوطة غير متجانسة فى الشكل، أى أن أحدها فعلى والآخر اسمى.

تلك مجمل خصائص الجمل المركبة.

وقد لاحظنا أن أبا العلاء، كما يربط بين التراكيب المستقلة فى الجمل المركبة بأداة، يكتفى بالربط السياقى فى جمل أخرى، ويجمع بين نوعى الربط فى الجملة المركبة الواحدة.

وكما يربط بين التركيبين المتجانسين، يربط بين التركيبين غير المتجانسين.

بناء على ذلك، يمكن تقسيم الجمل المركبة فى الاستعمال العلائى إلى ما يلى :

١ - ما ربط بين تراكيبها بأداة من روابط التسوية.

٢ - الجمل المركبة التى تحتوى على تراكيب متجانسة.

٣ - الجمل المركبة التى تحتوى على تراكيب غير متجانسة.

٤ - ما ربط بين تراكيبها بالربط السياقى، أى دون أداة.

٥ - ما ربط بين بعض تراكيبها بأداة وبين بعضها الآخر بدون أداة.

وفيما يلى، نسوق لكل نوع منها شواهد من **رسالة الغفران** :

النوع الأول :

الجمل المركبة التى ربطت بين تراكيبها أداة من روابط التسوية.

يمكن تقسيم هذا النوع حسب صنف الأداة الرابطة إلى ما تم الربط فيه بأداة من أدوات العطف وما تم الربط فيه بأداة من أدوات الاستدراك.

١ - الربط بالعطف :

كثيرًا ما يستعمل أبو العلاء، للربط بين تركيبين مستقلين أو أكثر، فى الجملة المركبة، أداة عطف واحدة كما قد يجمع بين عاطفين أو أكثر، كالتالى :

(أ) ما جاء فيه الربط بـ « الواو » الجمل التى تتكون من :

- تركيبين مستقلين، مثل :

« أأَلفيتَ حُكمًا للمغفرةِ مُوجِبًا، /و/لم يكنْ عن الرحمةِ محجِّبًا ؟ »[١] .

« ولقد كنتَ تأخُذُ جَوائزَ الملوكِ، بغير استِحقاقٍ /و/ إنَّ غيرَكَ أوْلى بالأعطيَةِ والصِّلاتِ »[٢] .

« وإنَّ الصابرَ مأجورٌ محمودٌ /و/ لا رَيبَ أنْ سَيُقْدَرُ لِمن ظَعَنَ شِرْبٌ مَثْمُود »[٣] .

- ثلاثة تراكيب مستقلة، مثل :

« ولا ريَب أنَّه قد جَالسَ بقاياهم/و/اخْتَبَر فى المُعاشَرَةِ سجاياهم/و/عَاطَوْهُ الأَكْؤُسَ أُلَاتِ التصاوِيرِ، على عادِ المرَازِبةِ الأساوِير، كما قال الحكمى »[٤] .

- أربعة تراكيب مستقلة، مثل :

« فُتطرِبَانِ من سمِع/و/تَسْتَفِزَّان الأَفئِدَة بالسرُّور/و/يكثُرُ حمدُ اللهِ سبحانه، كما أنعمَ على المؤمنين والتائِبين/و/خلصهم من دارِ الشِّقْوَة إلى مَحَلِّ النَّعيم »[٥] .

(ب) ومما جاء فيه الربط بـ « الفاء » الجمل التى تتكون من :

- تركيبين مستقلين، مثل :

---

(١) الرسالة، ص ١٨٥.

(٢) الرسالة، ص ٣٧٦.

(٣) الرسالة، ص ٣٨٤.

(٤) الرسالة، ص ٣٩٩.

(٥) الرسالة، ص ٢٧٥.

«ويَسألُ عن امرئِ القيسِ بنِ حُجْرٍ / فـ / يُقَالُ ها هو ذَا بحيثُ يسمَعُكَ»[١].

- ثلاثة تراكيب مستقلة، مثل:

«فيدعوه الشَّيخُ إلى المُنادمةِ / فـ / يَجِدُه من ظِرافِ الندَمَاء / فـ / يسأله عن أَخْبَارِ القُدَماءِ»[٢].

«ويجوز أن يقذفنى السابحُ على صخورِ زُمرُّدٍ / فـ / يكسرَ لى عَضدًا أو ساقًا / فـ / أصيرَ ضحكة فى أهل الجنانِ»[٣].

- «فوجدتُه خاليًا لا عريبَ عندَه / فـ / بَلَوتُ نفسى فى العبورِ / فـ / وجدْتُنِي لا أستَمسِكُ»[٤].

(جـ) ومن الجمل المركبة التى تم الربط فيها بأدوات متنوعة ما نجد فيه:

- **الواو والفاء مثل:**

«وإنها لأحسنُ من الوجوهِ التى ذكرها الجَعْدِىُّ / و / زعم أَنَّ حُسْنَها بَدِى / فـ / قال...»[٥].

«قال: فأخذتُ بطيخةً / و / سألتُ عن ذلك القطارِ / فـ / وجدتُ فيه جملا أعورَ / فـ / دنوت منه بالبطيخةِ / فـ / أخذَهَا أخذ مريدٍ مُشْتَهٍ»[٦].

- **الفاء والواو، مثل:**

«ويعرضُ لهم لبيدُ بنُ ربيعةَ / فـ / يدعوهم إلى مَنزلِهِ بالقَيْسيةِ / و / يُقسِمُ عَليهم لَيَذْهبُنَّ معه»[٧].

---

(١) الرسالة، ص ٣١٣.
(٢) الرسالة، ص ١٨٤.
(٣) الرسالة، ص ١٩٧.
(٤) الرسالة، ص ٢٦٠.
(٥) الرسالة، ص ٥٦٠ - الجعدى: النابغة.
(٦) الرسالة، ص ٤٦٩.
(٧) الرسالة، ص ٢٦٧ لبيد بن ربيعة من فحول الشعراء أدرك الإسلام فاسلم.

- **الفاء وثم، مثل :**

« وهَممتُ بالخَوْض / ف / كدتُ لا أصِل إليهِ / ثم / نغبتُ منه نغبَات لَا ظمأ بَعْدَها »[١].

- **ثم والفاء، مثل :**

« فيقولُ، خَلد اللهُ ألفاظَه فى دِيوانِ الأدبِ : كَأَنَّكَ زَعمْتَ أَنَّ فِعْلاً أُخِذَ من الزَّبَرْجَدِ / ثمَّ / بُنى منهُ الزِّبْرِجُ / فَـ / قد لزمك على هذا أَنْ تكونَ الأفعالُ قبلَ الأسماءِ »[٢].

« فَأَخذَنى الهَلَعُ والقِلُّ أى الرِّعدةُ / ثم / هَتَفَ الثانيةَ / ف / لم يُجِبْه مُجيب »[٣].

- **الواو وثم، مثل :**

« والشيعةُ يزعمون أَنَّ عبدَ اللهِ بنَ ميمون القَدَّاحِ ، وهو من باهلةَ، كان من عِلْيَةِ أصحَابِ « جعفرِ بنِ محمدٍ » عليه السلامُ / و / رَوَى عنه شيئًا كثيرًا / ثم / ارْتدَّ بعد ذلك »[٤].

- **ثم والواو، مثل :**

« ولعله يَوَدُّ فى الآخرةِ أَنهُ ذُبحَ عن كُلِّ من قُتِلَ فى عِدانِه مائةَ مَرةٍ فى نهلِ مِدّانِه / ثم / خلصَ من العذابِ المطبَق / و / استَنْقَذَ عُنُقَه من الرِّبَق »[٥].

٢ - الربط بالاستدراك :

يلاحظ أن أبا العلاء، قليلا ما يستعمل أداة الاستدراك لكن، فى الربط بين التراكيب المستقلة، بالجملة المركبة. إن كل الأمثلة التى عثرنا عليها فى الرسالة ترد

(١) الرسالة، ص ٢٥٧.

(٢) الرسالة، ص ٢٤٦.

(٣) الرسالة، ص ٢٥٦.

(٤) الرسالة، ص ٤٦٧، - القداح ادعى النبوة، مات حوالى سنة ٢٦٠ هـ.

(٥) الرسالة، ص ٤٩٠. النهل : أول الشراب - المدان : الماء الملح - الربق : جمع ربقة : العروة فى الحبل.

فيها «لكن» وهى مصحوبة دائماً بـ «الواو». ولعل أبا العلاء يؤيد بذلك مذهب من يرى أن «لكن»، متى استعملت لعطف جملة على جملة وجب اقترانها بالواو، وينقل لنا ابن هشام أن «لكن»، حين تقترن بالواو، تكون عاطفةً، جملة على جملة، وأن هذا هو ما يذهب إليه سيبويه[١].

وفيما يلى نسوق لذلك بعض الأمثلة الواردة فى **الرسالة**، يقول أبو العلاء:

- «وأما الظَّبْيةُ، فإنَّها لا توصفُ بحنِينٍ / ولكِن / تبتقلُ بلُبٍّ منينٍ»[٢].
- «سَتَرْنَ الأَنفُسَ فما تَبَرَّجْن / ولكنْ / بالرَّغمِ خَرَجنَ»[٣].
- «وما يحفِل ربهُ بالعبيدِ صائِمينَ للخِيفةِ ولا مفطِرين / ولكِنَّ / الإنْسَ غدَوْا مُخطرين»[٤].

وقد يجمع أبو العلاء، فى الجملة المركبة الواحدة، بين الربط بأداة العطف والربط بأداة الاستدراك، وذلك فى مثل قوله:

«ولا ملامةَ عليه، إنما هى عادةٌ صارت كالطَّبْع / فـ / ما حَسُنَ بها مَألوف الرِيْعِ / لكن / ها تُغْتَفَرُ مع المحاسِن / و / الشامُ قد يظهَرُ على المراسنِ»[٥].

ومثل:

«وكذلك أنا أفترسُ ما شاءَ الله / فـ / لا تأذَى الفريسةُ بظفرٍ ولا نابٍ / ولكن / تَجدُ من اللذةِ ما أجد بلُطف ربِها العَزِيزِ»[٦].

---

(١) المغنى، جـ ١، ص٢٩٢.

(٢) الرسالة، ص ٣٨٦.

(٣) الرسالة، ص ٤٠٦.

(٤) الرسالة، ص ٤٤٦.

(٥) الرسالة، ص ٤١٥. - الشام: الخال، واحدته شامة - المراسن: جمع مرسن وهو موضع الرسن من الدابة، الخد.

(٦) الرسالة، ص ٣٠٥.

النوع الثانى :

نتنقل الآن إلى الجمل المركبة التى تحتوى على تراكيب متجانسة.

جل الجمل المركبة العلائية جاءت تراكيبها متجانسة. وإن كل الأمثلة التى سقناها للنوع الأول، فيما عدا المثال الأخير جاءت متجانسة الجهة، أى أن التراكيب ذات الفعل الماضى معطوفة على مثيلاتها، وكذلك ذات الفعل المضارع والأمر. كما أنها متجانسة من حيث الفعلية والاسمية. وفيما يلى سنسوق أمثلة أخرى لكل منها :

١ - جمل مركبة، تراكيبها فعلية متجانسة فى الجهة، وقد جاءت أفعالها كالتالى :

(أ) ماضية، مثل :

- «نَقَل هؤلاء المُسْمعاتِ من زىِّ ربّات الأجنِحةِ إلى زىِّ ربَّاتِ الأكفَالِ المترجِّحة / ثم / ألهمهُنَّ بالحكمة حفظ أشعار لم تَمْرُرْ قبل بمسامِعِهنَّ / فَجِئنَ بها متقنةً محمولةً على الطرائِق مُلحَّنة مُصيبةً فى لحنِ الغِناءِ مُنَزَّهةً عن لحنِ الهُجَناءِ»[١].
- «والتفتَ «إبراهيم» صلى الله عليهِ فرآنِي وقد تخلَّفْت عنه / فَرَجع إلىَّ / فجذَبَنِي جذْبةً حَصَّلَنى بها فى الجنَّةِ»[٢].

(ب) مضارعية، مثل :

- «ويَخطِرُ لهُ، جعلَ الله الإحسانَ إليه مربوبًا ووُدَّه فى الأفئدةِ مَشْبُوبًا، غِناءُ القِيانِ، «بالفُسطاطِ» فى «مدينة السلام» / ويَذْكُرُ ترجيعَهنَّ بميمية المخَبَّلِ السَّعْدىِّ / فتندفعُ تلك الجوارى التى نقلتهُنَّ القدرةُ من خِلق الطيْرِ اللاقطة إلى خِلقِ حُورٍ غيرِ مُتساقطة، تُلَحِّنُ قولَ المخبَّلِ السَّعدىِّ»[٣].

---

(١) الرسالة، ص ٢٢٦.

(٢) الرسالة، ص ٢٦٢.

(٣) الرسالة، ص ٢٢٤. - المخبل السعدى ربيعة بن مالك السعدى، كنيته أبو زيد، شاعر مقدم، هاجر إلى البصرة.

- «ويثب «نابغةُ بنى جعدَة» على «أبى بصيرٍ» / فَيَضربُه بكوزٍ من ذَهَبٍ»[١].

٢ - جمل مركبة، تراكيبها اسمية متجانسة، مثل:

«أما المَطِيَّةُ فآلِيَةٌ / وأمَّا المزادةُ فخالِيَةٌ/والركبُ يفْتَقرُ إلى الحَصاةِ /وكلُّهم بَهَشَ للوَصاةِ»[٢].

«أنا بحمدِ اللهِ فى عَيش قَصَّرَ أن يَصِفَه الواصفون / ولَدَىَّ نواصِفُ ونَاصِفُون لا هرم ولا برم»[٣].

النوع الثالث:

الجمل المركبة التى تحتوى على تراكيب غير متجانسة:

هذا النوع قليل الورود فى الرسالة وما وجدناه من الجمل المركبة غير المتجانسة عبارة عن:

١ - جمل مركبة فعلية غير متجانسة من حيث الجهة.

٢ - جمل مركبة غير متجانسة من حيث الاسمية والفعلية.

١ - جاءت أفعال شواهد الجمل المركبة الفعلية غير المتجانسة فى الجهة كما يلى:

- أمر + ماض، مثل:

«فامض لِطيتِك / ، فقد أخَذْتَ بكَلَامنا ما شاءَ الله»[٤].

«فيقول: أخبِرْنى عن أشعار الجِنِّ / فقد جمَعَ منها المعروفُ بالمرْزُبانى قطعة صالِحة»[٥].

---

(١) الرسالة، ص ٢٣١.

(٢) الرسالة، ص ٤٠٩، بهش إليه: أقبل عليه مسرورًا، حن إليه - الوَصاة، كحصاة، واحدته الوَصَى: جريدة النخل.

(٣) الرسالة، ص ٢١٥. نصف فلانًا: خدمه.

(٤) الرسالة، ص ٣٧٧.

(٥) الرسالة، ص ٢٩١.

٢ - شواهد الجمل المركبة غير المتجانسة من حيث الاسمية والفعلية :

(أ) تركيب فعلى + تركيب اسمى :

« فيذهب (. . .) فإذَا هو بِبَيْتٍ فى أَقْصَى الجَنَّةِ . . »[١].

وقد يأتى المسند إليه فى التركيب الأسمى شبه جملة، مثل :

« فيقول « نابغةُ بنى جَعْدة »، ما جَعَلتُ الشينَ قط رويًّا، وفى هذا الشعر ألفاظٌ لم أسمع بها قَطُّ : رَبَش، وسمَّهة، وخُشش »[٢].

ونجد بعض النحاة، ممن لا يجيزون عطف التركيب الفعلى على الاسمى والعكس، يقدرون، فى أمثال هذا التركيب، متعلقًا للجار والمجرور فعلا « يستقر » « ويوجد »، ليستقيم عطف التركيب الفعلى المقدر على التركيب الفعلى الظاهر.

(ب) تركيب اسمى + تركيب فعلى، مثل :

« وهذه غَريزةٌ خُصَّ بها الشيخُ دون غيرِه / وتعايشَ العالَمُ بخِداع / وأضْحَوا من الكذب فى إبداع »[٣].

« وأما الظَّبْيةُ فإنها لا توصف بحنينٍ / ولكِن تَبْتقِل بلُبٍّ منينٍ »[٤].

« وهذا البيتُ يتداولهُ النحويون / وزعم بعضُ المتأخرِين من أهْلِ العلم أنه مصنوعٌ / وما أجدرهُ بذلك »[٥].

(جـ) تراكيب فعلية وتراكيب اسمية، وذلك كقوله :

- « وما يلحقُنى الشَّكُّ فى أنَّ « دِعْبلَ بنَ علىٍّ » لم يكنْ له دِينٌ /، وكان يتظاهر بالتَّشَيُّع /، وإنما غَرَضُهُ التكسب / وكم أثبتَ نسباً بتنسُّب ! / ولا أرتابُ أن

---

(١) الرسالة، ص ٣٠٧.

(٢) الرسالة، ص ٢٠٩.

(٣) الرسالة، ص ٣٨١.

(٤) الرسالة، ص ٣٨٦.

(٥) الرسالة، ص ٥٦٨.

«دعبلا» كان على رأى «الحَكَمِيِّ» وطبقَتِه/والزَّندقةُ فيهم فاشيَةٌ/ومن ديارهم ناشيةٌ»[١].

- «ثم نادى الثالثةَ، فأجابَهُ قائل يقول: نعم قد شهِدتُ توبةَ «على بن منصور» وذلك بأخَرةٍ من الوقت/وحضرت متابَهُ عِندى جماعةٌ من العُدُولِ، وأنا يومئذٍ قاض حَلَب وأعمالِها/. والله المُستعان»[٢].

يلاحظ أن أمثلة الجمل المركبة التى لا تتجانس تراكيبها قليلة جدًّا، فى رسالة الغفران، وهذا يبين لنا حرص أبى العلاء على أن تأتى تراكيب جمله المركبة متجانسة، وهو بذلك يسير طبقا لما هو شائع فى اللغة العربية.

النوع الرابع:

ننتقل، الآن، إلى الحديث عن الجمل المركبة التى ربط بين تراكيبها الربط السياقى.

إن الشواهد من هذا النوع قليلة الورود بالرسالة، هى أيضًا، فنادرًا ما يستغنى أبو العلاء، فى مجموع تراكيب الجملة المركبة عن الأداة. إنه يميل إلى الربط بين بعض تراكيب الجملة المركبة بأداة وبين بعضها الآخر يكتفى بالربط السياقى، كما سنراه فيما بعد.

ومن أمثلة الربط السياقى قوله:

- «فتقول: لقد خَطِئتَ فى أفْكارِك / ما خِيرَ لك فى ابتكارِك»[٣].
- «فقال أميرُ المؤمنين: لا عليك / ألَك شاهدٌ بالتَّوبة؟»[٤].
- «ودنانِيرُه بإذنِ اللهِ مُقدَّساتٌ / ما هُنَّ بالحرج ملدَّسات»[٥].

---

(١) الرسالة، ص ٤٢٠. - دعبل بن على: شاعر عباسى، كان يحضر مجالس اللهو مع أبى نواس توفى سنة ٢٤٦ هـ.
(٢) الرسالة، ص ٢٥٦. - على بن منصور: ابن القارح مراسل أبى العلاء.
(٣) الرسالة، ص ٣٠٦.
(٤) الرسالة، ص ٢٥٦.
(٥) الرسالة، ص ٥٦٥.

- «على أنه لابد من أمانةٍ مُفْتَرِقَة فى البلاد / تكونُ للخَيِّر من التِّلاد»[١].

يلاحظ أن الجمل المركبة التى يكتفى فيها أبو العلاء بالربط السياقى تتكون، غالبًا، من تركيبين مستقلين، لا أكثر، كما يبدو من الأمثلة المعروضة. ولعل ذلك يؤكد ما قلناه من أن أبا العلاء يميل أكثر إلى الربط بنوعيه بين تراكيب الجمل المركبة الطوال.

النوع الخامس :

الجمل المركبة التى ربط بين بعض تراكيبها بأداة، وبين بعضها الآخر بدون أداة.

تعتبر أغلبية الجمل المركبة فى **رسالةالغفران** من هذا النوع. فأبو العلاء لا يكاد يستغنى، فى مجموع تراكيب الجملة المركبة، عن الأداة ويكتفى فيها بالربط السياقى، وإنما يميل، غالبًا، إلى الربط بين بعض التراكيب المستقلة بالأداة وبين بعضها الآخر بالربط السياقى. ومن أمثلة ذلك ما يلى :

- «فقالوا نحن بخير إنا نلتذ بتحف أهل الجنةِ/غير أنَّا مَحْبُوسُون للكلمةِ السابقِة/ ولا نُريدُ أن نَتَسرَّعَ إلى الجنةِ قبل الميقاتِ/، إذ كنا آمنينَ ناعمين، بدليلِ قوله تعالى : »[٢].

- «فقال الحكيم قولاً معناه : أخطأ ذلك الشابُّ المقتَبلُ/له ولأمِّه يَحقُّ الهبلُ/هلاَّ صَبَر على صُروفِ الزمانِ/حتى يمْنو لهُ القدَرُ مان؟/فإنَّهُ لا يشعرُ علام يقدَمُ/ ولكل بيت هَدَم»[٣].

- فيقول الهاتفُ : أنا ذلك الرَّجلْ/منَّ الله علىَّ بَعدَ ما صِرْتُ من جهنمَ على شَفِير/ويَئِستُ من المغفرة والتكْفير»[٤].

---

(١) الرسالة، ص ٥٦٦.
(٢) الرسالة، ص ٢٥٨.
(٣) الرسالة، ص ٣٩٥. - مناه الله بكذا : يمنيه ويمنوه منياً ومنوًّا : ابتلاه.
(٤) الرسالة، ص ١٧٧.

- «كم شابٍّ فى بنى كلابٍ ماتَ عبطَةً/وما بلَغ من الدنيا غبطة/رماهُ بسحاف قاتلٍ، إدْمانُ المُعَتَّقَةِ ذاتِ المخاتل»[١].

تلك أمثلة الجمل المركبة التى جمع فيها أبو العلاء بين الربط بالأداة وبين الربط السياقى. ونلاحظ أن تراكيب بعض تلك الجمل تصل، أحيانًا، إلى سبعة أو ثمانية تراكيب، كما يتجلى ذلك من خلال الأمثلة التى سقناها.

الخلاصـــة :

من دراستنا لنماذج الجمل المركبة، نستنتج أن هذه الجمل غالبًا ما تأتى مركبة من ثلاثة تراكيب فأكثر، وأن أبا العلاء يميل إلى الربط بالأداة وأن أكثر تلك الأدوات انتشارًا، فى الرسالة، هى : الواو والفاء، وتليهما ثم، ولكن. كما نستخلص أن أبا العلاء يختار تراكيب جمله المركبة متجانسة فى الجهة وفى الفعلية وفى الاسمية باستثناء جمل قليلة جاءت تراكيبها غير متجانسة.

وكما يستعمل المعرى الربط بأدوات التسوية وحدها، كذلك يختار الجمع بين نوعى الربط، أى يستعمل فى الجملة المركبة الواحدة الربط بالأداة بين بعض تراكيبها والربط السياقى فى البعض الآخر. ونلاحظ أيضًا، أن الجمل المركبة التى استغنى فيها أبو العلاء عن الأداة قليلة لا تتألف غالبًا من أكثر من تركيبين.

وفيما يلى ننتقل إلى دراسة نماذج للجمل التركيبية الواردة فى الغفران.

نماذج الجمل التركيبية

هى ما تكونت من تركيب مستقل، وتركيب أو أكثر غير مستقل. وقد يتم الربط بين تراكيبها بأداة ربط تركيبية، وقد يكتفى بالربط السياقى. وتعتبر الجمل التركيبية القسم الثالث من أقسام الجملة الكبرى وتتميز بأنها :

١ - تتكون من تركيب واحد مستقل، ومن تركيب أو أكثر غير مستقل.

---

(١) الرسالة، ص ٥٥٧. - مات عبطة : أى شابًا صحيحًا.

٢ - يرتبط التركيب المستقل مع التركيب غير المستقل بأداة من أدوات الربط التركيبية.

٣ - قد يكون الربط بين التركيب المستقل والتركيب غير المستقل ربطًا سياقيًا.

ونشير إلى أن أدوات الربط التركيبية على نوعين:

- **مفردة، مثل:**

إن - لو - إذا - من - لولا - لام التعليل - اللام الواقعة فى جواب الشرط - لما - بينما - واو الحال.

- **مركبة، مثل:**

إما + ... وإما

لا + ... الا

لا + ... حتى.

تتميز التراكيب التى تربط بينها أدوات الربط التركيبية بالخواص التالية:

كونها تركيبًا مستقلا مع تركيب غير مستقل، فلا يربط بأدوات الربط التركيبية بين تراكيب مستقلة.

وكما تكون التراكيب متجانسة، فى الجهة والشكل، قد تأتى غير متجانسة.

يلاحظ أن أبا العلاء يربط بين تراكيب بعض الجمل التركيبية بأداة وفى بعضها الآخر يكتفى بالربط السياقى. وكما تأتى تراكيب تلك الجمل متجانسة تأتى أيضًا غير متجانسة.

بناء على ذلك، يمكن تقسيم الجمل التركيبية، كما جاءت فى **الغفران** إلى ستة أنواع:

١ - الجمل التركيبية التى ربط بين تراكيبها بأداة من أدوات الربط التركيبية المفردة.

obeikandl.com

٢ - الجمل التركيبية التى ربط بين تراكيبها بأداة من أدوات الربط التركيبية المركبة.

٣ - ما ربط بين تراكيبها بالربط السياقى.

٤ - الجمل التركيبية التى تحتوى على تراكيب متجانسة.

٥ - الجمل التركيبية التى تحتوى على تراكيب غير متجانسة.

٦ - الجمل التركيبية التى ربط بين تراكيبها بأداتين من أدوات الربط التركيبية.

هذه هى أنواع الجمل التركيبية العلائية. ونسوق، الآن، أمثلة لكل منها.

النوع الأول :

أغلب الجمل التركيبية، الواردة فى **رسالة الغفران**، يربط بين تراكيبها أداة من أدوات الربط المفردة، وقد تنوعت أدوات الربط التركيبية المفردة، فى **الغفران**، تنوعًا كثيرًا.

يستعمل أبو العلاء من تلك الأدوات :

إن، لو، إذا، لما، لولا، من، لام التعليل، الفاء واللام الواقعتان فى جواب الشرط، بينا، واو الحال.

ونشير إلى أن الأداتين، «الفاء» و«اللام» تأتيان دائمًا مع أداة من أدوات الشرط حيث تتصدر هذه الأخيرة صدر الجملة التركيبية، أما الفاء أو اللام فتتصدران جواب الشرط لتربط التركيب غير المستقل بالتركيب المستقل. فتأتى الجمل التركيبية على النحو التالى :

الأداة + تركيب غير مستقل + أداة + تركيب مستقل.

وفيما يلى أمثلة لنماذج جمل هذا الصنف :

إن :

«فإن / قال من أُمٍّ لَقْطٍ / جاز أن يقولَ : حُوارى بأَقْطٍ»[١].

ونجد هذا التركيب نفسه يتردد ٢٥ مرة فى فقرات متوالية[٢].

إنْ + الفَاء :

«/ إنْ / ظهَرَ منى تَحَرُّز فى بعضِ المواطِن / فـ / إنَّما ذلك على طريقةِ الحزْمِ، كما جاءَ فِي الكتاب العزيز»[٣].

لو + اللام :

«/ لَوْ / أدركتُ محمدًا / لَـ / كنْتُ أولَ المؤمنين»[٤].

إذَا :

«/ إذا / قَضَوْا الأَرَبَ من الطعام / جاءت السُّقاةُ بأَصنافِ الأَشرِبَةِ والمسمعاتُ بالأصواتِ المطربة»[٥].

لَمَّا :

«/ لما / عَلِموا ذَلك كشفوهُ عنِّى»[٦].

لَوْلَا :

«/ لَولَا / أَنَّهُ ضرىَ بالحبر ما افتقرَ إلى ضِرْوٍ مطلوبٍ أو غصنٍ من العتمِ مجْلوب»[٧].

---

(١) الرسالة، ص ١٦٢. - الأقط : الجبن.
(٢) الرسالة، من ص ١٥٧ إلى ص ١٦٤.
(٣) الرسالة، ص ٢٣٦-٢٣٧.
(٤) الرسالة، ص ١٨٣.
(٥) الرسالة، ص ٢٧٢.
(٦) الرسالة، ص ٢٩٣.
(٧) الرسالة، ص ٢٢١-٢٢٢. - ضرى : تلطخ - الحبر : وسخ الأسنان، - الضرو : شجرة الكَمْكَام.

مَنْ + الفَاء :

«/ مَن / رَضى بصحبةِ العْقَار / فـ / قَد خلعَ ثوب الوقَار»[١].

لام التعليل :

«فيقول أبو عُثمان : لَيس ذَلك بدليلٍ على أَنَّ الهمزةَ زائدةٌ/لِـ/أَنَّهُمْ قد قالوا ناسٌ وأصلُه أناس، وميْهَةُ لِجُدِرى الغنم، وإنما هو أَمِيهة»[٢].

بينا :

«/ بينا / هم كذلك / إذْ مرَّ شابٌّ فى يَده مِحْجَنُ ياقوتٍ مَلَكهُ بالحُكم الموقوتِ»[٣].

واو الحال :

«ولقد بلغتُ بعدَدِ البيوتِ مَا لَمْ يبلغُهُ أحدٌ من العربِ قَبلى / و / أنت لاهٍ بعَفارتِكَ تفترى على كرائم قومكَ»[٤].

وننتقل الآن إلى الحديث عن الجمل التركيبية التى ربط بين تراكيبها أداة من أدوات الربط المركبة.

النوع الثانى :

من أدوات الربط التركيبية المركبة فى الغفران نذكر :

إما + ... وإما، لا +... إلا، لا + ... حتى.

وها هى ذى بعض الأمثلة لكل منها.

---

(١) الرسالة، ص ٥٥٦.

(٢) الرسالة، ص ٢٨٣.

(٣) الرسالة، ص ٢١٥. - المحجن : العصا المنعطفة الرأس.

(٤) الرسالة، ص ٢٢٩. - العفارة : الخبث والمكر.

إما + ... وإما :

«/ إمَّا / أَنْ يكونَ قالهُ تحسينًا للكلام على مذهبِ الشُّعَراءِ، / وإمَّا / أَنْ يكونَ فعلَه فَغُفِرَ لهُ»[١].

لا + ... إلا :

«/ لَا / تَتِمُّ الكلمةُ / إلَّا / وأَبو بَصيرٍ قد خَمَسَهُم»[٢].

لا + ... حتى :

«ف / لا / تكْمُل هذه المقالُة / حتى / يجمَعَ الله كلَّ فُقَّاعِيٍّ فى الجنةِ، من أَهَلِ العِرَاقِ والشام وغيرهما من البلادِ، بين أيديهم الولدان المُخلَّدُون يَحْمِلُونَ السَّلَالَ إلى أَهل ذلك المَجْلِس»[٣].

ما + ... إلا :

مازُجرتُم عن شيْءٍ / إلا / وَركبتمُوه»[٤].

النوع الثالث :

الجمل التركيبية التى تم الربط بين تراكيبها بالربط السياقى.

يكتفى أبو العلاء، أحيانًا، بالسياق كرابط بين التركيب المستقل والتركيب غير المستقل. إنه لا يستخدم أداة الربط التركيبية، حينما يقع، مثلا التركيب غير المستقل نعتًا أو عندما يقع حالا فى بعض أنواع التراكيب الفعلية التى لا تستدعى واوا ليربط بين الحال وصاحبه.

---

(١) الرسالة، ص ٢١٩.
(٢) الرسالة، ص ٢٠٤. انظر مثالا آخر فى ص ٢٠٦.
(٣) الرسالة، ص ٢٨٠.
(٤) الرسالة، ص ٣٥٠.

- مثال للنعت :

«إنَّ فى هذِه المَنزلةِ لَنَشْرًا / لَا يزيدُ على نشرِ الفانيةِ عشْرًا ولكن يشفُّ بعدَدٍ لا يُدْرَكُ ليس وراءهُ مترَك»[١].

وسنعقد فصلاً خِاصًّا بالنعت فى **رسالة الغفران**، نفصل القول فيه على الجمل الواقعة نعتًا.

- مثال الحال :

«كنتُ أُقيمُ عشرَ ليالٍ أو أكثر / لا أقدر على العكرشَةِ ولَا القُواع»[٢].

النوع الرابع :

أغلب الجمل التركيبية، فى الغفران، يتجانس فيها التركيب المستقل والتركيب غير المستقل. وجل الأمثلة التى سقناها، سابقًا، من هذا النوع.

يجيئ التركيب المستقل والتركيب غير المستقل معًا، فى شكل فعلى، وفى شكل غير فعلى، كما يلى :

(أ) تركيب مستقل فعلى + تركيب غير مستقل فعلى، مثل :

«ولو حَضر أخْوِنَةً حَضرَها الشيخُ / لعادَ كما قالَ القائلُ»[٣].

«وقدْماً طلبَ النَدامى مَطْبُوخاً، شبَّاناً فى العُمْرِ وشيوخا/يُنافقونَ بالصفةِ ويُوارون وعن الصهباءِ العاتقِة يُدارون»[٤].

(ب) تركيب مستقل اسمى + تركيب غير مستقل اسمى، مثل :

«ومع المُنصَفِ باطيَة من الزُّمردِ/فيها من الرَّحِيقِ المختوم شيءٌ يُمْزَجُ بزَنْجَبِيلٍ والماءِ أُخِذَ من سَلْسَبيلٍ»[٥].

---

(١) الرسالة، ص ٢٢٣.
(٢) الرسالة، ص ٣٠٦.
(٣) الرسالة، ص ٣٩٩.
(٤) الرسالة، ص ٥١٥.
(٥) الرسالة، ص ١٨٥.

النوع الخامس :

الجمل التركيبية التى تحتوى على تراكيب غير متجانسة. أمثلة هذا النوع جاءت على الشكلين التاليين :

(أ) تركيب مستقل فعلى + تركيب غير مستقل اسمى، مثل :

«وقد تزوَّجَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم خديجةً بنة خُوَيلدٍ / وهو شابٌّ / وهى طاعِنةٌ فى السِّن»[١].

(ب) تركيب مستقل اسمى + تركيب غير مستقل فعلى، مثل :

«فإذَا هى خَرَجتْ كالعادة / فـ / اسألوا فى أَمرى بأَجمعِكم فلَعلَّها تسألُ أَباها فِىَّ»[٢].

«والصِّدقُ لَديهِ كالحصاةِ / تُوطَأ بأقدامِ عُصاةِ»[٣].

النوع السادس :

الجمل التركيبية التى ربطت تراكيبها أداتان من أدوات الربط التركيبية.

لا يكتفى أبو العلاء، أحياناً، بأداة ربط تركيبية واحدة بل يتعداها إلى اثنتين أو ثلاث. ومن ذلك قوله :

«ولو / نَزل بها شىءٌ تتغيَّرُ به عن العهدِ / لـ / تمنَّى أَنْ تُقذفَ إلى غيرِ المَهْدِ / لِـ / أَنَّ ابنَ آدمَ بخيلٌ ملولٌ تسرِى به إلى المنيَّةِ أمونٌ ذَلُول»[٤].

«/ لو / أنه أحدُ لصوصِ العَربِ الذِين رُويتْ لهم الأمثالُ السائِرةُ، وتحدَّثَتْ بِهم المُنجدَةُ والغائرةُ / لَـ / مَا اغتفرتُ ما صَنعَ بما نَظَم / لِـ / أَنَّه أفرطَ وأَعْظَمَ، أى

(١) الرسالة، ص ٥٠٤.
(٢) الرسالة، ص ٢٥٧.
(٣) الرسالة، ص ٤٤٨.
(٤) الرسالة، ص ٣٩٧. - المهد: الموضع، والأرض السهلة المنخفضة.

أتَى عظيمةً وبَتَكَ مِنَ القَلاَئِدِ نظيمةً»[١].

* * *

تلك بعض نماذج الجمل التركيبية الواردة فى **الغفران** ومن خلال دراستنا لها استخلصنا الملاحظات التالية :

(أ) أغلب الجمل التركيبية هى الجملة التى يربط بين تراكيبها أداة من أدوات الربط التركيبية.

(ب) تعتبر : أَنْ، لَوْ، إذَا، لَمَّا، أكثر أدوات الربط التركيبية انتشاراً فى الرسالة.

ومما تجدر الإشارة إليه، بهذا الصدد، هو أننا نجد بالرسالة فقرات متتالية، بل أحياناً صفحتين أو أكثر تتوالى فيها جمل تركيبية تربط بين تراكيبها أداة من أدوات الربط التركيبية، وتتكرر تلك الأداة نفسها مع كل الجمل مرات عديدة.

وهذه بعض النماذج :

- فى الصفحات، من ١٥٧ إلى ١٦٤، تتردد الجمل التركيبية ذات الأداة «إن» ٢٥ مرة كما أشرنا، منذ قليل.

نفس الأداة تتردد فى جمل تركيبية متوالية، فى الصفحات، من ٤٧٩ إلى ٤٨١. ويتحدث فيها أبو العلاء عن الطيرة وعواقبها. ومن ذلك قوله :

«و / إنْ / عَرَضَتْ لهُ خَنْساءُ من البشرِ، فإنهُ لا يأمنُ من الشرِّ، يقولُ : أخافُ من رفيقٍ يَخْنِسُ[٢] وأمر يُدنِسُ / وإن / كانت الخنساءُ من الوحوش نَفَر قلبُه من الحُوش، / إن / رآها سانحةً هزَّت من رُعْبِه جانحةً، يقولُ قد ذهبَ أهلُ عقْلٍ وافر، من أربابِ المناسِم وصحبِ الحافر، يتَطيَّرونَ بالسنيحِ، ويرهبون معه ذهابَ

(١) الرسالة، ص ٤٠٤ - البتك : القطع، وبتك الحبل قطعه.

(٢) خنس يخنس، خنساً وخنوساً، تأخر، تنحى.

السانح والسنيح : ما أتاك عن يمينك من طائر أو ظبى، وكان بعضهم يتطير به.

المنيح بالفتح : قدح من قداح الشراب يؤثر بفوزه، يتيمن به ويتبرك.

المنيح / وإنْ / أَتَتْهُ بقَدَرٍ بارحَة، عايَنَ بها النَّجْلاءَ الجارحة، يقولُ : ألم يكُ ذوُو خيل وسرُوج، يَخشَونَ الغائلةَ من البرُوج ؟ / وإنْ / لَقِيَ رجلاً يُدعى أخنَسَ فكأنما لَقَى هِزَبْراً تبَهْنَسَ . . . »[١].

– تتردد فى الصفحتين ٢٩٣، ٢٩٤، حيث يقص أبو العلاء إحدى مغامرات جنى، الأداة التركيبية «لما» كقوله :

«دخلتُ مرَّةً دارَ أُناسٍ أُريد أن أصْرعَ فتاةً لهم، فَتَصَوَّرْتُ فى صورةِ عَضَل، أى جُرَذ، فدَعَوا لى الضَّيَاوِنَ[٢] / لَمَّا / أرهقَتْنى تَحَوَّلتُ صِلاًّ أَرْقَم، ودخلتُ فى قَطِيل[٣] هناك. فـ / لَمَّا / عَلموا ذلك كَشَفوهُ عنِّى فـ / لَمَّا / خِفْتُ القتل صِرْتُ ريحاً هَفَّافَةً فلحِقتُ بالرَّوافِدِ[٤] ونَقضوا تلك الخُشُبَ والأجذَال[٥] فلم يَرَوْا شيئاً. فجَعَلوا يَتَفَكَّنُون ويقولونَ : ليسَ ها هنا مكانٌ يُمْكِنُ أنْ يَسْتِتر فيه فـ / بينا / هُم يتذاكرون ذلك، عَمَدتُ لِكَعابِهم فى الكِلَّةِ[٦] فـ / لَمَّا / رأَتْنى أصابَها الصَّرَعُ . . . »

– مثال آخر نجده فى الصفحات من ٥٦٠ إلى ٥٧٤. يستطرد أبو العلاء من الحديث عن دنانير ابن القارح إلى ذكر أخبار لها تعلُّقٌ بالدينار وعُشَّاق الدينار. إن ما يلاحظ فى أسلوب هذه الصفحات هو أن الجمل التركيبية ذات الأداة «لَوْ» تكتسح جل الفقرات وإن لم تتوال فيها، كما توالت الأدوات المشار إليها سابقاً.

– تتردد الجمل التركيبية ذات الأداة التركيبية المفردة «مَنْ» فى الصفحة ٥٥٦، وفيها يتحدث أبو العلاء عن مدمنى الخمر وما يعتريهم من سوء العاقبة، ومن ذلك قوله :

«/ من / اصطبحَ فَيْهجاً فقد سلكَ إلى الداهيةِ منهجاً / مَنْ / اغتبق أمَّ ليلى، فقد سَحَب فى الباطِل ذَيلا / من / غَرِى بأم زَنْبَق فقد سمَح بالعقل الموبَق / من / حَمل

---

(١) الرسالة، ص ٤٨٠.

(٢) الضياون : جمع ضيون وهو السنور الذكر.

(٣) القطيل، والمقطول : المقطوع من أصل جذع.

(٤) الروافد : جمع رافدة وهى خشبة السقف، الوَصْلة.

(٥) الجذل من الشجرة : أصلها الباقى بعد ذهاب فروعها.

(٦) الكلة غشاء رقيق يتقى به من البعوض.

بالراحة راحاً فقد أسرعَ للرَّشَدِ سَراحاً/من/رضىَ بصُحْبةِ العُقارِ فقد خلعَ ثوبَ الوقار/من/أدمنَ قَرقَفا فليس على الواضحةِ موقفا/من/سَدِكَ بالخُرطوم رجع إلى حالِ المفطوم».

إن أمثال هذه الجمل تتكرر مع الأداة التركيبية المفردة «إذَا» فى الصفحات ٥١٧ إلى ٥٢١ وفيها يستطرد أبو العلاء من الحديث عن توبة ابن القارح إلى قص قصة خيالية تتعلق بموضوع التوبة، ويختم القصة بقوله:

«و/إذا/صحَّت الأخبارُ المنقولةُ بأن أهلَ الآخرة يعلمون أخبارَ أهلِ العاجلةِ، فلعلّ حواريَّهُ المعَدَّاتِ لهُ فى الخُلْدِ، يسألنَ عن أخبارِه من يَرِدُ عليهن من الصُّلحاءِ فيَسمعْنَ مرَّةً أنه «بالفُسطاطِ» وتارةً أنه «بالبصْرة» ومرةً أنه «ببغداد» وخطرةً أنه «بحلبَ»، فـ/إذَا/شاعَ أمرُ التوبةِ ومات ناسكٌ من أهلِ «حلبَ»، أخبرهنَّ بذلك فَسُرِرْنَ وابتهجنَ وهنَّأهُنَّ جاراتُهنَّ»[1].

هكذا تتردد أمثال تلك الجمل التركيبية ذات الأداة الواحدة، والنغم المتناسق مرات كثيرة. وكأنى بأبى العلاء، وهو يمليها، يرتاح لها كامل الارتياح، الشىء الذى قد لا يستسيغه المبصرون. فهل يعزى ذلك إلى عماه، أو إلى طبيعة الإملاء؟ قد يكون الاثنان، معاً، أثرا على الأسلوب، على أن العمى يقتضى الإملاء حتماً.

إن العمى عاهة، بيد أن شخصية أبى العلاء المتحدية قد استطاعت أن تملى، وتبرع فى الإملاء، فتميزت عن كثير من الكتاب العمى، كما تميزت عن كثير من الكتاب المبصرين. فللغة المعرى خاصيات تركيبية ينفرد بها نثره. أليس للإملاء فنية خاصة؟ إن الذى تعود التأليف كتابة يعجز عنه إملاءاً، ولعل هذا ما يعانيه سارتر بعد أن فقد بصره.

سئل سارتر أخيراً لماذا توقف عن الكتابة، وعما إذا كان فقدان البصر هو السبب، فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا يملى؟ أجاب، إن الكتابة لا تتحقق عنده إلا بقلمه وأصابعه هو، لا بأصابع مستعارة، ثم لكى تكون كلماته مسبوكة سبكاً

---

(١) الرسالة، ص ٥٢١.

تامًّا، وأسلوبه منسجماً ودقيقاً، يجب أن يعيد كتابة الجمل مرات عديدة. فيحرر الفكرة فى أشكال متنوعة.

* * *

هذه هى بعض الملاحظات التى استنتجناها من دراسة أنواع الجمل التركيبية. وفى الصفحات التالية سنعمل على إبراز أهم خصائص الجمل العلائية ومميزاتها.

obeikandl.com

خصائص الجمل العلائية إحصائيًا

قلنا سابقًا إننا نجيز لأنفسنا أن نصف أبا العلاء بأنه كاتب ذو نفس تركيبى طويل، وذلك لما لاحظنا فى تراكيبه وجمله من امتداد داخلى، أى ترابط تراكيب عديدة مستقلة وغير مستقلة داخل الجملة الواحدة. وقد كانت تلك الملاحظة الدافع الأول الذى جعلنا نعير اهتمامًا خاصًا للجمل العلائية. وهكذا خصصنا لها هذا الباب. وبعد أن درسنا أنواع الجمل الواردة فى **رسالة الغفران**، وحاولنا الكشف، من خلال الشواهد المتعددة، عن خصائص كل من الجمل البسيطة، والمركبة، والتركيبية استخلصنا أن بعض الأنواع قليل الورود، وبعضها الآخر شائع مطرد.

ونحن إذ نتعرض لدراسة الجمل والتراكيب، نود أن نتعرف على ميل أبى العلاء فى اختيار نوع خاص من تلك الجمل، ونرغب فى معرفة أيها أكثر تواتراً فى **الغفران**، وبالتالى ماهو الطابع العام الذى يطبع التراكيب العلائية ويميزها. لذا سنقوم بتجربة إحصائية، تحدد لنا نسبة كل نوع من الجمل لنرى فيما إذا كانت المركبة والتركيبية أعلى نسبة من الجمل البسيطة، كما يبدو لأول وهلة فى لغة **الرسالة**، أم أن الواقع عكس ذلك. ولتحقيق هذا اخترنا المنهج التالى:

(أ) استقراء عام لجمل الرسالة.
(ب) إحصاء عدد جمل كل نوع.

(أ) التجربة الاستقرائية:

لقد بدا لنا، من خلال استقراء جمل **رسالة الغفران**، أن الجمل البسيطة أقل أنواع الجمل وروداً بها، فقليلا ما نعثر على تركيب واحد مستقل بنفسه، ما عدا الجمل التى يستخدمها أبو العلاء فى شرح بعض المفردات، مثل قوله:

«والفَرْضُ ضربٌ من التمر»[١].

«وأما المُسفَّةُ الدَّهماء فإنها القِدْر»[٢].

«أعظم أى أتى عظيمة»[٣]

«وهى (شِقْذ) فراخُ الحجل»[٤].

«وهى (العماريس) الجِداء»[٥].

«وهو البرق الكاذِب»[٦].

ويمكن أن نعتبر هذه الجمل وأمثالها بسيطة إذا نظرنا إليها مستقلة عما قبلها، رغم أنها تأتى مفسرة لكلمة ترد فى تركيب سابق. ومسبوقة فى غالب الأحيان، بالأداة المفسرة «أى» كما سنرى ذلك فى فصل قادم.

هناك نوع آخر من الجمل التى قد تعتبر بسيطة، هو الجمل الدعائية، مثل قول أبى العلاء:

«حَسَّنَ الله الأيامَ بطُول عُمره»[٧].

«أَصلحَ الله بهِ وعلى يَدَيْه»[٨].

«عَرَّفهُ الله الغبطةَ فى كلِّ سَبِيل»[٩].

مما لا شك فيه أن الجمل الدعائية ترتبط ارتباطاً دلاليًّا بما قبلها. وإن كانت هذه الجمل الدعائية والجمل المفسرة، تدخل ضمن الجمل التى لا محل لها من الإعراب فى الجملة التى توجد بها، كما يقرر ابن هشام. إلا أنه يبدو لنا أن استقلالها بالفائدة عما قبلها ليس استقلالا تامًّا، وهى بذلك، كما يظهر، تظل نوعاً خاصًّا من الجمل، سواء جاءت بسيطة أم مركبة.

---

(١) رسالة الغفران، ص ١٦٢.
(٢) رسالة الغفران، ص ٢٤٥.
(٣) رسالة الغفران، ص ٤٠٤.
(٤) رسالة الغفران، ص ١٦٠.
(٥) رسالة الغفران، ص ٢٧١.
(٦) رسالة الغفران، ص ٣٩١.
(٧) رسالة الغفران، ص ١٧٥.
(٨) رسالة الغفران، ص ٢٣١.
(٩) رسالة الغفران، ص ٣٠٧.

بصرف النظر عن هذين النوعين من الجمل البسيطة الواردة فى **الغفران** فإن نتائج الاستقراء الإجمالية أبدت لنا أن أقل أنواع الجمل التى يستخدمها أبو العلاء هو **الجمل البسيطة**، وسنحاول أن نضبط هذا الاستنتاج بعملية الإحصاء التالية :

(ب) التجربة الاحصائية :

وقع اختيارنا فى هذه التجربة على نموذجين للإحصاء :

١ - صفحات اخترناها اعتباطيًّا.

٢ - خمس صفحات متوالية من القسم الأول من الرسالة، وخمس صفحات أخرى من القسم الثانى.

فيما يلى نورد حصيلة العمل فى كل نموذج.

النموذج الأول :

إحصاء عدد الجمل البسيطة والمركبة والتركيبية فى الصفحات التالية : ١٩٨ - ٢٣٣ - ٤٢٤ - ٥٧١ - ٢٨٠.

(أ) صفحة ١٩٨، وفيها يصف أبو العلاء مشهد صيد ابن القارح لوحوش الجنة. بها من أنواع الجمل ما يعرضه الجدول التالى مع بعض الأمثلة :

نوع الجمل	العدد	أمثلة
بسيطة	١	«فيكف عَنْهُ مولاى الشيخُ الجليل».
مركبة	٢	- «فيقولُ الشيخُ : فَينبَغِى أن تَتَميَّزْنَ/فَما كان مِنكنَّ قد دَخلَ الفانيةَ فما يَجبُ أنْ يَخْتَلِطَ بِوُحُوشِ الجنَّةِ».
	٣	- «فيقولُ ذلك الوحشِيُّ : لقد نَصَحْتَنا نُصْحَ الشفيق/ وسوف نمتثِلُ ما أمَرْتَ».

نوع الجمل	العدد	أمثلــة
تركيبية	٤	- «فإذَا نَظر إلى صِوَار تَرتَعُ فى دَقَارِىّ الفِرْدَوس، والدَّقارِىُّ: الرياضُ / صَوَّبَ مولاى الشيخُ المِطْرَدَ، وهو الرمحُ القصيرُ، لأخنَسَ ذَيَّالٍ / قد رتَع طويلَ أيامٍ وليال».
		- «فإذَا لَمْ يبق بينَ السِّنانِ وبينه إلاَّ قَيْدُ ظُفْرٍ / قال: «أمْسَك / رحمَكَ الله فإنى لستُ من وحشِ الجَنَّةِ التى أنشأهَا الله سبحانه / ولَمْ تَكُنْ فى الدار الزائلةِ / ولكِنّى كنتُ فى محلَّةِ الغُرُور / أرودُ فى بعضِ القِفار / فمرَّ بى ركبٌ مؤمنونَ / قد كَرَى[1] زادُهم / فصرَعُونى / واستعانوا بِى على السَّفَر / فعَوَّضَنى الله / جَلَّت كلمَتُه / بأنْ أسْكَنَنِى فى الخُلُودِ».
		- «فإذا صَارَ الخرصُ[2] منه بِقْدر أنملةٍ / قال: «أمْسِك يا عبدَالله / فإنَّ الله أنْعَمَ علىَّ / ورَفَع عنّى البُؤسَ / وذلكَ أنى صادَنِى صائِدٌ بمخْلَبٍ / وكَانَ إهابِى لَهُ كالسَّلَب / فباعَهُ فى بعضِ الأمْصَار / وصَرَاه لِلسَّانية صَار / فاتُّخِذَ منه غَرْبٌ / شُفِى بمائه الكَرْبُ / وتطهَّر بنزيعِه الصالِحون / فشملتنى بركة من أولئك / فدخلت الجنة / أرْزَقُ فيها بِغيرِ حِسَاب».

يلاحظ أن الجملة التركيبية الثانية تتكون من:

الأداة + تركيب مستقل + تركيب غير مستقل (يتكون من ستة تراكيب مستقلة تربط بينها الواو مرة، والفاء مرة أخرى).

(١) كرى زاده: نقص.

(٢) الخرص، مثلثة الخاء: نصف السنان الأعلى، وقيل هو الرمح. وبالكسر وحده: الرمح اللطيف القصير.

ومما يلفت النظر هو أنه فى التراكيب الثلاثة المستقلة الأولى من هذه الستة، تركيب غير مستقل يقع حالاً، يرتبط بالتركيب المستقل بالربط السياقى. فجاءت ثلاثتها مرصوفة على نفس الوتيرة:

«فإنى لستُ من وحشِ الجنةِ التى أنشأها اللهُ سبحانه / ولم تكنْ فى الدارِ الزائلة».

«ولكنى كنتُ فى محلةِ الغُرور / أرودُ فى بعض القِفار».

«فمر بِى ركْبٌ مؤمنون / قد كَرى زادُهم».

ويلاحظ، كذلك، أن الجملة التركيبية الثالثة تتكون من:

- الأداة + تركيب مستقل + تركيب غير مستقل يتكون من عشرة تراكيب مستقلة يربط بينها الواو، أحيانًا، والفاء أحيانًا أخرى، وأحد هذه التراكيب العشر به تركيبٌ غير مستقل معطوف عليه آخر مستقل وهو:

«فاتُّخِذَ منهُ غرْبٌ شُفىَ بمائه الكَرْبُ / وتطهَّر بنزيعهِ الصالحون».

(ب) صفحة ٢٣٣، يصف أبو العلاء نهاية مشهد شجار قام بين «الأعشى» و«النابغة الذبيانى». بهذه الصفحة من أنواع الجمل ما يلى:

نوع الجمل	العدد	أمثلة
بسيطة	١	«وقيلَ لِبَعضهم: متى يُخافُ شَرُّبَنِي فُلان؟».
مركبة	٧	«فيريدُ - بلَّغه الله إرادَته - أن يُصْلِح بين النَدَماءِ / فيقولُ: يجبُ أن يُحْذَر من مَلكٍ يعبرُ/فَيَرى هذا المجلِسَ/ فيرفع حديثَه إلى الجبار الأعظم / فلا يَجُرُّ ذلكَ إلا إلى ما تَكْرهَان».

نوع الجمل	العدد	أمثلــة
تركيبية	١	«فيقول نابغةُ بني جعدةَ : قد كان الناسُ في أيام الخادِعَةِ يظهرُ عنهم السَّفَهُ بشُرْبِ اللبنِ، لا سِيما إذَا كانُوا أرِقَّاءَ لِئامًا كما قال الراجز. . »

(جـ) صفحة ٤٢٤، وموضوعها حديث عن «القطربلى». نجد بهذه الصفحة من أنواع الجمل :

نوع الجمل	العدد	أمثلــة
بسيطة	١	«والخِربَقُ سُمُّ الكلابِ مَعْرُوفٌ».
مركبة	٤	«فأمَّا أن يَعْمَل الرجلُ شيئاً من كتاب / ثم يُتَمِّمُه الآخرُ فهو أسوَغُ في المعقولِ من أن يَجْتَمِعَ عليه الرجُلان».
تركيبية	٢	«ونحوٌ منهُ قصَّةُ الخالدِيينْ اللذين كانا في «المَوْصِلِ» / وهُمَا شاعِرَان / وقد كانا عند سيفِ الدَّوْلَة / وانصرَفا على حَدٍّ مُغاضَبةٍ / ولهما ديوانٌ / يُنسَب إليهما / لا ينفردُ فيه أحدُهما بشيءٍ دُونَ الآخرَ إلا في أشياءَ قليلة / وهذا مُتَعَذِّر في وَلَدِ «آدمَ» إذ كانت الجِبِلَّةُ على الخِلافِ وقلةِ الموافَقةِ».

(د) صفحة ٥٧١ وفيها طرف من حديث أبي العلاء عن دنانير ابن القارح. بهذه الصفحة من الجمل ما يلى :

نوع الجمل	العدد	أمثلــة
بسيطة	١	«وإنما ذَكَرْتُ ذَلك لِقَولِ الأعْشَىَ. . . »
مركبة	٠	
تركيبية	٣	«ولو كان الإنسانُ فى قَلِيب عُمقُه ثمانون قامةً لجازَ أن تَسْتَنْقِذَه هذه المصفرَّةُ من غير مرضٍ ، والزائلةُ بما يعترِضُ من الجَرَضِ »[1].

(هـ) صفحة ٢٨٠ يصف أبو العلاء الولدان المخلدين يحملون سلال الفقاع. بهذه الصفحة نجد :

نوع الجمل	العدد	أمثلــة
بسيطة	١	«فيقول قائلٌ من الحاضرين : من ذكرَ هذا من أهْلِ اللغَةِ ؟».
مركبة	٢	«فيقولُ فى نفسه : قد علمتُ أنَّ الله قديرٌ/والذى أريدُ نحوُ ما كُنت أراهُ معَ الطوَّافينَ فى الدارِ الذاهِبة».
تركيبية	٣	«ويَخْطِرُ له ذِكر الفقاع الذى كان يُعْمَل فى الدارِ الخادعةِ/ فيجرِى الله بقدرته أنهارًا من فقاع/الجرعةُ منها لو عُدِلت بلذاتِ الفانيةِ منذ خَلَقَ الله السمَوَاتِ والأرضَ إلى يوم/ تَطوِى الأُمَمَ الآخرةُ / لكانت أفضلَ وأشَفَّ».

(١) الجرض : الريق يغص به.

ماذا نستخلص من إحصاء أنواع الجمل فى صفحات هذا النموذج؟

يبدو جليًّا أن نسبة ورود الجمل البسيطة أقل بكثير من نسبة كل من الجمل المركبة والتركيبية إذ تساوى سُدُس مجموع الجمل. والجدول التالى يعطينا نتائج إحصاء الجمل فى الصفحات المتقدمة:

نوع الجمل	العـدد
البسيطة	٥
المركّبة	١٥
التركيبية	١٣

ننتقل الآن إلى إحصاء أنواع الجمل فى النموذج الثانى.

النموذج الثانى:

صفحات متتالية منتقاة من الفصل الأول من **رسالة الغفران** وأخرى من الفصل الثانى.

وقع اختيارنا على الصفحات التالية:

(أ) من صفحة ٢٤٩ إلى صفحة ٢٦٢ من الفصل الأول.
(ب) من صفحة ٤٤٩ إلى صفحة ٤٦٢ من الفصل الثانى.

(أ) صفحات الفصل الأول (من ٢٤٩-٢٦٢).

يحكى ابن القارح فى هذه الصفحات قصة حشره وما لقيَه من مشاق قبل دخول الجنة. وقد استخلصنا من إحصاء جمل هذه الصفحات أن عدد جمل كل نوع هو ما يلى:

نوع الجمل	العدد	أمثلــة
بسيطة	٢٤	«فأيُّكم راعِى الإبل»؟[١].
مركبة	٢٦	«وشُغِلْتُ بِخطابِهم والنظرِ فى حَوِيرهم فسقطَ مِنِّى الكتابُ الذى فيهِ ذِكر التوْبة»[٢].
تركيبية	٤٥	«فلما عَظُم الزحامُ طَارتْ فى الهواء وأنا متعلِّقٌ بالركاب، فوقفتْ عندَ مُحمد صلى الله عليه وسلم فقال: مَنْ هَذا الأتاوى؟ أى الغريب، فقالتْ له: هذا رجل سألَ فيه فلان وفلانٌ/وسمت جماعة من الأئمةِ الطاهرين/فقال: حتَّى يُنْظَر فِى عمله»[٣].

(ب) صفحات الفصل الثانى: (من ٤٤٩ إلى ٤٦٢).

يتحدث فيها أبو العلاء عن الحلاج، ومذهبى الحلولية والتناسخ:

نوع الجمل	العدد	أمثلــة
بسيطة	١٤	«وأصحابُ العربيةِ مُجْمِعوُن على كراهةِ قراءةِ حمزةَ: (وما أنْتُم بِمُصْرِخىَّ)، بِكسر الياء»[٤].
مركبة	٢٤	«ويُصوِّر لهم الرأىُ الفاسدُ أَبا جِير ومشبَّهاتٍ/فيَسلكُون فى تُغلسٌ وفى التُّرَّهات»[٥].

(١) الرسالة، ص ٢٦٢.
(٢) الرسالة، ص ٢٥٦. - الحوير: الجواب، والاسم من المحاورة.
(٣) الرسالة، ص ٢٥٩-٢٦٠. (٤) الرسالة، ص ٤٥٥. (٥) الرسالة، ص ٤٥٩.

نوع الجمل	العدد	أمثلــة
تركيبية	٦	«وحدَّثنى قَومٌ من الفُقهَاء / ما هم فى الحكايةِ بكاذبين / ولا فى أسبابِ النِّحَل جاذِبين أنَّهم كانوا فى بلادِ مَحمودٍ / وكانَ معهُ جماعةٌ من الهندِ / قد وَثِقَ بِصفائِهم / يُفيضُ عليهم الأعطيةَ لِوفائِهم / ويكونون أقربَ الجندِ إليه إذا حَلَّ وإذَا ارتحلَ / وأنَّ رجلاً منهم سافرَ فى جيشٍ / جَهَّزَه «محمودٌ» / فجاءَ خبرُه أنَّه قد هلَك بموتٍ أو قَتلٍ / فجمَعت امرأتُه لها حطبًا كثيرًا / وأوقدت نارًا عظيمةً / واقتحمتْها / والناسُ ينظرُون»(٢).

ويمكن أن نلخص مجموع نتائج صفحات النموذج الثانى فى الجدول التالى :

نوع الجمل	العدد
بسيطة	٣٨
مركبة	٥٠
تركيبية	٦٩

خلاصة الإحصاء :

تؤكد لنا التجربة الإحصائية فى نموذجيها السابقين النتيجة التى استخلصناها من التجربة الاستقرائية إذ تسجل أرقام الإحصاء فيها أن عدد الجمل البسيطة أقل من عدد الجمل المركبة والتركيبية، فهى على أكبر تقدير لا تتعدى الربع من مجموع

(١) الرسالة، ص ٤٦٠.

الجمل العلائية. والجدول التالى يعطينا النتائج الإجمالية لإحصاء أنواع الجمل فى النموذجين السابقين :

نوع الجمل	العدد
البسيطة	٤٣
المركبة	٦٥
التركيبية	٨٢

تلك هى الخاصية الأولى التى تتميز بها الجمل العلائية فى لغة **رسالة الغفران**. وفيما يلى نتناول تحليل خاصية أخرى تتعلق بتقنية تركيب أبى العلاء لجمله المركبة والتركيبية.

* * *

من الملاحظ أن التفرقة بين الجمل التركيبية والجمل المركبة فى لغة **الرسالة** صعبة جدًّا، ذلك أن بين النوعين تداخلاً كبيرًا، حيث أننا كثيرًا ما نجد أبا العلاء يبدأ جمله مركبة (تركيب مستقل + تركيب مستقل) ثم يفرع عن الجملة كلها أو عن تركيب من تراكيبها المستقلة تركيبًا أو تراكيب أخرى غير مستقلة تكون صفة أو حالا لأحد أركان التركيب السابق، فتجدنا أمام جملة تبدأ مركبة وتنتهى تركيبية.

وبالمثل، غالبًا ما نجد جملا أخرى تبدأ تركيبية (تركيب مستقل + تركيب غير مستقل) ثم يتفرع عنها كلها أو عن أحد تراكيبها تركيب أو تراكيب أخرى مستقلة معطوفة على سابقها، بأداة أحيانًا، وبدون أداة أحيانًا أخرى. وبذلك تنتهى الجملة التركيبية بالجمع بين عناصر الجملة المركبة.

كل ما تقدم يجعل الجمل «المركبة» و «التركيبية» تجمع بين خصائص النوعين معًا، فيصعب التمييز بينهما، وبالتالى، يصعب إخضاع التراكيب العلائيه لمقاييس

مضبوطة مدققة تميز كل نوع من الجمل على حدة.

التطبيق :

الجمل التى تبتدئ مركبة وتتحول، لما بها من تراكيب غير مستقلة، إلى جمل ذات خصائص الجمل المركبة والتركيبية. من ذلك قول أبى العلاء :

- «فبعثَ(أ) معِى رجُلاً / فلَمَّا قصَّ(ب) قِصَّتى على أمير المؤمنين قال : أين بَيِّنَتُك؟ يعنى(جـ) صحيفةَ حَسَناتِى»(١).

تتكون الجملة من ثلاث تراكيب مستقلة : (أ، ب، جـ).

ويربط بين التركيب (أ) و (ب) «الفاء» وبين التركيب (ب) و(جـ) الربط السياقى.

بالتركيب (ب) أداة شرط «لما» (أداة ربط تركيبية) تتطلب بدورها تركيبين أحدهما غير مستقل :

«قَصَّ قصتى على أمير المؤمنين».

والآخر مستقل :

«قالَ : أين بَينتُك؟».

مثال آخر :

«وأخذَ(أ) اليهودىَّ / وذهب(ب) إلى حديقته / فوجد فيها(جـ) امرأته وأبناءَه وهُم يأكلون من جَنَاها / فجَعلَ يُدخِلُ إصبعه (د) فى أفواهِهم فيُخرِجُ ما فيها من التمرِ»(٢).

تتكون هذه الجملة المركبة من أربعة تراكيب مستقلة هى المشار إليها بالحروف (أ - ب - جـ - د). يربط بين التركيبين (أ) و(ب) رابط التسوية «الواو» وبين التركيبين (ب) و(جـ) ثم (جـ) و(د) «الفاء».

---

(١) الرسالة، ص ٢٥٤.

(٢) الرسالة، ص ٥٢٧.

ويلاحظ أن التركيب (جـ) يتكون بدوره من تركيب مستقل:

«فوجد فيها امرأته».

وتركيب غير مستقل:

«وهم يأكلون مِن جَناها»

ويربط بينهما «واو الحال».

ويتكون التركيب (د) من تركيبين مستقلين عطف ثانيهما على الأول بأداة العطف (الفاء) فـ / يُخرِج ما فِيها من التمرِ»

مثال آخر:

«فيبتدئ(أ) بِزهير/فيجدُه شَابًّا(ب) كالزَّهْرَةِ الجَنِيَّة/قد وهبَ(جـ) له قَصْرٌ من ونية كأنَّه ما لبس(د) جلباب هَرم ولا تأفَّفَ من البَرَمِ»[1].

تتألف الجملة من أربعة تراكيب: (أ - ب - جـ - د) وهى تتوالى كما يلى:

التركيب (ب): مستقل معطوف على التركيب (أ).

التركيب (جـ): غير مستقل، حالٍ من «زهير» فى التركيب المستقل (أ).

التركيب (د): تركيب مستقل حال من «زهير» فى التركيب المستقل (أ)، أيضًا، ويحتوى على تركيب مستقل آخر، هو:

«ولا تأفَّفَ من البَرَمِ»، معطوف «بالواو» على التركيب: «ما لَبِسَ جِلبَابَ هَرَمٍ».

مثال آخر:

«فيقول مولاى الشيخُ الأديبُ المُغْرَم بالعِلْم: يا أبا ليلى(أ)/لقد طال(ب) عهدُك بألفاظ الفُصحاء/وشَغَلك(جـ) شرابٌ/ما جاءتك(د) بِمثله بابلُ ولا أذْرِعات/وثَنتكَ لُحوم(هـ) الطيرِ الراتعةِ فى رياضِ الجنَّةِ / فَنَسِيتَ(د) ما كُنتَ عَرَفْتَ»[2].

---

(١) الرسالة، ص ١٨٢.

(٢) الرسالة، ص ٢٠٩.

مثال آخر :

«وأما القَصَّارُ فجهلٌ يُجْمَعُ ويُصَارُ / ولَوْ تَبِعَ حِقًّا مَقروبًا / لَكُفِيَ سُمًّا مشرويًا»[١].

تلك بعض أمثلة الجمل التى تبدأ مركبة ثم نجد فى بعض تراكيبها المستقلة، تراكيب غير مستقلة تجعل الجملة تجمع بين خصائص الجملة المركبة والجملة التركيبية...

وفيما يلى نسوق أمثلة للشكل الثانى.

الجمل التى تبتدئ تركيبية ثم تتحول لما تحتوى عليه من تراكيب مستقلة، إلى جمل تجمع بين خصائص الجمل التركيبية والجمل المركبة. ومن ذلك قول أبى العلاء :

- «فإذَا رأى(أ) قلَّة الفَوائِد لَدَيْهم / تركَهم(ب) فى الشَّقَاءِ السَّرْمَدِ / وعمد(جـ) لمحلِّهِ فى الجنانِ / فَيلْقَى آدمَ، عليه السلام(د)، فى الطريق / فيقول : يا أبانا(هـ)، صلى الله عَليك قَدْ رُوى لَنَا عَنْكَ شِعر منه قَوْلُك»[٢].

تتكون الجملة من خمسة تراكيب : (أ - ب - جـ - د - هـ) وقد جاءت كما يلى :

التركيب (أ) غير مستقل.

التركيب (ب) مستقل.

التركيب (جـ) مستقل معطوف بالواو على التركيب المستقل (ب).

التركيب (د) مستقل معطوف بالفاء على التركيب المستقل (جـ)، ويحتوى التركيب على جملة دعائية : «عليه السلام».

التركيب (هـ) تركيب مستقل معطوف «بالفاء» على التركيب (جـ) ويتكون من

(١) الرسالة، ص ٤٣٧. الحق من الإبل : الطاعن فى السن للذكر والأنثى - المقروب المصاب بالقرب أى الخاصرة.
(٢) الرسالة، ص ٣٦٠.

مقول القول الذى يتألف من ثلاثة تراكيب مستقلة يربطها رابط سياقى، وهى : «يا أبانا»، «صلى الله عليك»، «قد روى لنا عنك شعر منه قولك».

مثال آخر :

- «تَهدِر فيهِ الصهباءُ(أ) المُعتصرةُ/وهى فى قُربِ نِتاج(ب)، كالسِّقابِ المَوْضوعةِ بغَيرِ إخْدَاج/فإذا وصلتْ(جـ) سنَّ البَازل/بطل الهديرُ(د)/وأَدَارها(هـ) فى الكأسِ مُدِيرٌ»(١).

تتركب الجملة من خمسة تراكيب : (أ - ب - جـ - د - هـ). جاءت كما يلى :

التركيب (أ) مستقل.

التركيب (ب) غير مستقل يربطه بالتركيب المستقل (أ) «واو الحال»

التركيب (جـ) غير مستقل يرتبط مع التركيب (ب) بأداة التسوية «الفاء»

التركيب (د) مستقل يرتبط مع التركيب غير المستقل (جـ) بأداة الربط التركيبية «إذا».

التركيب (هـ) تركيب مستقل معطوف «بالواو» على التركيب (د).

مثال آخر :

«ونحو منه قِصَّة الخَالِديين اللذيْن كَانَا فى المَوصْل/وهُمَا شَاعران/وقَد كَانا عندَ سَيْفِ الدولةِ/وانْصَرَفَا على حَدٍّ مُغَاضَبَة/ولهمَا دِيوانٌ/يُنسب إليهما/لَا يَنْفردُ فِيه أَحَدُهُما بِشَىءٍ دونَ الآخر، إلَّا فى أشياء قليلة/وهذا مُتعذِّر فى وَلَدِ آدمَ إذْ كانت الجِبِلةُ على الخِلَافِ وقلة المُوافقة»(٢).

---

(١) الرسالة، ص ٢٢٣. السقاب : جمع سقب وهو ولد الناقة ساعة يولد. - إخداج : من أخدجت الدابة، ألقت ولدها ناقص الخلق، أو قبل تمام أيامه. - البازل : جمع بوازل يطلق على البعير حين يظهر نابه.

(٢) الرسالة، ص ٤٢٤.

مثال آخر :

- «وكان لَهُ غُلامٌ / يعدُ نفسَهُ التوبة / فسقطتْ عليهِ آجُرَّةٌ فَقَتلْته / والدنيا الغرارةُ خَتَلَتْه»[١].

الخلاصة :

من تحليل الشواهد السابقة ونماذج التطبيقات كلها يتبين لنا إلى أى مدى، تتداخل أنواع التراكيب فى الجملة الواحدة، حيث أغلب جمل الرسالة تجمع بين شتى التراكيب المستقلة المعطوفة، والتراكيب غير المستقلة التى تجىء حالا أو صفة. . . وإن ما سقناه من الشواهد هو قليل من كثير، **فالغفران** تزخر بأمثال هذه النماذج.

نستنتج مما تقدم أن الجمل العلائية فى مجموعها جمل مركبة أو تركيبية وأن كثيرًا منها. إن لم نقل جلها، يجمع بين خصائص النوعين، الشىء الذى يميز تقنية التركيب فى لغة **رسالة الغفران**، ويضفى عليها طابعًا **علائيًا** له خصائص الامتداد الداخلى، **وتشابك التراكيب تشابكًا متسلسلا يعكس شخصية أبى العلاء الأعمى الذى يملى ولا يكتب**، فينساب فى سرد التراكيب المتوالية داخل الجملة الواحدة.

هكذا جاءت جمله تعبر، بصدق، عن عالم الأعمى، المظلم - المضىء، الذى لا تظهر فيه المرئيات لتقطع نفس التخيل والوصف، والتعبير فى ارتباط وتسلسل. ولعل هذا هو أكبر ما يطبع لغة **الغفران** ويميزها ويؤكـــد ما قلناه سابقًا، من أن أبا العلاء يتميز بالنفس التركيبى الطويل، كما يتجلى من لغة **الغفران**.

وإذا كانت طبيعة أبى العلاء الأعمى وطبيعة **الغفران** مضمونًا ومنهجًا قد فرضا نوعًا من التراكيب الممتدة المتداخلة، فإن مما يفيدنا أن نتعرف على أنواع الجمل لديه : الجمل الفعلية والجمل الاسمية.

وهذا ما سنتناول الحديث عنه فى الفصل الذى يلى.

---

(١) الرسالة، ص ٥٢٩.

الفصل الثالث

الجمل الفعلية والجمل الاسمية
فى رسالة الغفران

بعد أن درسنا أنواع الجمل، من حيث كونها بسيطة أو مركبة أو تركيبية، وأتينا بنماذج لكل منها فى رسالة الغفران، سنعمل الآن على دراسة الجمل العلائية من وجهة نظر أخرى، أى حيث مجيئها فعلية أو اسمية، للكشف عن ميل أبى العلاء ومدى تفضيله لإحداهما على الأخرى، محاولين تعليل هذا، قدر المستطاع.

لن يتسنى لنا ذلك قبل أن نحدد مفهوم الجملتين الفعلية والاسمية، ونعرف دور كل من الفعل والاسم فى تركيب الجملة، ونتعرف على مدى شيوع الجمل الفعلية والجمل الاسمية، فى اللغة العربية، عموماً، ثم وجهة نظر بعض اللغويين القدامى والمحدثين فى الموضوع.

تتركب الجملة العربية، كما رأينا، من مسند ومسند إليه، ولا يخلو أن يكون المسند فعلا، أو اسماً، أو صفة، أو جاراً ومجروراً، أو ظرفاً. وفى كل، إما أن يتقدم المسند على المسند إليه وإما أن يتأخر. ويتولد عن كل حالة نوعٌ من الجمل يختلف عن الآخر، اختلاف الفعل عن الاسم، وعن الصفة وعن شبه الجملة. وسنقف قليلا لتعريف كل منها.

الاسم:

هو «مادل على مسمى وليس الزمان جزءاً منه».

ولم يكتف بعض اللغويين المحدثين بهذا التعريف، بل جعلوا الاسم خمسة أقسام:

١ - الاسم المعين، كالأعلام.

٢ - اسم الحدث بما فى ذلك المصدر.

٣ - اسم الجنس الجمعى، واسم الجمع.

٤ - مجموعة من الأسماء ذات الصيغ المشتقة كاسم الزمان، واسم المكان...

٥ - الاسم المبهم، كتحت وفوق...[١]

ويقوم الاسم فى الجملة، بدور المسند إليه.

الفعـل :

هو «مادل على حدث وزمن».

ولا نريد هنا أن نتعرض للحديث عن كيفية دلالة الفعل على الحدث والزمن وتضافر كل من المستوى الصرفى والمستوى النحوى لتحميل الفعل معنى الزمن فقد فصل ذلك بكامل العناية الدكتور تمام حسان[٢]. إن الذى يهم موضوعنا، هو الفعل كركن من الأركان الأساسية فى تكوين الجملة.

والفعل فى الجملة يقوم بدور المسند، وقد لا يحتاج إلى مفعول به فيكون لازماً، وقد يحتاج إلى مفعول به واحد، كما قد يتعدى إلى مفعولين أو ثلاثة.

الصـفة :

تدل على الموصوف بالحدث وتأتى مسنداً، أى خبراً لمبتدا، كما تأتى مسنداً إليه، فتكون مخبراً عنه، وتكون فاعلا أو مفعولا به، أو قيداً من القيود المكملة فى جملة، كالنعت والمجرور[٣].

---

(١) انظر تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص ٩١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٠٣.

الجار والمجرور، والظرف :

متى جَاء أحدهما مسنداً فى جملة احتيج إلى تقدير متعلق به مثل تقدير كلمة «مستقر» أو «يستقر» أو «كائن» ليستقيم الكلام وتتم الفائدة المتوخاة.

وهكذا، نرى أن الاسم لا يأتى إلا مسنداً إليه، وأن الفعل، والجار والمجرور، والظرف كلها تختص بدور المسند، وأن الصفة تمتاز بإمكان مجيئها مسنداً أو مسنداً إليه.

تلك هى بعض نقط الفرق بين العناصر المكونة للجملة.

فما هى أنواع الجمل التى تنشأ عن تركيب هذه العناصر، وعن اختلاف موقعها فى الجملة؟

تنقسم الجمل، على ضوء نوع المسند وموضعه فى التركيب، إلى نوعين :

١ - الجملة الفعلية : هى ما صدرت بفعل، مثل : «نجح المجد». أو «أكل محمد الخبزَ».

٢ - الجملة الاسمية : ما صدرت باسم سواء كان المسند صفة أم فعلا أم جاراً ومجروراً، أم ظرفاً نحو : «التلميذ مجتهد»، «الرياضة تقوى العضلات»، «الله مع الصابرين».

والمعتبر فى صدر الجملة المسند والمسند إليه، ولا يدخل فى الاعتبار ما قد يتقدمها من حروف، فالجملة فى «قد جاء أخوك» فعلية. وفى «أزيد قائم؟» اسمية.

كما أن المعتبر فى صدر الجملة هو ما جاء صدراً فى الأصل، وإن تقدم عليه ما هو فى نية التأخير، فمثلا، الجمل فى قولنا :

كيف بات المريض؟ أو وأىَّ النساء استدعيتم؟ أو «وفريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون».

كلها فعلية، لأن: «كيف» و«أى» «وفريقاً» فى نية التأخير[١].

ولا يدخل فى الاعتبار، أيضاً، ما قد يتقدم صدر الجملة الاسمية من أفعال ناسخة مثل «كان» وأخواتها، لأن هذه عندما تدخل على الجملة الاسمية تصبح قيداً فيها ولا تحولها إلى جملة فعلية، إذ لا تمثل عنصراً أساسيًّا فيها. فالفعل الناسخ ليس مقصوداً لذاته، وهو بذلك ليس جزءاً فى الجملة التى يدخل عليها، وإنما هو قيد مثلما يكون الظرف قيداً فى جملته، فقولنا:

«كان محمد مريضا» يساوى «محمد مريض أمس»

على هذا، لا يمكن أن تعد «كان» ركناً فى الاسناد، فهى قيد فى الجملة الاسنادية التى لا تحتوى على فعل، ويكون دوره فيها، حينئذ، هو إدخال عنصر الزمنية فى الجملة مثل قولنا:

«محمد مجتهد» فإذا أردنا أن نخبر بأن اجتهاد محمد هو فى وقت معين قلنا: «كان محمد مجتهدا» «سيكون محمد مجتهداً» «ليكن محمد مجتهداً».

كما يكون دورها فى الجملة التى تحتوى على فعل تخصيص مفهوم الزمن فى وقت معين، مثل: «كان محمد يمشى».

وهكذا تظل الجملة الاسمية التى تدخل عليها «كان» أو إحدى أخواتها جملة اسمية لا تتحول إلى الفعلية أبداً.

ومثل هذه الجمل فى احتفاظها باسميتها الجمل الاسمية التى تدخل عليها أداة من الأدوات النواسخ «إن» أو إحدى أخواتها، فهذه الأدوات عملت النصب فى المبتدأ والرفع فى الخبر لأنها «أشبهت الأفعال المتعدية إلى مفعول به واحد، من نحو ضرب زيد عمراً، بكونها طلبت اسمين تطلبها لهما وتضمنتهما كتضمنها، وإن اختلفا فيه، فعملت ذلك العمل لشبهها له فيما ذكر»[٢]. إلا أنها ليست جزءاً من

---

(١) انظر هذا التقسيم عند ابن هشام: المغنى، جـ٢، ص ٢٧٦. أخذ بهذا التقسيم، على الجارم. انظر، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، جـ٧، ص٣١٧، سنة ١٩٥٣.

(٢) رصف المبانى فى شرح حروف المعانى، تحقيق أحمد محمد الخراط، ص١١٨، دمشق ١٩٧٥.

الجملة ولا تمثل عنصراً أساسيًّا فيها، وإنما يكون دخولها فى الجملة لإفادة معنى معين لا ينتج عنه تحويل الجملة من الاسمية إلى الفعلية.

* * *

من اللغويين المحدثين من يرى أنه، متى اشتملت الجملة على فعل، فهى فعلية، سواء تقدم الفعل أم تأخر، وهذا ما نجده عند إبراهيم السامرائى يقول:

«حين أنصُّ على الجملة الفعلية فى هذا النص، أريد منها ما كان الفعل طرفاً فى الإسناد فهو مسند أبداً، وعلى هذا فقولنا «جاء محمد»، جملة فعلية، مؤلفة من مسند ومسند إليه، ثم إذا قلنا «محمد جاء» لم يتبدل شىء من حقيقة الإسناد فطرفا الإسناد هما كما كانا فى الجملة الأولى، وهى بهذا جملة فعلية أيضاً، مؤلفة من مسند ومسند إليه، والمسند اليه هو الفاعل فى كلتا الجملتين»[١].

وقد حاولنا التعرف على رأى الدكتور إبراهيم أنيس فى التفرقة بين الجمل الفعلية، والجمل الاسمية فوجدناه يقسم الجمل إلى قسمين:

١ - ما يشتمل على «فعل»، يقوم فيها بعمل المسند.

٢ - ما لا يشتمل على فعل، ويقول عنها إنها: «التى جرى عرف النحاة والبلاغيين على تسميتها بالجمل الاسمية، والتى يغلب أن يكون المسند إليه فيها اسماً، والمسند وصفاً مشتقاً، فإذا كان المسند فيها اسماً جامداً أوَّلوه بمشتق، ليتحقق فيها ركنا الإسناد، وإذا كان المسند جاراً أو مجروراً، أولوه بكلمة (مستقر) وهكذا»[٢].

فهل يحصر، هو أيضًا الجمل الاسمية فى الجمل التى لا تشتمل على فعل؟ أيعتبر جمل النوع الأول، من قبيل الجمل الفعلية، وإن لم يصرح بذلك؟ ما نظن ذلك، لأننا نجده يطلق على بعض أصناف الجمل التى تشتمل على فعل اسم جملة اسمية، وتلك هى الجمل التى يكون فيها المسند فعلا مضارعًا متأخرًا عن المسند إليه، سواء كان مثبتًا أو منفيًّا بأداة النفى.

---

(١) دراسات فى فقه اللغة، ص ٤٥.

(٢) من أسرار اللغة: ص ٢١٨، ٢٢٠.

يقول الدكتور أنيس، بصدد حديثه عن الجملة المضارعة المثبتة:

«فإذا تقدم المسند إليه وأصبحت الجملة مثل (والله يدعو إلى دار السلام) وجب أن نعد الجملة جملة اسمية، ولا فرق بينها، حينئذ، وبين أن نقول: (والله الداعى إلى دار السلام) فالمضارع هنا ليس فى الحقيقة فعلا، وإنما هو «وصف» يجوز عليه ما يجوز على الوصف، من وجوب مطابقته لموصوفه فى كل شىء»[١] ثم يضيف:

«فإذا كان نظام الجملة المضارعة على الصورة الآتية:

المسند إليه + أداة النفى + المسند.

فإن مثل هذه الجملة، لا تعد من الناحية اللغوية جملة منفية، بل هى كالمثبتة تمامًا، وهى كذلك تعد فى جملة اسمية، وتعبر عما تعبر عنه الاسمية التى يكون فيها «المسند» وصفًا مشتقًّا[٢] ومثل لذلك بقوله تعالى:

﴿والله لا يحب الفساد﴾.

فى حين نجده لا يدلى برأى فى جمل جاء المسند فيها فعلا ماضيًا وقد تقدم عليه المسند إليه[٣] مثل قوله تعالى:

﴿والله أنزل من السماء ماء﴾.

فهل نعمم تصريح الدكتور إبراهيم أنيس باسمية الجمل التى يتقدم فيها المسند إليه على الفعل المضارع، على جميع الجمل التى يتأخر فيها الفعل عن المسند إليه، وإن كان ماضيًا؟

يبدو أن ذاك هو رأيه.

إذا كان موقف إبراهيم أنيس لا يخلو من غموض، فإننا نجد، من هؤلاء المحدثين، من يضرب صفحًا عن تقسيم الجمل إلى فعلية واسمية، بدعوى توفر

---

(١) من أسرار اللغة: ص ٢٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٢٢.

الإسناد فى جميع الجمل، على اختلاف أنواعها فالإسناد أو العلاقة الضمنية التى تربط المسند بالمسند إليه يقوم بها فى نظرهم، الفعل أو شبهه، حين يكون أحدهما طرفًا فى الجملة. وحين لا تحتوى الجملة على فعل أو شبهه فإن عملية الإسناد تلك تتم بالرابط الإسنادى الضمنى. إنهم يعترضون على النحاة اعتبارهم ما صدر من الجمل بفعل، جملة فعلية، وما صدر منها باسم، جملة اسمية. هذا ما يراه ريمون طحان إذ يقول:

«وقد اعتبر البعض (زيد مسافر) كجملة اسمية، ولكننا نرى فيها جملة إسنادية فقط. ولا فرق، من وجهة حركة المسند إليه، بين (زيد مسافر) و(سافر زيد)»[١].

ثم يضيف فى نفس المعنى:

«بما أن الجملة هى عملية إسنادية، فلا فائدة من تقسيم الجملة إلى فعلية واسمية»[٢].

* * *

هذه هى آراء بعض النحاة العرب، القدامى والمحدثين، حول مفهوم الجملة الفعلية والجملة الاسمية. ونحن فى دراستنا، لنماذج كلا الصنفين فى رسالة الغفران، سنعتمد التعريف الذى أوردناه فى صدر هذا الفصل لكل من الجملتين آخذين بعين الاعتبار ما هو صدر، فى الأصل، للجملة.

قبل أن ننتقل إلى دراسة الاستعمال العلائى لكل من الجملة الفعلية والجملة الاسمية، نود أن نشير إلى مدى تواتر كل من الجملتين فى لغة العرب محاولين تبيان سر تفضيلهم لإحداهما على الأخرى.

الجملة الفعلية والجملة الاسمية فى تأليف القدماء:

يبدأ العربى بما يهتم به، أى أن الجملة تقدم ما ارتأى المتكلم أن للسامع حاجة فى تقديمه. لكن وبصفة عامة، يبدو أن الحدث يستحوذ على اهتمام المتكلم والسامع

(١) الألسنية العربية، رقم ٢، ص ٢٦.
(٢) نفس المصدر، ص ٥٥.

أكثر ممن وقع منه وممن وقع عليه الحدث. من ثمة يكون غرض المتكلم أن يخبر، أى أن يتحدث عن حدث، فيبدأ بـ«الفعل».

ولا يلتجئ العربى إلى الجملة الاسمية، إلا إذا قصد التنبيه على «الفاعل»، والفاعل فى الواقع هو من «يقوم» بالحدث، قدَّرنا الفعل أو لم نقدره، لأن لكل «فاعل» بالضرورة، فعلاً ضمنيًّا.

فى غالب الأحيان ينصب الاهتمام على الحدث أولا، ثم على من قام به أو وقع عليه ثانيًا، فيكون الحدث هو الأساس فى الإخبار، ثم من هو المُحدِثُ له. حينذاك يستعمل المتكلم الجملة الفعلية. فمثلا فى الجملة: اندلعت الحرب. لفظ «حرب» فى حد ذاته دالٌّ على مسماه فقط، وهو لا يهمنا إلا عندما يدخل فى حيز الفعل، إن التعبير أولا بـ«اندلعت»، فى الجملة السابقة، هو الذى يزعجنا. فنتساءل عمن شن الحرب، وكيف كان ذلك؟ ومتى وأين حصل؟.

«فالجملة الفعلية» تبرز الحدث قبل أن تخبر عن الفاعل.

فأهمية الحدث أنها تمنح الفعل مكان الصدارة فى الجملة حيث يقوم الفعل، بدوره، ببيان العلاقات المعجمية، فيحدد جنس ونوع الفاعل ونوع المفعول به إذا وجد. فمثلا، عندما يقول أبو العلاء:

- «فَيبتَسِم عَدى ويقولُ: وَيْحَك!»[١].
- «وروم لا يفهمون عن العرب»[٢].
- «ضَرْبٌ خَلَقَه اللهُ فى الجنةِ لَمْ يَعْرِف غَيْرَها»[٣].

يتبادر لذهن سامع الألفاظ: «يبتسم»، و«يقول»، و«يفهمون»، و«خلق»، بقطع النظر عن النسق العام للجمل، أن الفاعل فى كل الجمل:

(أ) من جنس «الحيوان»، خلافًا لأفعال كـ«تضبطرم» و«تمطر» فى الجملتين:

- «تَضْطَرِمُ النارُ فى رأْسِه».

(١) رسالة الغفران، ص ١٩٧. (٢) رسالة الغفران، ص ٢٩٦. (٣) رسالة الغفران، ص ٢٨٧.

- «تُمطِر بماءِ وَرْدِ الجنة».

(ب) من جنس الحيوان «العاقل»، خلافا لأفعال كـ«اجتر» و«عوى» و«افترس» من الجمل:

- «وكذلك أنا أفتَرِسُ ما شَاء الله».
- «عَوَى الذئب».
- «إجْتَر البَقَرُ».

فالفعل، إذن، يقيد ارتباط أجزاء الجملة أى يحدد الإسناد، ويعين نوع الفاعل[١].

* * *

يقول الأستاذ إبراهيم السامرائى إن «من اهتمام العرب بالفعل، غلبة الجملة الفعلية على كلام العرب [. . .] ذلك أننا لو نظرنا إلى كتاب من كتبهم فأحصينا على طريقة الإحصاء فى أيامنا هذه، لاهتدينا إلى صدق هذه الدعوى»[٢]. غير أن الأستاذ السامرائى لا يبدى تعليلا لذلك!

لعلنا إن تأملنا وضع الإنسان إزاء الطبيعة، وحاولنا الكشف عن العلاقات التى ربطته وتربطه بمظاهرها، تبين لنا سر اهتمام الإنسان عامة، والعربى خاصة، بالأحداث.

إن الإنسان حيوان تاريخى، أى مرتبط بزمان ومكان، حيث يتفاعل مع الموجودات كلها، إنه دَوْمًا فى صراع مع الطبيعة، لأنه «حيوان»، ومع الزمان، لأنه «عاقل» يصنع التاريخ، ويعيش فى تاريخ[٣]. والفعل وحده هو الذى «يدل على حدث وعلى زمن»، أى أن الفعل يتوفر على عنصرين: عنصر الحدث الذى يعكس علاقة صراع الإنسان مع الطبيعة، وعنصر الزمن الذى يعبر عن تاريخية

(١) هذه العلاقات التى يحددها الفعل فى الجملة هى ما يسمى فى عرف تشومسكى بالعلاقات المعجمية.

(٢) دراسات فى فقه اللغة: ص ٤٥ نُذَكر بأن مقصود المؤلف بالجملة الفعلية هو ما احتوت على فعل، كما بينا سابقًا.

(٣) LAHBABI (M.A), De L'être à la personne P.U.F., Paris.

الإنسان فى هذا الصراع. بخلاف الاسم، الذى يدل على معنى وليس الزمان جزءًا منه.

ويبدو أن الوضع الجغرافى، والحالة المجتمعية والسيكولوجية للعربى فى صحرائه كونت لديه اهتمامًا متزايدًا بالأحداث، وجعلته يترقب، عن كثب، ما يجد منها: غروب الشمس، طلوع النجم، هجوم القبائل المجاورة، انتظار القوافل.. فانعكس اهتمامه بتلك الأحداث على تعابيره، فجاءت الأفعال تحتل مكان الصدارة فى جمله، وبالتالى شاعت الجملة الفعلية فى لغته أكثر من الجمل الاسمية. ولم يستعمل الجمل الاسمية سوى للتعبير عن الحكم والأمثال القارة الثابتة.

وتكون الصدارة للاسم، فى مواضيع خاصة، كأن يكون قصد المتكلم إبراز الفاعل والنص على من قام بالفعل، دون أن يلتزم بنمط من أنماط الزمان، كما هو الحال فى التعاريف، مثلا: قول المهندسين:

«الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين».

وقول أبى العلاء، فى حد الزمان:

«الزَّمَانُ شيءٌ أقلُّ جُزْءٍ مِنْهُ يَشْتَمل على جميعِ المُدْرَكَاتِ، وَهُو فى ذَلك ضدُّ المكانِ، لأن أقلَّ جُزْءٍ منه، لَا يُمْكِن أن يشتَمِلَ عَلى شيْءٍ، كما تَشْتَملُ عليه الظروفُ»[1].

فهذا تعريف منطقى وهو كما نلاحظ يعتمد الجملة الاسمية فى الصياغة:

الزمان / شىء / أقل..».

مثال آخر هو قول أبى العلاء فى تعريف مذهب الحلولية:

«والحلولية قريبة من مذهبِ التناسُخِ»[2]

ومثل تعريفه للشعر:

---

(١) الرسالة، ص ٤٢٦.

(٢) الرسالة، ص ٤٦٨.

«والشعرُ كلامٌ موْزوُن تقَبْلهُ الغريزةُ على شَرائِط، إنْ زاد أو نقص أبانَهُ الحِسُّ»[١].

وتشيع الجمل الاسمية، كذلك، فى البديهيات، كقولنا:

«الشمس حارة».

والافتراضات مثل قول أبى العلاء:

«أَهْلٌ كلمةٌ أصلُ وَضْعِها لِلْجَمَاعَةِ»[٢]

والحِكم كقوله:

«فالمقِيمُ كَأَخِى ارْتِحَالٍ»[٣].

تتركب الجملة فى هذه الأمثلة من موضوع ومحمول (مبتدأ وخبر)، بلا «فعل» منطوق. وتفسير ذلك أن القوانين العلمية، وما شابهها تتجرد عن كل معانى الزمان، إذ الحكم فيها يتعلق بإثبات مسند لمسند إليه، لأننا فى ميدان المبادئ العامة التى تبقى قارة على مر الأزمان. وكلما كان القرار ينصب على الشمول، اقتربنا من الحقيقة. فالجملة الاسمية، فى هذا النطاق، جملة تدل على تطور ذهنى، لأنها ترفع الألفاظ من لفظيتها العينية إلى مدركات مجردة وشمولية، أى إلى مفاهيم.

ويقوم بدور الربط بين أطراف الجملة فى اللغة العربية رابط معنوى غير ملفوظ يسمى العلاقة، فالعربية تستغنى عن الرمز الملفوظ للدلالة على العلاقة القائمة

بين: الفعل ← الفاعل

وبين: الفعل ← الفاعل ← المفعول

وبين: المبتدأ ← الخبر

أى بين المسند والمسند إليه. وتقوم القرينة بالدلالة على تلك العلاقة، فلا نجد لها لفظًا فى الجملة العربية، وهى بذلك عكس اللغات الهند أوربية، حيث يعبر

---

(١) الرسالة، ص ٢٥١.

(٢) الرسالة، ص ٤١٦.

(٣) الرسالة، ص ٤٩٨.

عنها، كما، فى اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية. ويتجلى هذا، واضحًا، عندما نترجم بعض الجمل الاسمية من اللغة العربية.

كجملة : هذا أعشى قيس، نقول فى :

الإنجليزية : This is A'cha øays.

أو الفرنسية : Celui - ci est A'cha øays.

ففى الجملتين معًا يوجد الرابط (copula / copule) (To be (E), être (F)) الذى استغنى عنه فى الجملة العربية بالعلاقة التى هى أمر معنوى غير ملفوظ.

قد نستخلص مما سبق، أن ترقب السامع أو القارئ للفعل أولا، بسبب الحدث الذى يحمل، والزمان الذى يميز الحدث ويؤطر الحركة لأن الحركة، كما قدمنا، كالزمان، من أبعاد الإنسان الحيوان التاريخى، هو ما جعل الجمل الفعلية تحظى بمكان الصدارة فى اللغة حتى أن بعض اللغات لم تستغن عنه فى جميع أصناف جملها.

وإن المستقرئ للغة بعض التآليف العربية، خصوصًا منها القديمة، يمكن أن يستخلص أن الجمل الفعلية أشمل وأعم استعمالا، وأن الجمل الاسمية تكثر فى الاستعمال العلمى، فهى أكثر تداولا لدى المناطقة والعلماء.

فلنأخذ مثلا رسالة ابن القارح إلى أبى العلاء. إننا نجد الجمل الفعلية تحتل المركز الأول فى لغة ابن القارح وعلى سبيل التجربة سنحصى عدد الجمل الواردة فى ص ٣٢ لنحدد النسبة بين الصنفين من الجمل.

إننا نجد أن عدد الجمل الفعلية، ٢٩ مثل :

«فأنفذ المهدى إليه»

«فأحِيط بِه وبقلعته»

«وجمع كل من فى البلد وسَقَاهم شرابًا سمومًا»

الجمل الاسمية، ٤، هى :

«ارتفاعه فراسخ»

«هو القائل»

«والصناديقى فى اليمن كانت جيوشُه بالمَدَيْجِرة وسفنه»

«والوليد بن يزيد أقامَ فى المُلْكِ سنة وشهرين وأياما»

نلاحظ أن المسند فى الجملة الأخيرة جاء جملة فعلية. وبتكرار التجربة فى ص ٤٤ مثلا، نجد أن عدد الجمل: الفعلية ٢٨ منها:

«لم يخترق ذكر الوفاء مَسَامِعَه»

«قد ذممت شَيْئًا وَوَقَعَتُ فيه أنا»

والاسمية ٦ منها:

«شيمته اصْطِفاءُ اللئامِ والتَّحَامُل عَلى الكرام»

«وهمَّتُه رفعُ الخَامِل الوضيع وَوَضْعُ الفَاضل الرفيع»

«ظَاهِرُه يَسُرُّ وَيونس»

«وبَاطِنُه يَسُوءُ ويوئِس»

نفس الملاحظة المتقدمة، نجد المسند فى الجملتين الأخيرتين يأتى جملة فعلية.

هكذا طغت الجملة الفعلية على الجملة الاسمية، مما فرض اهتمام اللغويين بها اهتمامًا خاصًّا. وقد علل بعض الباحثين المحدثين هذه الظاهرة **بكون العقلية العربية تقتضى أن تكون الجملة الفعلية هى الأصل**، والغالب الكثير فى التعبير. بيد أننا نتساءل. بماذا يعللون هذا الاقتضاء الذى ينسبونه إلى العقلية العربية؟ إن أحكامهم تلك لا تخلو من إبهام وتعمية، وتظل كلامًا لا دليل عليه لا من التاريخ ولا من تجريدات النحاة.

ونشير هنا بأن سيادة الجملة الفعلية فى العربية ذاك، هو عكس ما هى عليه

الحال اليوم، فى لغة الصحافة والقصة. نعم بدأت الجملة الفعلية تفقد مكانتها فى الكثير من الإنتاج الأدبى المعاصر.

بعد هذه اللمحة عن مفهوم كل من الجملة الاسمية والجملة الفعلية ومكانتهما فى الاستعمال العربى، ننتقل إلى الحديث عن موقعهما فى رسالة الغفران.

فماذا نحن واجدون عند أبى العلاء؟

ذكرنا فيما سبق أن رسالة الغفران تنقسم إلى فصلين رئيسيين، وقلنا إن الفصل الأول هو فصل الرحلة القارحية إلى الآخرة، وإن القسم الثانى هو أجوبة أبى العلاء على أسئلة ابن القارح، من ثم كانت مضامين القسمين تختلف اختلافًا كبيرًا، وهذا يقتضى اختلافًا فى الأسلوب.

يعتبر القسم الأول نسيجًا من الخيال، ومن تصورات أبى العلاء الجامحة التى لم تسعها الدنيا بمافيها، وإنما تجاوزتها إلى عالم لم تطأه بعدُ قدمه، هكذا جاء الأسلوب المعبِّر عن تلك المشاهد، مزيجًا من العاطفة والخيال.

أما القسم الثانى، فيقرر فيه أبو العلاء حقائق متنوعة ويتخذ مواقف حازمة من آراء مراسله يدعمها بالحجج والأدلة. فطبيعى إذن، أن يكون أسلوب هذا الفصل أسلوبًا علميًّا خاضعًا للمنطق.

غير أننا كما أشرنا سابقًا نلاحظ أن ظاهرة الاستطرادات منتشرة جِدًّا فى الرسالة بفصليها. فأبو العلاء يثب متذرعًا، بوسيلة أو بأخرى، ليصب شروحًا لغوية وانتقادات نحوية وعروضية.. خلال جميع مراحل الرحلة القارحية. ويستطرد فى الفصل الثانى إلى قص حكايات ممزوجة بكثير من الخيال، كما فى الحديث، عن أبى تمام، وموقف قصائده منه الذى نقلناه فى حديثنا عن استطرادات أبى العلاء[1].

ولا شك أن كل مقام يقتضى أسلوبًا ملائمًا. فأسلوب الرحلة، فى الفصل الأول، هو غير أسلوب الأجوبة فى الفصل الثانى. ثم إن لغة الاستطرادات فى

---

(١) انظر، الفصل الثانى من الباب الأول فى هذه الدراسة.

الفصل الأول هى غيرها فى استطرادات الفصل الثانى.

إن المتتبع للرحلة القارحية يرى عن كثب، أن الرحلة تمضى فى مراحل متتالية، فهى عبارة عن أحداث تمر فى أزمنة متعاقبة، مليئة بالحركة والتجديد. ولا شك أن الأسلوب الذى يعبر بأمان عن مضامين هذا الفصل، هو النثر المعتمد على الجمل الفعلية.

فالفعل، وحده، هو الكفيل بأن يصور، بصدق، اللونيات أو الظلال المعنوية والزمنية، لتنقلات ابن القارح فى الآخرة. إن الرحلة القارحية ليست حقيقة علمية يقررها أبو العلاء، وإنما هى تحفة خيالية، تسلمك كل مرحلة فيها إلى أخرى. ولن يعبر عن تلك الحركة الدائبة التى أرادت الطاقة الخيالية المعرية أن تنفخها فى هذا النسيج، سوى الفعل. أضف إلى ذلك أننا نرى ابن القارح فى عمل متواصل ونشاط مستمر. فهو فى كل مرحلة يختلق مشهدًا كاملا: ها هو ذا يصنع مأدبة فى الجنان، مرة، ويقيم جلسة خمر، مرة أخرى، ثم ها هو ذا يقف لمشاهدة شجار الأعشى والنابغة، وبعد ذلك ينتقل إلى حفل غناء ورقص وموسيقى، قبل أن يأخذ فى قص وتصوير أهوال الحشر ويوم القيامة. فلَمْ يَعْرِف ابنُ القارح دقيقة انقطاع عن الحركة، يقضيها نائمًا أو.. فتفصل بينه وبين الأحداث التى تمر فى ظروف زمنية ماضيه أو حاضره.

إننا نشعر ونحن نقرأ هذا الفصل، وكأننا أمام شاشة أو خشبة مسرح، نعيش مع الأحداث التى يقدمها أبطال المسرحية، لحظة لحظة، ونحس فى كل مكان بمفهوم زمانى معين، يمضى لتخلفه فترات زمانية أخرى، فى مشهد ثان فثالث. بل نعيش داخل كل مشهد، أحداث وتنقلات لا تتأتى إلا بتعاقب الفترات. أليس الزمان أحد العناصر الأساسية فى الإنتاج الأدبى بجميع أصنافه؟

إذن، لا غرابة أن ترد الأفعال على اختلاف أزمنتها أكثر تواترًا فى لغة الفصل الأول منها فى لغة الفصل الثانى. إن ألفاظ أبى العلاء فى الفصل الأول موحية تثير فى الذهن صورًا وأخيلة، وتؤثر فى نفس القارئ فيستنتج منها ما تحتمله تلك الألفاظ والعبارات، وفوق ما تحتمله.

فلنستمع إلى أبى العلاء فى تصويره لحور الجنان :

«فيأخذُ [ابن القارح] سَفَرجلةً، أو رمَّانة، أو تُفاحةً أو ما شاءَ الله من الثمار فَيَكسَرها، فتخرجُ منها جاريةٌ حوراءُ عيناءُ تَبْرقُ لِحُسْنِها حوريات الجنان»[١].

إن «سفرجلة» و«رمانة»، و«تفاحة» المعرى ليست هى ما نعرفه فى دنيانا. إنها تفاحة وشىء آخر، شىء لا يخطر على بال آدمى، إنها التفاحة الجارية الحوراء - العيناء، وإنها الرمانة الجارية.

ولننصت إليه فى وصف جنة العفاريت :

«فَيَركبُ [ابن القارح] بعضَ دوابِّ الجَنةِ ويسيرُ، فإذا هُو بمدَائن ليست كَمَدائِن الجنةِ، ولا عَلَيْها النُّور الشَّعْشعانى، وهى ذاتُ أَدْحال وغَمَاليلَ. فيقولُ لِبعض الملائكة : ما هذِه يا عبدَ الله ؟ فيقولُ : هذه جنةُ العفاريتِ الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم»[٢].

إن لفظة «الشعْشَعَانى» توحى بنور ملأ الفضاء، ليس له مثيل ولا يمكن تصوره فى دنيانا هاته. إنها أنوار جنة البشر. أما جنةُ العفاريت فهى ذاتُ «أدْحال» و«غَمَالِيل».

بِم تُوحِى «أدحال» و«غماليل» ؟ إن الظلمة والضنك والتوتر وما شئت من الأوصاف التى تبعث على القلق هو ما يتصور لسامع اللفظين. لقد وفق أبو العلاء فى اختيارهما للتعبير عن وصف تلك البقعة من الجنة، جنة العفاريت، أليس مأوى الجن كما نتصوره فى دنيانا هو الدهاليز المظلمة والمغاور المخيفة. فلو استعمل أبو العلاء ألفاظًا مثل مظلمة، وضيقة، لما أثار فينا ذلك الشعور الذى يثيره الوصف بلفظتى «ادحال» و«غماليل».

* * *

(١) الرسالة، ص ٢٨٨.

(٢) الرسالة، ص ٢٩٠.

إذا كان أبو العلاء قد تخير للغة الفصل الأول من الألفاظ ما يناسبها، فكيف لا يتخير لها من الجمل الفعلية والاسمية ما يلائم الأسلوب؟! وحيث أن هذا الفصل يزخر بالمشاهد وتتزاحم فيه الأحداث، كما بينا، فإن الجمل الفعلية تشيع فى الجمل العلائية، ويتجلى هذا بوضوح، فى تعبير أبى العلاء عن تنقلات ابن القارح فى الآخرة، واتصاله بمحاوريه. إذ نجده فى سؤاله عن الشعراء يستعمل ٦٥ مرة الجملة الفعلية المضارعة وثلاث مرات فقط الجملة الاسمية وهذه الأخيرة هى قوله:

- «فأَيْنَ عمرو بن أَحْمر؟»[١].
- «أيكم تَميمُ بن أُبَى؟»[٢].
- «فأيكم رَاعِى الإبِل؟»[٣].

ونشير إلى أن أبا العلاء يستعمل هذه الجمل الاسمية فى اتصالات متتالية، بأولئك الشعراء والسؤال عنهم.

إذا نحن استقرأنا الجمل الفعلية التى أشرنا إليها وجدنا أفعالها تتنوع تنوعًا كبيرًا يلائم الخطوات القارحية فى الجنة والنار. من ذلك قول أبى العلاء:

- «... فيركبُ نجينا من نُجُبِ الجنَّةِ»[٤].
- «فيبْتَدِئُ بِزهيرٍ، فَيَجِده»[٥].
- ويُثْنِي إلى أَعْشَى قَيْسٍ»[٦].
- «ويَفْتَرِق أهلُ ذلك المجْلِس»[٧].
- «وَيَخْلُو لا أَخْلاَهُ الله من الإحْسانِ، بِحُورِيَّتيْنْ»[٨].

---

(١) الرسالة، ص ٢٤٠.
(٢) الرسالة، ص ٢٤٦.
(٣) الرسالة، ص ٢٦٢.
(٤) الرسالة، ص ١٧٥.
(٥) الرسالة، ص ١٨٢.
(٦) الرسالة، ص ٢١١.
(٧) الرسالة، ص ٢٣٧.
(٨) الرسالة، ص ٢٨٤.

- «فيَتْبَعُه، فَيَجِيءُ به إلى حَدائق. . . »[١]
- «فيأْخُذُ سَفَرْجَلَةً»[٢].
- «وَيُحم فإذَا هُو بِأَسَدٍ يَفْتَرِسُ»[٣].
- «فيذهبُ [. . .] فإذَا هو بِبَيْت فِي أَقصى الجَنَّةِ»[٤].
- «ويلفت عنقهُ يتأَمَّلُ فإذَا هُو بِأوس بن حَجر»[٥].
- «ويمل من خطاب أهلِ النارِ فَيَنْصَرِفُ إلى قَصْرِه»[٦].

أحيانًا قد يتكرر الفعل مرتين مثل: «يبدو» فى قوله:

- «وَيَبْدُو له أن يَصْنع مأدبةً»[٧].
- «ويبدو له أن يطَّلع إلى أَهلِ النارِ»[٨].

وقد يتكرر ثلاث مرات أو أكثر، مثل تكرار فعل «يخطر».

- «يَخْطِر له [. . .] غناءُ القيان ويذكر تَرْجِيعَهُنَّ»[٩].
- «ويخطِر له ذِكرُ الفُقَّاع»[١٠].
- ويَخْطِرُ فى نَفْسِه وهو سَاجِدٌ»[١١].

ومثل تكرار فعل «يعرض» أربع مرات، وذلك فى قوله:

- «ويعرِضُ لهَم لَبيد فَيَدْعُوهم إلى مَنزِلِه»[١٢].
- «ويعرِضُ له الشَّوقُ إلَى نَظَرِ سَحَابٍ»[١٣].

---

(١) الرسالة، ص ٢٨٨.
(٢) الرسالة، ص ٢٨٨.
(٣) الرسالة، ص ٣٠٤.
(٤) الرسالة، ص ٣٠٧.
(٥) الرسالة، ص ٣٣٩.
(٦) الرسالة، ص ٣٥١.
(٧) الرسالة، ص ٢٦٨.
(٨) الرسالة، ص ٢٨٩.
(٩) الرسالة، ص ٢٢٤.
(١٠) الرسالة، ص ٢٨٠.
(١١) الرسالة، ص ٢٨٨.
(١٢) الرسالة، ص ٢٦٧.
(١٣) الرسالة، ص ٢٧٥.

obeikandl.com

- «ويعرض له رؤية فيقول»[١].

- «فيختارُ أنْ يَعرضَ لهُ ذَلك»[٢].

ومثل تكرار الفعل «يمر»[٣] ست مرات، وفعل «ينظر» خمس مرات[٤].

هكذا تبتدئ الرحلة القارحية بفعل مضارع وتنتهى بفعل مضارع، إذ يخطر لابن القارح أن يقوم بنزهة فى الجنان.

«فيركبُ نجيبًا من نُجُبِ الجنَّةِ [. . .] فيسيرُ فى الجنة على غير منهجٍ» متجولا فى أرجاء العالم الأخرِوى إلى أن يتم رحلته فيعود:

«ويتكئ عَلَى مَفْرش من السنْدُسِ [. . .] فَيُحْمَل على تِلك الحالِ إلى محَلِّه المشيد بدَارِ الخُلود»[٥].

لقد كان أبو العلاء بارعا فى اختيار أفعاله وتنويعها، فهى وإن دلت جميعها على حدث وحركة «يمر»، «يذهب»، «يطلع»، «يرى» إلا أن دلالتها على ذلك تختلف عمليًّا «فالرؤية» غير «الاطلاع»، «ولفت العنق» غير «الركوب»، ثم إن المقام يستدعى المرور والالتفات، والتطلع، والنظر، والسؤال. . لأن ابن القارح ينتقل متنزهًا فى الجنة مستفسرًا عما فيها، من أقصاها إلى أقصاها.

تلك نظرة مجملة على تعابير الفصل الأول، وسنعمل الآن على التعرف على جمل الفصل الثانى مُرجئين دراسة بعض النماذج المفصلة إلى ما بعد.

قلنا إن الفصل الثانى من الرسالة خاص بالرد على أسئلة ابن القارح. يعنى أن أبا العلاء فى هذا الفصل مُقيَّدٌ بمواضيع، على الأقل، تحدد مُنْطلق حديثه، وتُجبره على واقعية عقلانية، بعيدة عن الخيال والابتكار. إنها مواقف منطق، يعمل على

---

(١) الرسالة، ص ٣٧٥.

(٢) الرسالة، ص ٣٧٧.

(٣) انظر الصفحات ٢١٢، ٢٣٤، ٢٨٣، ٢٨٧، ٣٠٦، ٣٧٣.

(٤) انظر صفحات الرسالة: ١٨١، ١٨٥، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٣٢.

(٥) انظر الرسالة: من ص ١٧٥ إلى ٣٧٩.

تقرير حقائق سيحاسب عليها أبو العلاء حسابين، حساب ضمير، وحساب مجتمع. فلتكن حقائق ثابتة مدعمة بالحجة والحكمة. ولعل الأسلوب المناسب للتعبير عن ذلك هو المعتمد على الجمل الاسمية. فكما قلنا فى بداية هذا الفصل، إن الجمل الاسمية تدل على الثبوت والدوام، وتتجرد من مفهوم الزمنية الذى يؤطر الحدث فى زمن معين. فهل نجد مصداق ذلك فى هذا الفصل الثانى من الرسالة؟ وهل يسخر أبو العلاء الجمل الاسمية لتفى بتلك الأغراض؟

من عملية إحصاء الجمل التى يستهل بها أبو العلاء أجوبته، علمنا أن عدد الجمل الاسمية ستون، وعدد الجمل الفعلية تسع فقط، يبدو أن أبا العلاء كان يقصد فيها الإخبار عن حدث متجدد بمرور السنين، والأيام مثل كلامه على شيوع الضلالة:

«وافْتَنَّ الناسُ فى الضلالةِ حتَّى اسْتَجَازُوا دَعْوى الربوبيَةِ»[١].

وكذلك حديثه فى التعبير عن شعوره نحو رجوع دنانير ابن القارح إليه:

«وسَّرتْنِي فيئةُ الدنانِير إليه»[٢].

أما الجمل الاسمية فمَنها خمسون جملة مفتتحة بـ«وأَمَّا» يليها اسم، أو اسم موصول (ما) وصلته، أو مصدر. وكلها ذات صلة وثيقة بموضوع السؤال إذ تأتى كعنوان للموضوع الذى سيطرقه، ويليها الخبر الذى يأتى افتتاح الجواب وذلك كقوله:

«وأما «صالحُ بن عبد القدوس»، فقد شُهر بالزندقة»[٣].

«وأَما ما ذكره من حِكاية «القطر بَلى» و«ابن أبِي الازهرِ» فقد يجوزُ مثله»[٤].

---

(١) الرسالة، ص ٤٤٥.

(٢) الرسالة ص ٥٥٩ انظر الجمل الباقية فى ص: ٣٨١، ٤٢٢، ٤٤٠، ٤٩٢، ٥٠٠، ٥٥٢.

(٣) الرسالة، ص ٤٣٦.

(٤) الرسالة، ص ٤١٨.

«وأما وُرُودهُ حلب، حرسها الله، فلو كانت تَعْقِلُ لَفرحتْ به فرح الشمطاء المنهبلة»[١].

والتسع جمل الاسمية الباقية تتركب من مبتدأ وخبر دون أن تسبق بـ«ما» ومنها قوله: «وبابك فتح باب الطغيان»[٢].

«وأنا أعتذر إلى مولاى الشيخ الجليل من تأخير الإجابة»[٣].

من خلال هاتين الملاحظتين يبدو أن أسلوب أبى العلاء فى الفصل الأول يختلف عنه فى الفصل الثانى، وذلك تبعاً لطبيعة مضمون كل من الفصلين.

ولكى لا نجازف فى تعميم هاته الملاحظة التى استخلصناها من التجربتين، وحتى نكشف، بحق، عن ميل أبى العلاء ومدى ملاءمة أسلوبه للموضوع الذى يتناوله، سنعمل على تحليل بعض النماذج، لنحدد النسبة بين عدد الجمل الفعلية، والجمل الاسمية، فى رسالة الغفران.

إن تحديد النسبة بين تلك الجمل يقتضى، فى الواقع، إحصاءاً تامًّا لكل جمل الرسالة، غير أن ذلك ليس سهل الإنجاز فى تأليف عدد صفحاته ٥٨٤. وقد حاولنا أن نستعين على تحقيق ذلك، بمركز العقل الألكترونى الموجود فى القاهرة، وبآخر فى الجزائر فلقينا من بعض المسئولين بالمركزين كامل الترحيب بالفكرة وأعطونا وعوداً للإنجاز. بيد أننا مازلنا ننتظر النتيجة إلى اليوم!

وحيث إننا لم نتمكن من إحصاء كل جمل وتراكيب الرسالة، فقد قمنا باستقراء مجموع الغفران، وألقينا نظرة متفحصة، كما فصلنا ذلك فى الصفحات السابقة،

---

(١) الرسالة، ص ٣٩٣.

انظر، الأمثلة الباقية فى ص. ص ٣٩٦، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٢، ٤١٤، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٦٣، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٦، ٤٨٣، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٨، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٤، ٥٤٤، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٥٤، ٥٧٨، ٥٨٢.

(سبق أن أوردنا بعض هذه الشواهد فى الفصل الثانى من الباب الأول فى هذه الدارسة).

(٢) الرسالة، ص ٤٩٠.

(٣) الرسالة، ص ٥٨٣.

واخترنا أن نقوم بدراسة ثلاثة نماذج إحصائية، عسى أن نحقق الهدف المتوخى.

وهذه النماذج هى على التوالى:

١ - صفحات متنوعة.

٢ - الجمل الدعائية.

٣ - الجمل النعتية.

ولن يقتصر إحصاؤنا لنماذج الجمل الفعلية والجمل الاسمية على نوع من أنواع التراكيب. بل سيتناول كل تركيب فعلى وغير فعلى تتوفر فيه شروط الإسناد، سواء كان جملة أو تركيباً مستقلا، أو تركيباً غير مستقل، طبقاً لما ذكرناه فى الفصل السابق. هكذا سننهج فى تناولنا إحصاء ودراسة الجمل المنهج التالى:

١ - إحصاء عدد الجمل «الأساسية»، ونعنى بها كل جملة ينطبق عليها المفهوم الذى حددنا قبل، أى متى توفرت فى التركيب شروط الوحدة البنائية التامة المدلول، جملة بسيطة كانت أو مركبة أو تركيبية.

٢ - إحصاء عدد التراكيب المستقلة.

٣ - إحصاء عدد التراكيب غير المستقلة.

النموذج الأول

إحصاء الجمل والتراكيب الفعلية والاسمية فى صفحات من الغفران

من خلال استقراء مستهل الفقرات فى فصلى الرسالة معاً، بدا لنا، كما قلنا، سابقاً، أن الجمل الفعلية تفتح كل مرحلة من مراحل تنقل ابن القارح فى العالم الأخروى، وأن الجمل الاسمية تحظى بالنسبة الكبيرة فى مستهل أجوبة أبى العلاء لمراسله. بيد أنه، إذا كان المقام، فى كل مرة، يقتضى ما يناسبه، فهل يصح أن نقول إن جمل الفصل الأول تطغى عليها الفعلية، وجمل الفصل الثانى تسودها الاسمية فنخرج بنتيجة هى أن الجملتين متعادلتين فى الرسالة؟

لن نكون مصيبين إذا وقفنا عند الأبواب، ولم ندخل البيوت، واكتفينا بإطلاق حكم الجزء على الكل، من غير استقراء علمى يفى الموضوع حقه. لذلك سنقوم بدراسة إحصائية مقارنة فى نموذجين:

١ - صفحات اعتباطية متنوعة.

٢ - صفحات منتقاة من الفصل الأول، وأخرى من الفصل الثانى.

النوع الأول:

سنأخذ الصفحات: ١٤٠ - ٢٠٥ - ٢٨٣ - ٤٢٣.

(أ) صفحة ١٤٠: يصف أبو العلاء رسالة ابن القارح التى توصل بها، ويذكر ما أعد لكاتبها، فى الجنة، ابتداء من قوله: «قد وصلت الرسالة» (آخر صفحة ١٣٩).

والجدول التالى يعطينا نتائج الإحصاء فى هذه الصفحة.

جدول ١

النوع	العدد	الفعلية (شواهد)	العدد	الاسمية (شواهد)
الجمل الأساسية	٧	«يَسْتغفر لمن / أنْشأها إلى يوم الدِّين».	٥	«ومِثلُها شَفع ونَفَع، وقَرَّبَ عِند الله وَرَفَع» «وفى تلك السُّطور كلمٌ كَثير، كلُّه عِنْدَ البارى - تقدس - أثير»
التراكيب المستقلة	١٦	«ويذكُره ذِكْرَ مُحَبٍّ خَدِين»	٤	«ومَنْ قَرأها مَأْجُور»
التراكيب غير المستقلة	١١	«تَرَكَ أَصْلاً إلَى فَرْع»	١	«بَحْرُها بِالحِكَمِ مَسْجُورُ»(١).

يلاحظ أننا كررنا أمثلة الجمل الأساسية الاسمية، ذلك أن جملتين منهما جاء الخبر فيهما مفرداً. أما فى الجمل الثلاث الأخرى فجاء الخبر تركيباً فعليًّا. لذا ضربنا لكل نوع مثالا.

(ب) صفحة ٢٠٥، يقيم أبو العلاء حواراً بين ابن القارح والنابغة، الشاعر الجاهلى، حول قصيدته فى النعمان بن المنذر، بها من الجمل ما يلى:

(١) صلة موصول فى الجملة الأساسية: «وقد وصلت الرسالةُ التى بحرها بالحِكم مسجورٌ ومَنْ قرأها مأجورٌ».

جدول ٢

النوع	العدد	الفعلية (أمثلة)	العدد	الأسمية (أمثلة)
الجمل الأساسية	٦	«فيقولُ النابغة بذَكاءٍ وفَهْم : لَقَدْ ظَلَمنِي مَنْ عابَ عَلَيَّ».	٣	«وذلكَ أن النعمانَ كان مُسْتهْتِراً بِتلكِ المرأة فأَمرَنى أن أذكُرها فى شِعرى فأَدَرْتُ ذَلِكَ فى خَلَدِى فقلتُ : إنْ وَصَفْتُها وصفاً مُطلقاً، جَاز أَنْ يَكونَ بِغَيْرِهَا مُعلَّقاً»
التراكيب المستقلة	١٦	«ولو أَنْصَفَ، لَعَلِم أننى احْتَرْزتُ أَشَدَّ احتراز»	٣	«فهذا أسلم»
التراكيب غير المستقلة	١٨	«عاب عَلَيَّ»	٠	

(جـ) صفحة ٣٨٢ : يصف أبو العلاء جلسة أكل فى الجنان، ويتناول أثناء ذلك تحليلا لغويًّا :

جدول ٣

النوع	العدد	الفعلية (أمثلة)	العدد	الاسمية (أمثلة)
الجمل الأساسية	٨	«فإذا تَكرَّرتْ بَيْنهمُ، قال أبو عُثمان المازنى لعبدِ الملكِ بن قريب الأصمعى: يا أَبَا سَعيد، ماوزنُ إوزه؟»	٣	«وزن إوزَّة فى الموجودِ إفْعَلَة ووزنُها فى الأصلِ، إفْعَلَة وهى تكُونُ عَلى ما يُريدون».
التراكيب المستقلة	١٠	«فَيَتمنَّاها بَعضُ القَوْمِ شِواءً».	٤	«وزنُها فى الأصلِ أفْعَلة».
التراكيب غير المستقلة	١٥	«فإذَا قُضِيت منها الحاجةُ»[1].	٤	«وأصلُه أُنَاسٌ».

يلاحظ أن الخبر فى خمس جمل اسمية جاء تركيباً فعليًّا.

٤ - صفحة ٤٢٣، يتعرض فيها أبو العلاء للإجابة عن سؤال ابن القارح حول «المتنبى».

(١) ذكرنا فيما سبق أن جملة الشرط تركيب غير مستقل، وهذه واقعة جملة شرط فى الجملة: «فإذا قُضِيت منها الحاجةُ عَادتْ، بإذن الله، إلى هَيْئَةِ ذَواتِ الجَنَاح».

جدول ٤

النوع	العدد	الفعلية (أمثلة)	العدد	الاسمية (أمثلة)
الجمل الأساسية	١٩	«ولا يَمْتنع أن يكونَ أعَدَّ لَـهُ شيئاً من الـطعام مسموم، وألقاهُ له، وهو يُخْفِى عن صاحبه فعله»	٣	«والخِرْبَقُ سُمُّ الكِلَابِ مَعْرُوفٌ».
التراكيب المستقلة	١٤	«ثم سكن نفارها»[1]	٣	«وأنه وَردَ بها الخِلَّة وهو رَاكِبٌ».
التراكيب غير المستقلة	١٦	«ألح عليها فى النباح»	٦	«وهو راكبٌ عَليها»[2] «وهى رائحة فى الإبل»

يمكننا أن نلخص نتائج الإحصاء فى هذا النوع الأول (أى الصفحات الاعتباطية) فى الجدول التالى :

(١) وظيفة التركيب المستقل معطوف عل التركيب المستقل «وتنكرت برهة».

(٢) وظيفة التركيب غير المستقل حال من اسم «إن» فى الجملة الأساسية : «وانه ورد بها الحلة وهو راكب عليها».

جدول ٥

النـوع	عدد الفعلية	عدد الاسمية
الجمل الأساسية	٣٠	١٤
التراكيب المستقلة	٥٦	١٤
التراكيب غير المستقلة	٦٠	١١

يبدو أن عدد الجمل الفعلية يفوق بكثير عدد الجمل الاسمية وكذلك عدد التراكيب الفعلية المستقلة وغير المستقلة.

وننتقل الآن إلى إحصاء جمل النوع الثانى من النموذج الأول.

النوع الثانى :

صفحات مختارة من **رسالة الغفران**.

أخذنا عددًا من الصفحات، من الفصل الأول ونفس العدد من الفصل الثانى. وراعينا فى اختيار هذه الصفحات المتوالية، اشتمال كل مجموعة على موضوعين مختلفين. فمثلاً، تحتوى صفحات الفصل الأول، حيث الموضوع العام هو وصف الرحلة ومسرحها، على استطراد لغوى أو ما يشبهه. وتحتوى صفحات الفصل الثانى حيث الموضوع العام الإجابة على أسئلة ابن القارح، على استطراد وصفى لا يخلو من خيال. لنرى هل تتنوع جمل أبى العلاء بتنوع المواضيع التى يطرقها؟ وما نسبة شيوع كل نوع فى فصلى **الرسالة**؟ وقد وقع اختيارنا على الصفحات التالية :

(أ) فى الفصل الأول : من ص ٣٤٥ إلى ص ٣٦٢.
(ب) فى الفصل الثانى : من ص ٥٠٨ إلى ص ٥٢٥.

***

(أ) نتائج إحصاء جمل صفحات الفصل الأول: من ص ٣٤٥ إلى ص ٣٦٢.

يقيم أبو العلاء من ص ٣٤٥ إلى ٣٦٠، حوارًا على مسرح جهنم، بين ابن القارح والشاعر الأخطل التغلبى وهو يتضور ويقاسى عذاب النار، فيذكره ابن القارح، بأخطائه فى الدنيا: لم يدخل الإسلام، وعاشر يزيد بن معاوية الخليفة الأموى الذى اشتهر بالسفه والاستهتار، ثم يتدخل إبليس، فى هذا الحوار، ليشمت به ويُبدىَ رأيه فى بنى آدم عامة.

يسأل ابن القارح عن المهلهل التغلبى ويناقش معه سبب تسميته بـ«المهلهل» فيكذب بعض التفاسير الشائعة.

وبعده، يقف عند المرقشين، الأكبر والأصغر فينتقد بعض المعانى الواردة فى أشعارهما.

ثم اتصل بالشنفرى وتأبط شرًا، وهما آخر من حاور ابن القارح فى النار، قبل أن يعود لمحله فى الجنان.

أما فى الصفحات الثلاث الأخيرة (من ص ٣٦٠ إلى ٣٦٢) فيصادف ابن القارح فى طريق عودته إلى الجنة «آدم»، فيسأله عن رأيه فيما روى له من أشعار، ويستطرد إلى الحديث عن سبب تسمية «الإنسان» بـ«إنسان». تحلل هذه الصفحات الثلاث الأخيرة، أصل لفظة «إنسان» ومم اشتقت، وينتقد أبو العلاء رأى البصريين فيما ذهبوا إليه، كما ينتقد من يقول بأن العربية كانت لغة آدم.

تلك هى المباحث التى تتحدث عنها هذه الصفحات.

فما هى نسبة الجمل الفعلية والجمل الاسمية فيها؟

الجدول التالى يعطينا نتائج الإحصاء.

جدول ٦

من ص ٣٤٥ ← ٣٦٢		
النوع	فعلية	اسمية
الجمل الأساسية	٤٧	١٢
التراكيب المستقلة	٧٥	٢٦
التراكيب غير المستقلة	١٤٠	٤٣

ونثبت هنا ملاحظة، هى أن نسبة الجمل والتراكيب الاسمية، فى الصفحات الأخيرة، تفوق نسبتها فى الصفحات الأولى. فمن مجموع عددها الذى ذكرناه، نجد أن :

جدول ٧

النوع (الاسمية)	ص ٣٤٥-٣٥٩	ص ٣٦٠-٣٦٢
الجمل الأساسية	٦	٦
التراكيب المستقلة	١٦	١٠
التراكيب غير المستقلة	٢٠	٢٣

هذا يعنى أن المناقشات اللغوية والنقدية فى الصفحات الأخيرة، (٣٦٠-٣٦٢)

اقتضت من الجمل والتراكيب الاسمية أكثر مما اقتضته مواضع الوصف فى الصفحات الأولى (٣٤٥ - ٣٥٩). من ثم علت نسبتها، وإن ظلت أقل بكثير من عدد الجمل والتراكيب الفعلية فى كلا الموضوعين.

(ب) نتائج إحصاء جمل صفحات الفصل الثانى (من ٥٠٨ - ٥٢٥). يجيب أبو العلاء فى الصفحات الأولى منها (من ٥٠٧ - ٥١٦) على قول ابن القارح:

«وأنَا أستعينُ بعصَمةِ اللهِ وتوفيقِهِ، واجعلُهما معُينَيْنِ على دفعِ شهَواتى، وأشكو إليه عُكُوفى على الأمانى، وأسألهُ فَهماً لِمواعِظِ عِبَرِ الدنيا فقد.عَمِيت عن كُلُوم غيرِها بما جَثَم على خواطرى من الشغَف بها ولستُ أجِد منى مُنصفًا لِي منها، ولا حاجزًا لرَغبتى فيها عنها»[1].

وقد جاءت هذه الصفحات ملأى بالمواعظ وضرب الأمثال وسرد الحكم، خصوصاً ما يتعلق منها بالحث على تجنب الخمر وعواقبها، والكف عما لا يرتضيه الخالق سبحانه.

يعنى أن أبا العلاء، هنا، يقرر حقائق ويرغب فى مبادئ أخلاق قارة وثابتة لا تتغير بسرعة وبتغير الظروف والأحوال. وتبعًا لذلك، جاءت نسبة الجمل الاسمية الأساسية أكبر من نظيرتها الفعلية، أى أن الاسمية تبلغ ثلثى مجموع الجمل الأساسية. بيد أن نسبة التراكيب الاسمية المستقلة وغير المستقلة أقل من نظيرتها الفعلية، كما تظهره الأرقام التالية:

---

(١) الرسالة، ص ٥٠.

جدول ٨

من ص ٥٠٨ ← ٥١٦		
النوع	الفعلية	الاسمية
الجمل الأساسية	٦	١٦
التراكيب المستقلة	١٦	٩
التراكيب غير المستقلة	٢٥	٩

أما فى الصفحات الأخيرة (من ٥١٧ إلى ٥٢٥) فيُذَيِّلُ أبو العلاء جوابه على كلام ابن القارح منتقلاً بنا إلى جو الخيال المبدع الذى عهدناه فى الفصل الأول من الرسالة. ويتصور مراسله (ابن القارح) وقد تاب ورغب عن الميل إلى شهوات النفس، والاستسلام إلى مظاهر الدنيا الخداعة. وهكذا، يقبل عليه الأدباء، وكل من سمع بتوبته، فيجالسهم فى مسجد بحلب، ويأخذ فى وعظهم وهم يصغون إلى خطابه، ويوجد بجانبه خنجر ليجأ به زق خمر أحد المارين بمجلسه. فإذا ما تم ذلك، ذهب صاحب الزق ليشكو أمره إلى السلطان.

ولم ينس أبو العلاء أن يجعلنا، من جديد، نعيش فى الجنة مع الحور العين المعدات لابن القارح، فيصف فرحهن لتوبته واستقبالهن له.

ماذا نجد من الجمل بهذه الصفحات؟

إن نسبة الجمل والتراكيب المستقلة وغير المستقلة الاسمية تنخفض جدًّا، فى حين ترتفع نسبة نظيرتها الفعلية. والجدول التالى يعطينا نتائج الإحصاء.

جدول ٩

من ص ٥١٧ ← ٥٢٥		
النوع	الفعلية	الاسمية
الجمل الأساسية	٣٨	٤
التراكيب المستقلة	٥٥	١٠
التراكيب غير المستقلة	١٠٩	١٥

تلك هى نتائج الصفحات (٥١٧ إلى ٥٢٥). وفيما يلى نرسم جدولا يجمل نتائج إحصاء الجمل فى صفحات الفصل الثانى :

جدول ١٠

من ص ٥٠٨ ← ٥٢٥		
النوع	فعلية	اسمية
الجمل الأساسية	٤٣	٢٠
التراكيب المستقلة	٧١	١٩
التراكيب غير المستقلة	١٣٤	٢٤

obeikandl.com

استنتاجات من إحصاء جمل وتراكيب النموذج الأول :

بالمقارنة بين الجداول المتقدمة يظهر جليًّا أن :

١ - عدد الجمل الفعلية والتراكيب الفعلية، بنوعيها، المستقلة وغير المستقلة، فى النموذج الأول الذى درسته الصفحات السابقة يفوق عدد نظيراتها الأسمية.

٢ - الحكم الذى استخلصناه من إلقاء نظرة عامة على الرسالة (وهو أن الجمل الفعلية تسود الفصل الأول، فى حين تسود الاسمية الفصل الثانى) حكم غير دقيق فإن كان يبدو، لأول وهلة، من إحصاء الجمل التى يفتتح بها أبو العلاء أجوبته، أن عدد الاسمية أكبر من عدد الفعلية، فإن ذلك لا يعكس النسبة الحقيقية بين نوعى الجمل والتراكيب فى الفصل الثانى، بدليل النتائج الإجمالية لعدد الجمل الأساسية فى كل من الفصلين.

جدول ١١

النوع	الفصل الأول ٣٤٥-٣٦٢	الفصل الثانى ٥٠٨-٥٢٥
الجمل الأساسية	١٢	٢٠
التراكيب المستقلة	٢٦	١٩
التراكيب غير المستقلة	٤٣	٢٤

٣ - النسبة بين نوعى الجمل والتراكيب (الفعلية والاسمية) تختلف، حسب المواضيع التى يتناولها أبو العلاء، سواء فى الفصل الأول أم فى الفصل الثانى من الرسالة. فعندما يخضع الموضوع للوصف والخيال تكون نسبة الجمل الاسمية

قليلة جدًّا، وعندما يكون الموضوع لغويًّا أو نقديًّا أو فلسفيًّا ترتفع نسبتها، ويمكننا أن نتبين هذا بالمقارنة بين الجداول :

(أ) ١، ٢ من جهة، و٣، ٤ من جهة أخرى.
(ب) ٦، ٩ من جهة، و٧، ٨ من جهة أخرى.

٤ - عدد الجمل والتراكيب الفعلية، فى النموذج الإحصائى الأول، أى فى مجموع الصفحات التى حللناها، يفوق عدد الجمل والتراكيب الاسمية، كما يلخصه الجدول الآتى :

جدول ١٢

النوع	فعلية	اسمية
الجمل الأساسية	١٢٠	٤٦
التراكيب المستقلة	٢٠٢	٥٩
التراكيب غير المستقلة	٣٣٤	٧٨

يلاحظ أننا أثبتنا نتائج إحصاء جمل وتراكيب الصنف الثانى، من هذا النموذج، دون أن نورد أمثلة لكل نوع، واكتفينا بالإحالة على النصوص، فى الصفحات المشار إليها، وذلك خشية الإطالة فيما قد يستغنى عنه. وسننتقل الآن إلى إحصاء جمل النموذج الثانى وهى الجمل الدعائية.

النموذج الثانى

إحصاء الجمل الفعلية والاسمية فى الجمل الدعائية

سنعمل فى هذا النموذج على إثبات نتائج إحصاء الجمل والتراكيب وتحديد نسبة الفعلية والاسمية تاركين تفصيل الحديث عن الجمل الدعائية وخصائصها إلى فصل خاص.

* * *

يبلغ عدد الجمل الدعائية الواردة فى **رسالة الغفران** ١١٩ جملة، منها :

١٠٤ فعلية.

١٥ اسمية.

فتكون نسبة الجمل الاسمية إلى الجمل الفعلية هى $\frac{١}{٨}$ (تقريبًا).

والجدول التالى يجمل نتائج الإحصاء.

جدول ١٣

الجمل الدعائية	
الاسمية	١٥
الفعلية	١٠٤
النسبة بينهما	$\frac{١}{٨}$

سنحاول فى الفصل الخاص بالجمل الدعائية تعليل هاته الظاهرة مع إثبات بعض الأمثلة.

obeikandl.com

النموذج الثالث

إحصاء نسبة الجمل الفعلية والاسمية فى الجمل النعتية

بعد عملية إحصاء راعينا فيها، الدقة بقدر المستطاع، علمنا أن عدد النعوت التى جاءت جملا هو ٣١٠ نعتا وأن نصيب الجمل الاسمية فيها قليل:

١ - الجمل الفعلية ٢٥٠.

٢ - الجمل الاسمية ٦٠.

فتكون النسبة هى $\frac{١}{٥}$ تقريبًا. ونلخص ذلك فى الجدول التالى:

جدول ١٤

الجمل النعتية	
جمل اسمية	٦٠
جملة فعلية	٢٥٠
النسبة بينهما	$\frac{١}{٥}$

سنكتفى بإثبات هذه النتائج على أن نعمل، فى فصل خاص، بالجمل الواقعة نعتًا على تفصيل القول فى كل نوع منها.

الخلاصـــة :

من هذه النماذج الثلاثة السابقة ومن نظرة تحليلية لأسلوب الرسالة عامة، نستخلص أن الجمل والتراكيب الفعلية تشيع أكثر من الجمل والتراكيب الاسمية فى الأسلوب العلائى. فالاسمية التى بالرسالة تبدو أكثر عددًا فى الفقرات التى يتناول فيها أبو العلاء تحليلا نحويًا أو نقديًا أو شرحًا لغويًا، فى استطراداته بالفصل الأول، كما تبدو كثيرة فى مستهل إجابته عن أسئلة ابن القارح، وفى الصفحات التى يتعرض فيها للنصح، وسرد الحكم، واستخلاص العبر من حوادث الدهر بالفصل الثانى. ورغم ذلك، تظل الجمل والتراكيب الاسمية (بالنسبة للجمل والتراكيب الفعلية) قليلة الاستعمال، فى الرسالة عمومًا، فكما أظهرت لنا نتائج الإحصاء السابقة، إن الجمل والتراكيب الفعلية تحتل المركز الأول، حتى فى الفصل الثانى من الرسالة، وإن كان يختلف موضوعه عن الرحلة القارحية التى نسجها الفصل الأول. لقد كان من المتوقع أن تتساوى النسبة بين نوعى الجمل والتراكيب. ولعل ما به من استطرادات متنوعة، لا تخلو من خيال وقص، هو ما رفع نسبة الفعلية به.

وباختصار يظهر بوضوح أن الأسلوب العلائى يتغير حسب المواضيع التى يتناولها. هكذا جاءت جمله وتراكيبه ملائمة للمحتويات، تعكس ما يقتضيه كل مقام. ففى الفصل الأول يصور أبو العلاء رحلة ابن القارح، عبر الجنة والنار، فتسود مواقف التصوير والابتكار والوصف، ويسود معها تعاقب الأحداث المختلفة التى تمضى فى ظروف متوالية، وفترات حالية ومستقبلية، الشىء الذى جعل الجمل والتراكيب الفعلية المضارعة تسود قسم الرحلة عمومًا (حكاية الحال) وهذا يتناسب، ولا شك، مع ما كان يهدف إليه أبو العلاء حيث أراد أن يجعلنا نسير مع ابن القارح خطوة خطوة، فنحيا واياه تلك المغامرات، ونشعر، فى نفس اللحظة، بما يشعر به. فقليلا ما كان أبو العلاء يكتفى بإخبارنا بما قام به ابن القارح أو غيره من أبطال الرحلة، بل كان يأبى إلا أن نكون له ولهم، شركاء فعلا، ورفقاء فى جولات الجنة والنار.

لذا، جاءت نسبة الجمل والتراكيب الفعلية الماضوية فى فصل الرحلة أقل من نظيراتها المضارعية، فالأحداث التى كانت تحصل فى زمان مضى، ويذكرها صاحبنا على سبيل الحكاية، هى ما جاءت، مثلا فى قصة الحشر التى ساقها على لسان ابن القارح حين أخذ يحكى كيف تم خلاصه من أهوال الصراط والحشر[١]، وكذلك فى قصة مغامرات إبليس التى عاشها فى الدنيا مع بنى آدم[٢]. هناك سادت الجمل والتراكيب الفعلية ذات الفعل الماضى.

أما فى الفصل الثانى من **الرسالة** حيث يرد أبو العلاء على أسئلة ابن القارح، فإن الأسلوب يأخذ طابعًا آخر، إذ يصبح تقريريًّا فى مجمله، ومن ثم يستعمل، غالبًا، فى بداية **تناوله الرد** على كل سؤال جملة اسمية كما يستعمل الجمل الاسمية فى التعبير عن الحكم والمواعظ التى يسوقها. وهذا يسير طبقًا للنظرية التى سقناها فى أول الفصل، من أنه يَلْجَأ إلى الجمل والتراكيب الاسمية حينما يراد إعطاء المسند إليه الاهتمام الأساسى فى الخبر ليحتل المركز الأول، وهذا يتجلى واضحًا فى الفصل الثانى من الرسالة إذ ينصب الحديث عن بعض رجالات الأدب واللغة والفقه الذين جعلهم ابن القارح موضوع تساؤلاته، كما رأينا. ورغم ذلك، تظل الجمل والتراكيب الفعلية ذات النسبة الكبرى حتى فى هذا الفصل.

وإن التلاءم بين القوالب والمحتوى لما يعكس قوة الإبداع والخلق عند أبى العلاء. هذا، بالإضافة إلى ما فى أسلوبه من سحر ورونق لا يخضع لمقاييس الإحصاء والضبط، الشىء الذى يؤكد أن خصائص العبقرية العلائية هى أنها استطاعت أن تتميز بأسلوب خاص، ينجح، إلى حد كبير، فى انتزاع القارئ وجعله يحيا كليًّا، ويُساير عن كثب جزئيات **الرسالة**، دون ملل أو كلل. وأكثر من ذلك، إن أسلوب **الرسالة** يرغب فى قراءتها مرة ومرات، وكلما تكررت القراءة، ازداد الشعور بسر خفى يجذب إلى المزيد من التأمل والدرس، وتنكشف ألوان من

---

(١) رسالة الغفران، من ص ٢٤٨ إلى ٢٦٢.

(٢) رسالة الغفران، من ص ٢٩٣ إلى ٢٩٦.

المفاهيم والتعابير يقل ورود أمثالها فى تآليف غيره من الكتاب. قد لا نجازف إذا قلنا إن ما رمى به ويرمى به أسلوب أبى العلاء من تعقيد يعكس نفسيته المعقدة المحرومة، ليس فى الحقيقة سوى قصور عن الكفاح والصبر من أجل الوصول إلى التذوق والانفعال لفن جديد من فنون الأدب، ذى أسلوب متميز عال.

obeikandl.com

الفصل الرابع

النعت فى رسالة الغفران

تناول الفصل السابق دراسة الجملة بأنواعها المختلفة، البسيطة، والمركبة، والتركيبية، وذلك فى الشكلين الأساسيين، الجملة الاسمية، والجملة الفعلية.

ولكن الجمل فى اللغة لا تقوم بعناصرها الأساسية وحدها، بل إنها تضم بعض المكملات التى تعتبر عناصر ضرورية فى بنائها.

وقد لاحظنا من خلال دراسة أشكال الجمل العلائية أن امتداد الجمل التركيبية يرجع لما تضمه من تراكيب غير مستقلة، تقع فى غالب الأحيان صفة. إذ أن استخدام الوصف بأنواعه المختلفة هو من أكثر الأساليب شيوعًا فى **رسالة الغفران**، فرأينا أن نقوم بدراسة استقرائية شاملة لهذه الظاهرة تتبعًا لأشكال جملها، وصيغ مفردها، وما جاء من الجوامد مؤولا بالمشتق، لنرى إلى أى حد كان أبو العلاء يستخدم اللغة بمرونة فائقة، واقتدار عجيب.

لدراسة النعت فى **رسالة الغفران**، نهجنا منهج النحاة فى تقسيم النعوت باعتبار معناها، أى نوع المنعوت الذى تتعلق به دلالتها. بعد الاستقراء، تبين لنا أنها تخضع لنوعى النعت المعروفة فى بابه، فهى إما دالة على معنى فى نفس متبوعها الأصلى وهو ما يطلقون عليه النعت الحقيقى وإما دالة على معنى فى ما هو من سببه وهو ما يسمونه النعت السببى.

النعت الحقيقى:

تيسيرًا لمهمة دراسة النعوت الحقيقية الواردة فى **الرسالة**، بدأنا بإحصاء شواهدها، ونقل كل واحدة منها على جذاذة خاصة، ثم عمدنا إلى تقسيمها حسب المستوى التركيبى، أى نوعية مبناها الذى تؤدى به وظيفتها، فوجدنا أن من تلك

النعوت ما ينتمى إلى المستوى البسيط، فجاء مفردًا، ومنها ما يدخل فى المستوى المركب فجاء جملة أو شبه جملة.

وفيما يلى سنعمل على دراسة النعت الجملة.

أولاً : النعت الجملة

تتجلى ثقافة أبى العلاء وعمق اطلاعه فيما تزخر به **رسالة الغفران** من استطرادات متنوعة المشارب : أدبية ولغوية ونحوية وفقهية. أما ثروته الخيالية وتضلعه اللغوى فيظهران بوضوح فيما له من باع طويل وقدرة على تجاوز النعوت المفردة إلى النعت جملة واحدة، أو جملاً متتالية، الشيء الذى يجعل التعبير العلائى يمتاز بالنفس الوصفى الطويل .ويسدل عليه رونقًا خاصًا.

وقبل أن نتصدى لدراسة أحوال الجمل النعتة فى الرسالة، نشير إلى أن أبا العلاء كما يستعمل من الصفات الجمل وحدها، قد يجمع بين النعت الجملة والنعت المفرد للمنعوت الواحد، أو بينها وبين شبه الجملة، وقد يجمع بين الأنواع الثلاثة، المفرد، وشبه الجملة، والجملة. لذلك نرتئى أن نقسم الجمل الواقعة نعتًا فى الاستعمال العلائى إلى الأقسام التالية :

١ - الجملة منفردة.
٢ - الجملة مع نعت مفرد.
٣ - الجملة مع نعت شبه جملة.
٤ - الجملة مع نعت مفرد وآخر شبه الجملة.

وسنتولى دراسة كل قسم، من هذه الأقسام، على حدة، عاملين فى دراسة الجمل، على الكشف عن بنيتها التركيبية، وعن نظام أجزائها المختلفة. ولتحقيق ذلك عمدنا إلى تحليل كل جملة إلى العناصر التى تتألف منها، آخذين بعين الاعتبار موضع ونوع كل من المسند، والمسند إليه، وما قد تحتويه الجملة من مفاعيل ومكملات، كالجار والمجرور، والعطف والنعت، والحال. إثر، ذلك، جمعنا

المتشابهات تحت مجموعة واحدة. ثم حصرنا أنواع جمل كل مجموعة، فى صنفين كبيرين هما :

- الجمل الفعلية.
- الجمل الاسمية.

كل ذلك رغبة منا فى معرفة أى أشكال الجمل الوصفية يطرد وروده فى رسالة الغفران.

obeikandl.com

القسم الأول

النعت الجملة (منفردة)

استخلصنا من عمليتى الإحصاء والتصنيف أن عدد النعوت التى جاءت جملة منفردة عن النعت المفرد، والنعت شبه الجملة يبلغ حوالى ٣١٠ جملة. وتبين لنا، كما ذكرنا فى الفصل المتعلق بدراسة الجمل الفعلية والجمل الاسمية فى الغفران، أن عدد الجمل الفعلية التى جاءت نعتًا، يفوق بكثير عدد الجمل الاسمية. وسنبدأ، أولاً، بالجمل الفعلية محاولين استخلاص ميزات الاستعمال العلائى فيها.

الجمل الفعلية الواقعة نعتًا

يبلغ عدد الجمل الفعلية الواقعة نعتًا منفردًا عن غيره من أنواع النعوت الأخرى ٢٥٠ جملة، وسنحاول دراسة تركيبها ونظام الكلمات داخلها.

يمكن على أساس البناء الداخلى تقسيم الجمل الفعلية إلى : جمل بسيطة، وجمل مركبة، وجمل تركيبية.

وفى كل واحدة من هذه الجمل، إما أن يكون المسند فعلاً لازمًا أو متعديا إلى مفعول به واحد أو أكثر.

بناء على ذلك، يمكن أن نقسم كل نوع من أنواع الجمل، حسب نوع الفعل فيها إلى :

(أ) الجمل التى جاء فيها الفعل لازمًا.

(ب) الجمل التى جاء فيها الفعل متعديا.

النوع الأول :

الجمل الفعلية البسيطة :

أولاً : الجمل ذات الفعل اللازم :

يبلغ عدد الجمل التى جاء فيها الفعل لازمًا ٨٢ جملة. وقد جاء الفاعل فيها إما :

- ضميرًا متصلا، وذلك كقول أبى العلاء :

«فخرجَ مع قومٍ يتنزهون»[١].

- أو ضميرًا مستترًا، مثل :

«فمروا بثورٍ يكْربُ، فقال لأصحابه»[٢].

وقد يأتى الفعل مبنيًّا للمجهول، ونائب الفاعل ظاهرًا كقوله :

«ومع المنصَفِ باطيةٌ من الزمرد، فيها من الرَّحيقِ المخْتُوم شَىءٌ يُمزَجُ بِزنجبِيل»[٣] أو ضميرًا مستترًا كقوله :

«فأينَ مَهْرَب العَاقِل من شَقاءٍ رتبَ»[٤].

ويلاحظ أن أبا العلاء :

١ - اكتفى فى ٢٥ جملة بالمسند والمسند إليه، كما هو واضح فى الأمثلة السابقة فأتت الجمل على الشكل التالى :

المسند + المسند إليه

٢ - فى ٣٥ جملة يلى المسند إليه، سواء كان ظاهرًا أو مستترًا :

(١) الرسالة، ص ٤٦٨، انظر أمثلة أخرى فى ص ٢١٥، ٢٩٤.

(٢) الرسالة، ص ٤٦٨، انظر أمثلة أخرى فى ص ١٦٤، ١٧٦، ٣٤٥، ٣٩٧، ٤٣١، ٤٨٠.

(٣) الرسالة، ص ١٨، انظر أمثلة أخرى فى ص ١٧٦، ٢١٥، ٣٥٩، ٤٥١، ٤٦٢، ٤٧١، ٤٧٤.

(٤) الرسالة، ص ٤٩٥، انظر أمثلة أخرى فى ص ١٥٢، ٣٨٦، ٤٨٠، ٤٩٠، ٥٤٥.

(أ) جار ومجرور على الشكل التالى :

المسند + المسند إليه + جار ومجرور.

كقوله :

«أَيكُون فيكمُ عَرَبٌ لا يَفْهَمُون عن الروم؟»[١].

«ورأيتُ فيما يرى النائمُ حَبْلًا نَزَلَ منَ السماءِ»[٢]

وقد يكون المجرور اسم موصول يحتاج إلى صلة مثل :

«يجوزُ أَنْ يَرى الرجلُ رجلًا قد فَتكَ بمن اسمهُ حسَّانُ أَوْ عطَارِدُ أَوْ غير ذَلك، فَيتَمثل بهذَا البيت. كما قد يتعدد الجار والمجرور مثل :

«فإنَّ للقنَيصِ لذةً قد تَنَغَّضْتُ لكَ بِها»[٣]. [تنغضت : نهضت]

(ب) مضاف إليه على الشكل التالى :

المسند + المسند إليه + مضاف إليه :

«وحُقَّ لك أَنْ تَنْسَاه كما ذُهِل وَحْشيٌّ دَمِيَ نَسَاه»[٤].

(جـ) جار ومجرور مع مضاف إليه :

المسند + المسند إليه + جار ومجرور + مضاف إليه :

«فَإذَا نظرَ إلى صَوَارٍ تَرتَعُ فى دَقَارِيِّ الفِرْدَوس [. . .] صوَّب مولاىَ الشيخُ المِطْرَد»[٥].

(د) جار ومجرور مع اسم معطوف على المجرور :

المسند + المسند إليه + جار ومجرور + معطوف :

---

(١) الرسالة، ص ٢٩٦، انظر مثالا آخر فى نفس الصفحة.

(٢) الرسالة، ص ١٨٣، انظر أمثلة أخرى من هذا الصنف فى ص ٢٥٦، ٢٧٠، ٤٤٩، ٥٢٠، ٥٥٧.

(٣) الرسالة، ص ٤٠٧، انظر أمثلة أخرى من هذا الصنف ص ٣٧٨، ٣٩٧.

(٤) الرسالة، ص ١٩٥.

(٥) الرسالة، ص ١٩٧، انظر أمثلة أخرى من هدا الصنف ص ٢٠٩، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٤٩، ٣٢٧، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٨٦، ٣٩٩.

«فى سَجسَجٍ بَعُدَ عَن الحَرِّ والقَرِّ»[١].

(هـ) جار ومجرور مع نعت مفرد للمجرور:

المسند + المسند إليه + جار ومجرور + نعت.

«أو قطرة تَسْبِقْ من السحابِ المرىِّ»[٢].

هذا وقد يجمع أبو العلاء بين الجار والمجرور والمضاف إليه والمعطوف كقوله:

«فإذا هو بأسدٍ يَفتَرس من صِيرَان الجنَّة وحَسِيلها»[٣].

٣ - ومن الملاحظ، أيضًا فى جمل هذا النوع أنه:

(أ) قد يفصل بين المسند والمسند إليه جار ومجرور، وقد تردد ذلكِ فى ٢٢ جملة، أتت على الشكل التالى:

المسند + جار ومجرور + المسند إليه.

نحو:

«كلما كُشِفتْ القدرَة بَدتْ لها عَجَائبُ لاَ تَثْبُتُ لَهَا النَّجَائِبُ»[٤].

«وكان قَدْ طَمِعَ فى شىءٍ قد طمعَ فيه مَنْ هُو دُونه»[٥].

وقد جاء الفاعل اسمًا ظاهرًا فى إحدى عشرة جملة كما فى المثالين[٦].

أما الأمثلة الباقية فجاء فيها الفعل مبنيًّا للمجهول كقوله:

«إنكَ على سِيفِ بحر لا يُدْرَكُ له عِبْرٌ»[٧].

(ب) بالإضافة إلى الجار والمجرور الذى يفصل بين طرفى الجملة، يلى المسند إليه:

---

(١) الرسالة، ص ١٧٥.

(٢) الرسالة، ص ٥٤٧، انظر مثالاً آخر فى ص ١٤٠.

(٣) الرسالة، ص ٣٠٤، انظر أمثلة أخرى من هذا الصنف فى ص ٢٢٦، ٢٤٣، ٤١٩،.

(٤) الرسالة، ص ٢١٤.

(٥) الرسالة ص ٤١٨.

(٦) الرسالة ص ٢٢١، ٢٥٢، ٢٧٠، ٣٤٧، ٤٤٣، ٤٦٢، ٤٧٣، ٥٥٩،.

(٧) الرسالة، ص ٢١٥، وكذلك ص ٣٥٣، ٤٢٢، ٤٧٠، ٤٧٥،.

- معطوف على المسند إليه :

المسند + جار ومجرور + المسند إليه + معطوف.

«فَيَرد عليه [. . .] زَوْل تَعْجِزُ عنه الحِيَلُ والحَوْل»[١].

- أو مضاف إليه :

المسند + جار ومجرور + المسند إليه + مضاف إليه.

«ثُم جُعِل فى خَلخال تختالُ بلبْسِه ذاتُ الخالِ»[٢].

هذه هى أحوال بناء الجمل البسيطة الواقعة نعتًا مما جاء الفعل فيها لازمًا.

ثانيًا : الجمل البسيطة ذات الفعل المتعدى :

تنقسم هذه الجمل بحسب موضع المفعول به من الفاعل إلى :

١ - ما حافظ فيها المفعول به على رتبته.

٢ - ما تقدم فيها المفعول به على الفاعل.

وسندرس كل نوع على حدة.

١ - الجمل البسيطة التى حافظ فيها المفعول على رتبته بعد الفاعل.

تأتى هذه الجمل عمومًا على الشكل التالى :

المسند + المسند إليه + المفعول به.

مثل :

«ولَمْ يُقْتَل [. . .] حتَّى ظَهَرت عنهُ مقالاتٌ **تُوجبُ ذَلك**»[٣].

«وتَزوجنى رجلٌ **يبيعُ السقْطَ**»[٤] **السقط** : ما لا قيمة له من كل شىء أو هو ردىء المتاع.

---

(١) الرسالة، ص ٢١٣.

(٢) الرسالة، ص ٥٧٧، انظر: مثال آخر، فى ص ٣٨١.

(٣) الرسالة، ص ٤٣٦، انظرأمثلة أخرى فى ص ٢٦٩، ٥٠٠، ٥٥٥،.

(٤) الرسالة، ص ٢٨٦-٢٨٧.

وغالبًا ما يأتى المفعول به ضميرًا متصلا بالفعل الذى به ضمير مستتر هو الفاعل، وقد تكرر ذلك إحدى عشرة مرة، مثل قول أبى العلاء:

«ولم يَجِد عَن ذلكِ لشِقاءٍ يشْقَاهُ»[١].

«حَطَبَ لنار أَكَلتْه»[٢].

ومما يلاحظ، أيضًا، أن المفعول به يأتى متلواً بـ:

(أ) جار ومجرور:

المسند + المسند إليه + المفعول به + جار ومجرور + معطوف

«وإنَّما نشَأتِ فى ثمرَة تُبعدُك من جنٍّ وأَنِيس»[٣].

(ب) جار ومجرور ومضاف إلى المجرور:

المسند + المسند إليه + المفعول به + جار ومجرور + مضاف إليه.

«إن قام قائم يَدعوكم إلَى عبادَةِ الله فأَطِيعُوه»[٤].

«أراد بالعَبْدِية دنَانيرَ نَسَبَها إلى عبد الملك بن مَروان»[٥].

(جـ) جار ومجرور ونعت للمجرور:

«فى يده محجَن ياقُوتِ ملكه بالحكم المَوْقُوت»[٦].

(د) أو يلى المفعول به مضاف إليه وحده:

المسند + المسند إليه + المفعول به + المضاف إليه.

«ما أقربنى من إذالة تُبطلُ كلام العدَّالَة»[٧].

---

(١) الرسالة، ص ١٣٣.

(٢) الرسالة، ص ٤٩١، انظر أمثلة أخرى فى ص ١٧٩، ٢٠٦، ٢١٨، ٢٥٠، ٣٠٩، ٣٩٣، ٤٠٨، ٤٩٤.

(٣) الرسالة، ص ٣٧٣، انظر مثالا آخر فى ٣٤٧.

(٤) الرسالة، ص ١٨٣، انظر أمثلة أخرى فى ص ٢٦٩، ٢٨٧، ٥١١.

(٥) الرسالة، ص ٥٦١، انظر أمثلة أخرى فى ص ٢٦٢، ٣٩٣.

(٦) الرسالة، ص ٢١٥، انظر أمثلة أخرى فى ص ١٩٩، ٤٣٧.

(٧) الرسالة، ص ٤٨١، انظر مثالين آخرين فى ص ٣٣٩، ٥٥٨.

(هـ) قد تتكرر المعطوفات على المفعول به كما فى قوله:

«وقد صَار من ورائِها رِدفٌ يضَاهى كُثبانَ عالج وأنقاءَ الدهناء وأرملة تبْرين»[١].

(و) من الجمل ما يسد فيها مسد المفعول به جملة أن واسمها وخبرها،

«ولَهُ امرأةٌ تَزعم أَنها منْ طيء»[٢].

(ز) قد يتعدى الفعل فى بعض الجمل إلى مفعولين كقوله:

«وكان لَهُ غلامٌ يَعدُ نَفْسَهُ التوبةَ»[٣].

٢ - الجمل البسيطة التى تقدم فيها المفعول به على الفاعل:

يبلغ عدد جمل هذا الصنف ٥٣ جملة، من مفاعيلها ما جاء:

(أ) اسمًا ظاهرًا مقدمًا على الفاعل. كالشكل التالى:

المسند + المفعول به (اسم ظاهر) + المسند إليه.

مثل: «ولكنها مقاديرُ تَغْشَى الناظِرَ بها سَمادِير»[٤]. سمادير: شيء يتراءى للإنسان من ضعف بصره، أو عن سكر أو دوار أو نعاس.

(ب) ضميرًا متصلا بالفعل.

المسند + المفعول به (ضمير متصل) + المسند إليه.

كقوله: «ولو حَضرَ أَخْونةً حضَرَهَا الشيخ لعادَ كما قال القائل»[٥]

وقد يلى المسند إليه نعت، عبارة عن اسم موصول وصلته كقوله:

---

(١) الرسالة، ص ٢٨٩.

(٢) الرسالة، ص ٥٨١، انظر أمثلة أخرى ١٥٣، ٤٦٦، ٤٩٥.

(٣) الرسالة، ص ٥٢٩، انظر مثالا آخر فى ص ٤٩٩.

(٤) الرسالة، ص ٤٥٣.

(٥) الرسالة، ص ٣٩٩، انظر أمثلة أخرى للنوعين (أ،ب) فى، ص ١٦٨، ٢٠٩، ٢٨٠، ٢٩٦، ٣١٦، ٣٣٥، ٣٦٨، ٤٢٨، ٤٦٠، ٤٩٧، ٥٧٣.

«ومن كلِّ ريق ضَمِنَتْهُ هذه الدارُ الخادعةُ التى هى لكل شَمَمٍ جادعةٌ»[1].

تلك هى أحوال الجمل التى يأتى فعلها لازمًا أو متعديًا. وننتقل الآن إلى دراسة النوع الثانى، من أنواع الجمل التى تقع نعتًا وهو الجمل المركبة.

النوع الثانى :

الجمل الفعلية المركبة الواقعة نعتًا :

عرفنا الجملة المركبة بأنها الجملة التى تتألفُ من تركيبين مستقلين أو أكثر، وقد يتم الربط بين تراكيبها بأداة كما يتم بدون أداة. وبناء على ذلك سنقسم الجمل المركبة الواقعة نعتًا إلى :

- ما تم الربط بين تراكيبه المستقلة بأداة.
- ما تم الربط بين تراكيبه المستقلة من غير أداة.
- ما تم الربط بين بعض تراكيبه بأداة وبين بعضها الآخر بدون أداة.

وفيما يلى نورد أمثلة لكل نوع.

أولًا : الجمل الفعلية المركبة التى تم الربط بين تراكيبها بأداة.

تعتبر أمثلة هذا النوع، أكثر ورودًا من أمثلة الأنواع الأخرى إذ تبلغ عشرين مثالا، وهى تتألف من تركيبين أو ثلاثة تراكيب أو أربعة كالتالى :

(أ) الجملة المؤلفة من تركيبين تربط بينهما أداة من أدوات العطف :

الواو - الفاء - بل - ثم.

- الربط بـ«الواو»، مثل قوله :

---

(١) الرسالة، ص ١٤٥-١٤٦، انظر مثالين آخرين، فى ص١٣٨، ١٤٤.

«سلامٌ يَتْبعُ قُرومَه إفَالُهُ / و / تَلْحَقُ بِعُوذِه أَطفاله»[١].

- الربط بـ«الفاء»، مثل:

«إنَّ هذا الشعرَ لرجلٍ أُسِر /فـ/ كَتبَ إلى قَوْمه بذلك»[٢]

- الربط بـ«بل»، مثل:

«وبِمِسْكٍ مَا جُنِي مِنْ دِماءِ الفُور /بَل/ هو بتقديرِ الله الكَريم»[٣]

يلاحظ أن أبا العلاء فى هذا المثال جمع بين تركيب فعلى وتركيب اسمى.

- الربط بـ«ثم»، مثل:

«ولَقِيَهما كلبٌ أَلحَّ عليهما فى النباح / ثم / انصَرف»[٤]

(ب) الجمل المؤلفة من ثلاثة تراكيب:

مثل:

«وحُكِيَ لِي أَنَّ لِلْقرامِطَةِ «بالأحساء» بيتًا يَزْعُمون أَنَّ إمَامَهم يخرُج منه / و / يُقيمون على بابِ ذلك البيتِ فَرَساً بسَرْج ولجام / و / يقولون لِلْهَمج والطغَام. . .»[٥]

(جـ) الجمل المؤلفة من أربعة تراكيب، مثل:

«يجبُ أَنْ يُحْذَر من مَلَكٍ يَعْبُر / فـ/ يَرَى هذَا المجلس / فـ/ يَرْفَعَ حديثه إلى الجَبَّار الأعظم / فـ / لَا يُجَرُّ ذلِك إلا إلى ما تَكْرَهَان»[٦]

---

(١) الرسالة، ص ٥٨٤، انظر أمثلة أخرى، من هذا الصنف، فى ص ١٩٨، ٢٢٣، ٢٥٤، ٣٢١، ٣٩٧، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٤، ٤٥٠، ٤٥٤، ٤٦١، ٥٠٤.

القروم: جمع قرم: السيد العظيم وأيضًا الفحل إذا ترك عن الركوب والعمل.

الإفال: صغار الإبل.

(٢) الرسالة، ص ٢٧٠، انظر، مثالا آخر، فى ص ٥٠٠.

(٣) الرسالة، ص ٣٧٩.

(٤) الرسالة، ص ٤٢٣.

(٥) الرسالة، ص ٤٤٢، انظر مثالا آخر، فى ص ٢٣٦.

(٦) الرسالة، ص ٢٣٣، انظر، أمثلة أخرى من هذا الصنف، فى ص ٣٠٦، ٤١٥، ٥٤٤.

ثانيًا: الجمل المركبة التى تم الربط بين تراكيبها بالربط السياقى، أى من غير أداة.

وقد تتألف من تركيبين مثل:

«ولعلهُ فى نَار لَا تَغِيرُ، مَاؤُها للشارب وَغيرُ»[١]

«وصارت الفخارة خَزَفًا لَا يُرادَ، يُلْغيه النسكةُ والمرَّادُ»[٢]

يلاحظ أن الفعل فى التركيب الأول جاء مبنيًا للمجهول وقد جاء نفس هذا التركيب ونفس نظام الكلمات فى خمس جمل.

ومما جاء الربط فيه بالسياق فحسب، قوله أيضا:

«... وأباريق خُلِقَتْ من الزبرجَد يَنْظُر منها الناظرُ إلى بَدىٍّ مَا حَلَمَ به أبو الهندى»[٣]

فى هذا المثال يأتى أبو العلاء للمجرور فى التركيب الثانى بنعت جملة:

«إلى بدى مَا حَلَمَ به أَبُو الهندى»

وكثيرًا ما نجد المعرى يستعمل نعتًا مفردًا، أو شبه جملة، أو جملة لمنعوت داخل جملة وقعت نعتًا كما فى المثال السابق وكما فى قوله:

«ومع المِنْصَفِ بَاطية من الزُمُردُّ، فِيها من الرَّحِيق المَخْتُوم شيءٌ يُمْزَجُ بِزَنْجَبِيل والماءِ أُخِذَ من سَلْسَبِيل»[٤].

وقد تأتى الجملة مركبة من ثلاثة تراكيب مستقلة، ترتبط فيما بينها بالربط السياقى:

«ويَمْضى فى نُزْهَتِه تِلك بشابين يَتَحادَثَانِ كلُّ واحد مِنْهُما على باب قَصْر من درّ قَدْ أُعفِى مِنَ البُؤس والضرِّ»[٥].

---

(١) الرسالة، ص ١٤٥، انظر مثالاً آخر ص ٥٨١.

(٢) الرسالة، ص ٤٠٦، انظر، أمثلة أخرى، فى ص ٢٢٣، ٤٩٦، ٥٥٠.

(٣) الرسالة، ص ١٤٢. انظر مثالين آخرين فى ص ٢٧٩، ١٦٧.

«أبو الهندى» (شاعر مشهور أدرك الدولتين واسمه عبد المؤمن بن عبد القدوس. كما يذكر أبو العلاء فى ص١٤٣).

(٤) الرسالة، ص ١٨٥.

(٥) الرسالة، ص ٢٠١.

يلاحظ أن التركيب الثانى جاء اسميًّا.

ثالثًا: الجمل المركبة التى ربطت بين بعض تراكيبها أداة وبين بعضها الآخر الربط السياقى.

أمثلة هذا النوع قليلة جدًّا، ومنها قول أبى العلاء:

- «**وإنَّمَا هِيَ مقاديرُ يُديرُهَا فى العلُوِّ مديرٌ يَظْفرُ بِهَا مَنْ وُفِّقَ / و لا يُرَاع بالمجتهد أن يُخْفِق**»[١]
- «**وإذا هو بحياتٍ يَلْعَبْنَ / و / يَتَماقَلْنَ يخافقن / و / يَتثَاقَلْن**»[٢].

بعد إيراد هذه النماذج للجمل الفعلية المركبة الواقعة نعتًا ننتقل إلى دراسة الجمل التركيبية.

النوع الثالث:

الجمل الفعلية التركيبية التى جاءت نعتًا منفردًا:

- جمل هذا النوع قليلة، تبلغ ثلاث عشرة جملة، وقد جاءت أداة الربط التركيبية فيها إما «**لو**» وإما «**إذا**» وفيما يلى أمثلة لكل منها.

(أ) «لو»:

«**فيَجْرعان من ذَلك المِحْلَبِ جُرَعًا لَوْ فُرِّقتْ علَى أَهل سقرَ لَفازُوا بالخُلْد سَرَعًا**»[٣]

«**. . . إلَّا وَقَّعَ مسرَّةً لو عُدِلَتْ بمَسَرَّاتِ أهل العاجلةِ، منذُ خَلَقَ اللهُ آدمَ إلى أنْ طَوَى ذُريتَه من الأرض، لكانت الزائدةَ على ذَلك زيادة اللَّج المتموِّج على دَمْعةِ الطفل، والهَضْب الشامخِ على الهَبَاءَةِ المنتفِضَةِ من الكفل**»[٤]

---

(١) الرسالة، ص ٤١٩، انظر، مثالين آخرين، فى ص١٤٠، ٥٤٥.
(٢) الرسالة، ص ٣٦٤.
(٣) الرسالة، ص ٢٠٠.
(٤) الرسالة، ص ٢٤٥.

لقد أوردنا هذا المثال الأخير لنعطى صورة على بعض الجمل التى تطول كثيرًا، لما تضمه من تراكيب داخلية مثل :

الجملة المضافة إلى «منذ» :

«خَلَقَ اللهُ آدم»

ومثل الجملة المؤولة بمصدر :

«أنْ طَوَى اللهُ الأرضَ»

وكذلك طالت الجملة، بوجود معطوفات ذات نعت مفرد لمناسبة الفواصل، وجار ومجرور اقتضاهما تعادل العبارتين :

«زيادة اللجِّ المتَمَوِّج على دَمْعَةِ **الطفل**»

«والهضب الشامخِ على **الهَبَاءَةِ المنتفضة من الكفل**»[1].

فى أمثلة هذا النوع يوجد رابط آخر بالإضافة إلى «لو»، هو «لام» واقعة فى جواب الشرط أى داخلة على التركيب الثانى.

(ب) «إذا» :

«... ونَائم **إذَا أَحَسَّ بِالمؤْلِم أَلِم**»[2]

هناك نوع آخر من الجمل الفعلية الواقعة نعتًا هو:

جملتان إحداهما بسيطة والثانية تركيبية، وأداة الربط التركيبية فيها هى «لو» مثل :

«**وَاهًا لِذَلِك عَسَلًا، لم يَكْن بالنار مُبْسَلًا، لَوْ جعله الشاربُ المحرورُ غذاءَه طولَ الأبَدِ مَا قُدِرَ له عارضُ مُومٍ ولا لَبِسَ ثوب المحموم**»[3].

---

(١) الرسالة، انظر، أمثلة أخرى من هذا النوع، فى ص١٦٨، ٢١٣، ٣٩٨.

(٢) الرسالة، ص ٣٩٧.

(٣) الرسالة، ص ١٥٣، انظر أمثلة أخرى فى ص ١٤٩، ١٦٧.

المبسل : المطبوخ.

جملتان إحداهما مركبة والثانية تركيبية، والرابط بين تركيبى الجملة المركبة هو «الواو»، وأداة الربط فى الجملة التركيبية هى «مَنْ»، كقوله:

«وتَجْرِى فى أصول ذلِكَ الشجرِ أنهارٌ تُخْتَلَجُ من ماءِ الحيوان، والكوثرُ يمدهَا فى كل أوَانٍ، مَنْ شربَ مِنها النغْبَةَ فلا موتَ، قد أمن هنالك الفَوْتَ»[1].

الخلاصـــة:

من خلال هذا التحليل لأحوال الجمل الفعلية الواقعة نعتًا نستخلص ما يلى:

١ - أن أبا العلاء، حقًا، ذو نفس تركيبى طويل، حيث أن الجملة الواقعة نعتًا هى فى الواقع تركيب غير مستقل داخل الجملة، ورغم ذلك فهى تتنوع ما بين بسيطة، ومركبة، وتركيبة، وفى كل نوع من هذه الجمل لا يكتفى أبو العلاء كما رأينا بركنى الإسناد الأساسيين: المسند والمسند إليه، بل، غالبًا ما تحتوى الجملة على مكملات وقيود مختلفة، من جار ومجرور، ومضاف إليه، ونعت، وحال، ومعطوف...

٢ - يميل أبو العلاء فى جمله المركبة إلى الربط بأداة، وأغلب تلك الروابط هى «الواو» وتليها الفاء.

٣ - أكثر أدوات الربط التركيبية شيوعًا فى الجمل الفعلية التركيبية الواقعة نعتًا هى «لو» و«اللام».

٤ - قد تحتوى الجمل المركبة على تركيبين مختلفين أحدهما فعلى والآخر اسمى.

٥ - لا يكتفى أبو العلاء - أحيانًا - بالنعت جملة واحدة بل يتعداها إلى جملتين أو أكثر.

تلك هى بعض الملاحظات التى استخلصناها من دراسة الصنف الأول من صنفى الجمل الواقعة نعتًا منفردًا. وننتقل الآن إلى دراسة الصنف الثانى، وهى الجمل الاسمية.

---

(١) الرسالة، ص ١٤١، انظر مثالا آخر فى ص ١٢٩. النغبة: الجرعة.

الجمل الاسمية الواقعة نعتًا

أشرنا فيما سبق إلى أن عدد الجمل الاسمية الواقعة نعتًا فى رسالة الغفران أقل بكثير من عدد الجمل الفعلية، فهى تبلغ ٦٠ جملة. وسنقف عندها لنعطى نظرة عن تراكيبها ونظام الكلمات داخلها.

يمكن على أساس البناء الداخلى تقسيم جمل هذا الصنف إلى: جمل بسيطة، جمل مركبة، جمل تركيبية.

النوع الأول:

الجمل البسيطة:

تتألف الجمل الاسمية عمومًا من مبتدأ وخبر، ومما هو مقرر فى قواعد اللغة أن الخبر كما يجيء مفردًا يجيء جملة أو شبه جملة، وأن رتبته فى الجملة غير محفوظة إذ يجوز أن يتقدم على المبتدأ متى أمن اللبس، بل فى بعض الأحوال يجب أن يتقدم عليه. كما إذا كان المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة أو ظرفًا.

ومن الجمل الاسمية ما يدخل عليه ناسخ، فيحول المبتدأ فيه إلى «اسم» للناسخ ويصبح الخبر خبرًا له.

فماذا نجد عند أبى العلاء؟ من الجمل البسيطة:

١ - ما جاءت خالية من النواسخ.

٢ - ما جاء بها ناسخ من أخوات كان.

١ - الجمل الاسمية البسيطة الخالية من النواسخ:

تتنوع أحوال الخبر، فيها ما بين مفرد، وجملة، وشبه جملة.

(أ) الخبر المفرد.

وقد جاءت أمثلة هذا الصنف على الأشكال الآتية : المسند إليه + مضاف إليه (ضمير) + المسند + تمييز.

«ولو كَانَ الإنْسَانُ فى قَليبٍ **عمقُه ثمانون قامةً** لَجَازَ أن تَسْتَنْقِذَهُ»[١]

المسند إليه + مضاف إليه (ضمير) + المسند + مضاف إليه، مثل :

«فيقولُ أَجل إذَا خُفِّفَتْ صارتْ على حرفَيْنِ **أحدُهما حرفُ عِلَّة**»[٢].

أداة نفى + المسند إليه + جار ومجرور + مضاف إليه (ضمير) + المسند، مثل :

«... على أن الصوفيّةَ تُعَظمُه مِنهم طائفةٌ **مَا هِى لأمره شَائِفة**»[٣].

(ب) الخبر الجملة :

كثيرًا ما تأتى الجملة الواقعة خبرًا فعلية على الشكل التالى :

المسند إليه + مضاف إليه (ضمير) + المسند [المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جملة فعلية سدت مسد المفعول به (أن + المسند إليه (ضمير مستتر) + المسند + صفة المسند)].

مثل :

«وحدَّثنى مَنْ سافَر إلى تلك الناحيةِ، **أَنَّ بِه اليومَ جماعةً**، كلهم يزعم أنه القائمُ المنتظرُ»[٤].

---

(١) الرسالة، ص ٥٧١.

(٢) الرسالة، ص ٣١٨.

(٣) الرسالة، ص ٤٦٣.

(٤) الرسالة، ص ٤٤٢.

ملاحظة :

فى المثال الأخير نجد الضمير فى قول أبى العلاء : «به» لا يعود على متأخر مذكور، وإنما يعود على متقدم عليه وهو «اليمن» فى قوله : «ومازال «اليمن» منذ كان، معدِنًا للمُتكسبينَ بالتدينِ، والمُحتالين على السحتِ بالتَّزَين. وحدَّثنى مَن سافرَ إلى تلك الناحية أن بِه اليومَ جماعةً...»[١]

فإذا نحن أعدنا الضمير على «الناحية» اختلت المطابقة بين الضمير، وما يعود عليه، فلو كان معاده «الناحية» لكان حقه التأنيث، أى لا ستعمل ضمير الغائبة المفردة «ها».

(جـ) الخبر شبه جملة مقدمًا على المبتدأ، كما يلى :

المسند (جار ومجرور) + المسند إليه.

«وكان يحضُر مع نَدَاماه وبين يَدَيْه خُرْدَاذِيٌّ فيه مطبخةٌ»[٢]

- المسند (جار ومجرور) + المسند إليه + جار ومجرور + أداة عطف + اسم معطوف على المسند + نعت مفرد (المنعوت هو الاسم المعطوف على المبتدأ).

- «وكَان فى ذلك العصرِ رجلٌ له أصدقاءُ من الشيعةِ وصديقٌ زنديقٌ»[٣]

- المسند (جار ومجرور) + المسند إليه + جار ومجرور + مضاف إليه (اسم موصول) + صلة الموصول (جملة فعلية).

«وكانت لَهُ قُرعة فيها أشعار كَنْحو مَا يَكُون فى القُرَعِ»[٤].

- المسند (جار ومجرور) + المسند إليه + جار ومجرور + جار ومجرور (صفة للمجرور) :

---

(١) الرسالة، ص ٤٤٢.
(٢) الرسالة، ص ٥٢٥.
(٣) الرسالة، ص ٤٣٣.
(٤) الرسالة، ص ٥٨٠.

«وقد شاهدتُ عندَ أبي أحمدَ عبدِ السلام بن الحسين [. . .] كُتُبًا عليها سمَاعٌ لِرَجل من أهلِ حَلب»[١]

٢ - الجمل الاسمية البسيطة التى دخل عليها ناسخ : يبلغ عددها تسعة عشر، وجل أفعالها الناسخة هى «ليس» مثل :

- «فإنَّ لَهُ عِنْدِى يدًا ليست لغَيْره مِن وَلدِ آدمَ»[٢].

- «والشر يزيدُ عليه بأجزاءٍ ليست بالمحصَاة»[٣]

ويلاحظ أنه كثيرًا ما يأتى خبر ليس مقترنًا بالباء الزائدة.

النوع الثانى :

الجمل الاسمية المركبة :

كل الجمل الاسمية المركبة التى جاءت نعتًا تتكون من تركيبين مستقلين فقط. وغالبًا ما يتم الربط بينهما بأداة العطف «الواو» نحو :

- «كيف يُرْكَنُ إلى حيةٍ شَرفُها السمُّ / و / لَهَا بالفتكَةِ هَمُّ»[٤]

- «فإذَا أنا برجُل عليه نوريتَلالأ / وَ / حَوالَيه رجال تأتَلِقُ منهم أنوار»[٥]

- يلاحظ فى المثال الأخير أنه بالتركيبين الواقعين صفة لِـ«رجل» نعت داخلى للمسند إليه فى كل منهما :

«نورٌ يتلألأ».

«رجال تأتَلقُ منهم أنوارٌ».

هكذا تطول عند أبى العلاء الجمل بتداخل أنواع التراكيب فيها.

---

(١) الرسالة، ص ٥٢٩.

(٢) الرسالة، ص ٣١٠.

(٣) الرسالة، ص ٤٧٧، وانظر أمثلة أخرى فى ص ١٣٠، ١٣١، ٢٤٦، ٣٧٣، ٤٠٣، ٤٦٥، ٤٧٧، ٤٩٨،.

(٤) الرسالة، ص ٣٧١.

(٥) الرسالة، ص ٢٥٢.

تلك هى أحوال النعوت الواقعة جملة اسمية، وقبل أن ننتقل إلى القسم الثانى للحديث عن النعت بمفرد وجملة نعطى خلاصة ما تقدم.

الخلاصـــة :

من خلال التحليل الذى بسطناه لأحوال الجمل الفعلية والجمل الاسمية الواقعة نعتًا فى الغفران نستخلص ما يلى :

١ - ميل أبى العلاء إلى الجمل الفعلية، إذ يبلغ عددها ٢٥٠ جملة فى حين لا يتعدى عدد الجمل الاسمية ٦٠ جملة.

٢ - تشتمل جلُّ الجمل، بالإضافة إلى المسند والمسند إليه على قيد أو قيود، مختلفة من مضاف إليه ونعت وحال وتمييز وغيرها.

٣ - من الجمل الفعلية ما جاء بسيطًا، ومنها ما جاء مركبًا أو تركيبياً، أما الجمل الاسمية فلم تأت إلا بسيطة أو مركبة.

obeikandl.com

القسم الثانى
النعت المفرد والجملة

إن عدد مرات ورود النعت يجمع بين المفرد والجملة يبلغ ٣٨ مرة، وهى من حيث موضع المفرد من الجملة تنقسم إلى :

- ما تقدم فيه النعت المفرد على النعت الجملة.
- ما تقدم فيه النعت الجملة على النعت المفرد.

وسنعمل على دراسة صيغ المفردات ونظام تركيب الجمل ونوعها فى كل منها.

النوع الأول :

ما تقدم فيه النعت المفرد على النعت الجملة :

تنقسم الجمل إلى فعلية واسمية، وعلى أساس البناء الداخلى للجملة يمكن أن نقسم كلا منها إلى :

بسيطة، ومركبة، وتركيبية.

أولاً : مفرد + جملة فعلية.

مفرد + جملة فعلية بسيطة.

من الجمل الفعلية هذه ما جاء بسيطًا والفعل فيه لازما، ومنها ما جاء فيه الفعل متعديا.

١ - الجمل البسيطة ذات الفعل اللازم، تحتوى هذه الجمل بالإضافة إلى المسند والمسند إليه على جار ومجرور، أو مضاف إليه، أو هما معاً، وذلك حسب الأشكال التالية :

(أ) أداة نفى + المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور.

مثل :

« وهذَا قولٌ ينتقضُ، لأن فى هذه (الطائية) **أبياتًا كثيرةً لا تخلو من زِحَاف** »[١].

صيغة النعت المفرد، صفة مشبهة على وزن « فَعِيل » (مؤنثة) : كثير، كثيرة.

(ب) أداة نفى + المسند + جار ومجرور + المسند إليه.

مثل :

« ولقد أرَانِى فى دارِ الشَّقوَةِ أجهدُ أخلاف شياهٍ **لجباتٍ لا يمتلئ منهنَّ القَعْبُ** »[٢].

(القعب : القدح الغليظ).

صيغة النعت المفرد صفة مشبهة على وزن « فَعِل » (مجموعة جمع مؤنث سالم).

لجب، لجبات.

(جـ) المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور + مضاف إليه.

مثال :

« فيصِرْن جَوارِىَ **كَواعِبَ يَرفُلْنَ فِى وَشى الجنَّة** »[٣].

صيغة النعت المفرد، صفة مشبهة على وزن « فَاعل » (مجموعة جمع تكسير).

كاعب، كواعب.

(د) المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور + مضاف إلى المجرور + نعت للمضاف (اسم موصول صلته جملة فعلية [فعل ناسخ + اسمه (ضمير مستتر) + حرف جر زائد + الخبر].

---

(١) الرسالة، ص ٣٦٩.

(٢) الرسالة، ص ٢٤٠، انظر، أمثلة أخرى من هذا النوع، فى ص ٢٥١، ٣٩٠، ٤١٣، ٥٢٨.

(٣) الرسالة، ص ٢١٢.

مثل :

«وقد جَاءتْ عن النبىِّ ﷺ أخبار كثيرة تدلُّ على كَراهةِ الاسمِ الذِى ليسَ بِحَسَن»[١].

صيغة النعت المفرد، صفة مشبهة على وزن «فَعِيل» (مؤنثة) كثير، كثيرة.

٢ - الجمل البسيطة ذات الفعل المتعدى.

فى هذه الجمل، إما أن يتقدم المفعول على الفاعل وإما أن يتأخر وسنأتى لكل نوع بأمثلة.

(أ) الجمل التى حافظ فيها المفعول به على رتبته.

جاءت جل جمل هذا الصنف على الشكل التالى :

المسند + المسند إليه (ضمير متصل) + المفعول الأول + مضاف إليه + مضاف إليه (ضمير متصل) + جملة فعلية سدت مسد المفعول الثانى.

«ولا ملَّةَ إلا ولهَا قَوْمٌ ملحِدُون يرون أصحابَ شرعهم أنَّهم مُوَالِفون»[٢].

صيغة النعت المفرد : اسم فاعل من الرباعى (مجموعة جمع مذكر سالم) : ملحد، ملحدون.

«أنَّهُ كانَ وهو شابٌّ له امرأة مُقِينَةٌ تُزيِّنُ النساءَ فى الأعراسِ»[٣].

صيغة النعت المفرد، اسم فاعل من الرباعى (مؤنث).

قَيَّنَ : مُقَيِّن.

نجد من أمثلة الأفعال المتعدية هاته، ما جاء فيها الفعل مبنيًّا للمجهول مثل :

«فتركتُه وانصرفتُ بأمَلى إلى خَازنٍ آخر يُقال لَهُ زفَر»[٤].

---

(١) الرسالة، ص ٤٧٨، انظر مثالاً آخر، فى ص ١٧٧.

(٢) الرسالة، ص ٤٢٩.

(٣) الرسالة، ص ٥٨٠.

(٤) الرسالة، ص ٢٥١، انظر مثالاً آخر فى ص ٥٢٨.

تتكرر أمثلة هذا الصنف خمس مرات[١].

(ب) الجمل التى تقدم فيها المفعول به على الفاعل:

إن نظام كلمات الجمل، غالباً، على الشكل الذى يلى:

المسند + المفعول به (ضمير متصل للغائب) + المسند إليه + مضاف إليه.

مثل:

«وما عَلِمتُ أنَّهُ جاءَ عنِ الفُصحاءِ هذَا الوزنُ مُقَيَّدًا إلاَّ فى بيتٍ واحدٍ يَتَداولهُ رواةُ اللغة»[٢].

«وهى لغةٌ رديئةٌ يستعملُها أهلُ اليمن»[٣].

صيغة النعت المفرد: صفة مشبهة على وزن فَعِيل (مؤنثة): ردىء، رديئة.

مفرد + جملة فعلية مركبة.

تتألف الجمل هنا من تركيبين مستقلين فأكثر. ويمكن على أساس عدد التراكيب المستقلة التى تدخل فى تكوين جملة النعت أن نقسم هذا النوع إلى قسمين، ما جاء جملة تتألف من تركيبين، وما جاء جملة تتألف من ثلاثة تراكيب.

وسنعطى نماذج لكل منهما:

١ - الجمل المؤلفة من تركيبين:

ترتبط تراكيب الجمل فيما بينها بأداة «الفاء» على الشكل التالى:

تركيب مستقل + الفاء + تركيب مستقل

المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور + مضاف إلى المجرور + الأداة + المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور + حال مفرد من المسند إليه.

---

(١) انظر أمثلة أخرى فى ص ٢٥٥، ٢٥٩، ٣٨٤، ٣٩٢، ٥٠٠.

(٢) الرسالة، ص ١٨٢.

(٣) الرسالة، ص ٢٠١.

«وما يُؤمِنُنى إذَا ركبتُ طِرفًا زَعِلًا رَتع فى رياض الجنة فآضَ من الأشَرِ مُستعِلًا»[١].

صيغة النعت المفرد: صفة مشبهة على وزن فَعِل: زَعِل.

٢ - الجمل المؤلفة من ثلاثة تراكيب مستقلة.

أمثلة هذا الشكل قليلة جدًّا وفى مثال منها يتم الربط بين تراكيبه المستقلة الثلاثة بأداة عطف (الواو) وذلك فى قول أبى العلاء:

«... أنهار من عسل مُصَفًّى ما كَسبته النحلُ الغَاديةُ إلى الأنوَار، / و/لاَ هو فى مُوم متوارٍ / و / لكن قال لَهُ العزيزُ القادرُ: كنْ فَكانَ»[٢].

صيغة النعت المفرد، اسم مفعول من فعل زائد على ثلاثة:

صَفَّى، مُصَفًّى.

نلاحظ بهذا المثال ما يلى:

التركيب المستقل الثانى اسمى يتكون من مبتدأ وخبر.

نجد بالتركيب الأول والثالث نعتًا مفردًا داخليًّا، وفى كليهما جاء نعتًا للمسند إليه، وصيغة النعتين معًا اسم فاعل:

ففى التركيب الأول جاء «الغادية» نعتًا «للنحل».

وفى «الثالث» «القادر» نعتًا «للعزيز».

ثانيًا: مفرد + جملة فعلية تركيبية.

تتألف الجملة فى هذا النوع من تركيب غير مستقل وآخر مستقل وأداة الربط

---

(١) الرسالة، ص ١٩٥، انظر، أمثلة أخرى، فى ص ٣٧٦، ٤٥٨.

- الزِعلُ: النشيط.

- الأشَر: اشير، كفرح بطَر ومرح.

- استعل: صار صَخِباً.

(٢) الرسالة، ص ١٥٣، انظر أمثلة أخرى فى ص ٤٦٦. الموم: الشمع.

التركيبية التى تربطها هى «إن» الشرطية. وتأتى هذه الجملة التركيبية نعتًا ثالثًا لمنعوت بمفرد وبجملة بسيطة فعلية، وهذا نجده فى قوله:

«والشعر كلامٌ مَوْزونٌ تَقْبلُه الغريزةُ علَى شرائطَ، إنْ زَاد أوْ نَقَص أبانَهُ الحِسُّ»[١].

بعد تفصيل القول فى النعت بمفرد وجملة فعلية، ننتقل إلى الحديث عن النعت بمفرد وجملة اسمية.

ثالثًا: مفرد + جملة اسمية.

من الجمل الاسمية الواقعة نعتًا مع نعت مفرد، ما جاء مكونًا من مبتدأ وخبر، ومنها ما دخل عليه ناسخ، وسنورد لكل نوع منها أمثلة.

١ - الجمل المكونة من مبتدأ وخبر:

جمل هذا النوع قليلة جدًّا، وهى من حيث بناؤها الداخلى جميعها بسيطة، وتترتب الكلمات داخلها كالتالى:

(أ) المسند إليه + مضاف إليه (ضمير متصل للغائب) + شبه جملة (ظرف ومضاف إليه) + جملة معترضة + المسند.

وذلك فى قوله:

«وفِي تِلكَ السُّطُورِ كَلِم كثيرٌ كلهُ عندَ البارِى - تقدس - أثيرٌ»[٢].

صيغة النعت المفرد فى هذا المثال، صفة مشبهة على وزن «فعيل»: كثير.

(ب) المسند إليه + مضاف إليه (ضمير متصل للغائب) + المسند (جملة فعلية) + فعل ناسخ + المسند إليه (ضمير مستتر) + حرف جر زائد + الخبر.

---

(١) الرسالة، ص ٢٥١.

(٢) الرسالة، ص ١٤٠.

مثل :

«وعندهُ شجرة قميئةٌ ثَمرُها لَيسَ بزاكٍ»[١].

صيغة النعت المفرد صفة مشبهة على وزن فعيل (مؤنث : قَمِيء : قَمِيئة.

٢ - الجمل الاسمية التى دخل عليها ناسخ :

تتكرر جمل هذا النوع مرات كثيرة، وقد جاء نظام كلمات بعضها على الشكل الآتى :

الفعل الناسخ + الخبر (شبه جملة، جار ومجرور) + الاسم + مضاف إليه. وذلك كقوله :

«لو شفعتْ لأحدٍ أبياتٌ صادقةٌ ليسَ فيها ذكرُ الله سبحانَه لَشفعتْ لكَ أبْيَاتُك»[٢].

صيغة النعت المفرد، اسم فاعل من الفعل الثلاثى مؤنث : صادق، صادقة.

«فَيمشُون قليلًا، فَإذا هم بأبياتٍ ثلَاثة ليسَ فى الجنةِ نظيرها بهاءً وحُسْنًا»[٣].

صيغة النعت المفرد : عدد، ثلاثة.

«وإنَّما أفْرَقُ من وُقوعِ هذه الرسالةِ فى يد غُلامٍ متَرعرع، ليسَ إلى الفهمِ بِمتسَرِّع»[٤].

صيغة النعت المفرد : اسم فاعل من الفعل الخماسى : ترعرع : مترعرع.

«ولَمْ تَكُنْ [الدنانير] كَذَهبٍ مَخزون صارَ إلى الخمارةِ معَ الموزُون»[٥]

صيغة النعت المفرد : اسم مفعول من الفعل الثلاثى :

---

(١) الرسالة، ص ٣٠٧.

(٢) الرسالة، ص ٣٢٨.

(٣) الرسالة، ص ٢٧٦.

(٤) الرسالة، ص ٣٨٢.

(٥) الرسالة، ص ٥٦٠، انظر مثالاً آخر، فى ص ٥٦٦.

خزن، مخزون.

ومن الأمثلة ما نجد به حرفًا مشبهًا بـ«ليس» مثل:

«ويعْمَدُ لِعلجٍ **وحشيٍّ ما التلفُ عندَهُ بمخْشيّ**»[١].

صيغة النعت المفرد: اسم منسوب: وحش، وحشي.

ومن الأمثلة ما نجد به أحد أخوات «إن»:

«ويحضرُ المجالسَ أناسٌ **طاغون كأنَّهم للرشَدِ باغُون**»[٢].

صيغة النعت المفرد: اسم فاعل (فى صيغة الجمع): طاغ.

لم يكتف أبو العلاء فى بعض الأحيان، بالنعت المفرد مع الجملة، بل رأيناه يأتى بنعتين مفردين تتلوهما جملة. وكما جاءت الجملة فعلية بسيطة جاءت اسمية مركبة من تركيب اسمى وآخر فعلى، أو تركيبية، وسنسوق لكل منها أمثلة:

(أ) مفرد + مفرد + جملة فعلية بسيطة.

نظام كلمات الجملة الفعلية على الشكل التالى:

المسند + المسند إليه (ضمير مستتر) + جار ومجرور + مضاف إليه (ضمير) + المفعول به + مضاف إليه (اسم ظاهر).

ومنه قول أبى العلاء:

«فتخرجُ منها جاريةٌ **حَوْراءُ عَيناءُ تبْرَقُ لحسنها حوريّات الجِنان**»[٣].

صيغة النعتين المفردين: صفة مشبهة على وزن «فعلاء» (للمؤنث)

أحور: حوراء.

أعين: **عَيناء**.

---

(١) الرسالة، ص ١٩٨.

(٢) الرسالة، ص ٤٦٥.

(٣) الرسالة، ص ٢٨٨.

(ب) مفرد + مفرد + جملة فعلية مركبة.

الرابط بين تركيبى الجملة هو السياق على الشكل التالى:

[المسند إليه + مضاف إليه (ضمير متصل للغائب) + المسند + مضاف إليه (اسم إشارة) + بدل] + [قد + المسند + نائب الفاعل (ضمير مستتر) + جار ومجرور].

كقوله:

«وأنشدَنِي بعضُهم أبياتًا قافيةً طويلةَ الوزن / و / قافيتها مثلُ هذه القافية قد نُسِبَتْ إلَى عَضُدِ الدولةِ»[1].

صيغة النعت المفرد الأول اسم منسوب:

قاف، قافية.

وصيغة الثانى، صفة مشبهة على وزن «فعيل» (مؤنث): طويل: طويلة.

النوع الثانى:

ما تقدم فيه النعت الجملة على النعت المفرد:

رأينا فى نعوت القسم الثانى هذا، أن أبا العلاء يجمع بين النعت المفرد والنعت الجملة للمنعوت الواحد، فيأتى بالنعت المفرد أولاً، ثم بالنعت الجملة ثانيًا، مرتبة حسب الأشكال التى سقناها سابقًا، وتتلخص فى:

المنعوت + النعت المفرد (أو النعتين المفردين) + النعت الجملة. وهذا الترتيب يسير طبقًا لما تنص عليه قواعد اللغة، وما يقرره النحاة، إذ ينصون على أن الأغلب فى حالة تعدد النعوت مع اختلافها، أن يتقدم النعت المفرد على شبه الجملة، وشبه الجملة على الجملة، أى أن المفرد يتقدم شبه الجملة والجملة معًا. ويستشهدون لذلك بآية اجتمعت بها أنواع النعت الثلاثة وهى قوله تعالى:

---

(١) الرسالة، ص ٤٤٩.

﴿وقال رجلٌ مؤمنٌ منْ آلِ فرعونَ يَكتم إيمانَه أتقتلون رجلاً أن يقول ربِّى الله﴾[١].

بيد أننا نجد أبا العلاء أحيانًا، يقدم النعت الجملة على النعت المفرد، على الشكل التالى :

المنعوت + النعت الجملة + النعت المفرد.

وذلك كقوله :

«ولم تَكُنْ صَاحِبَ مثل مذكورٍ، ولا لَفْظٍ يُسْتَحْسَنُ عَذْبٍ»[٢].
«فَتَلْعَبُ فيها أسماكٌ **هى على صُوَرِ السَّمكِ بحريَّة ونهرية وما يسكنُ منه فى العيونِ النبعيةِ**»[٣].

وهناك أمثلة أخرى يتقدم فيها النعت شبه جملة على النعت المفرد، مثل قول أبى العلاء :

- «وثوبًا من **الدعَةِ ضَافياً**»[٤].
- «وإنَّما كانت تَخْطِر بهم أطَيفَالٌ مِنَّا عَارِمُون»[٥].
- «والحوف أزَيِّرٌ من أدَمٍ **مشَقَّقُ الأطرافِ السافلة تتزر به الجارية وهى صغيرةٌ**»[٦].

ونعثر بالرسالة على مثال اجتمعت فيه أنواع النعوت الثلاثة، وقد تقدم شبه الجملة على الجملة الفعلية التى تقدمت بدورها على نعت مفرد وآخر جملة فعلية وهو قوله :

---

(١) سورة غافر الآية ٢٨.
(٢) الرسالة، ص ٣٧٥.
(٣) الرسالة، ص ١٦٨٢.
(٤) الرسالة، ص ٥٧٤.
(٥) الرسالة، ص ٢٩١.
(٦) الرسالة، ٤٩٦ انظر أمثلة أخرى من هذا الصنف فى ص ١٤١، ٢٥٨، ٣٠٨، ٣٦٩، ٤٢٤، ٤٣٩.

«فَينشِئ الله [. . .] سحابةً كأحسن ما يكُونُ من السُّحُب مَنْ نَظَرَ إلَيْهَا شَهِدَ أنَّه لَمْ يرَ قَط شيئاً أحْسنَ مِنْهَا محلاةً بالبَرقِ فى وَسطِهِا وأطْرَافِها تمْطرُ بِمَاءِ ورْد الجنة من طَلٍ وطشٍ وتَنْشُرُ حَصَى الكَافورِ كَأنَّه صِغَارُ البرَد».

فهل نعد استعماله هذا خروجًا عن القياس؟ لا. إنه ليس خروجًا عن القياس. فهذا النوع من التقدم - وإن كان نادراً - فصيح لوروده فى القرآن، وذلك فى قوله تعالى:

﴿هذا كتابٌ أنزلناهُ مباركٌ﴾[1].

فأبو العلاء لم يخالف الكثرة الشائعة، وإنَّ الأمثلةَ التى جاء فيها النعت المفرد متأخرًا عن النعت الجملة أو شبه الجملة، قليلة جدًّا.

الخلاصـــة:

من التحليل الذى قمنا به للجمل الواقعة نعتًا فى الرسالة سواء وحدها أو مع نعت آخر مفرد، يبدو لنا أن أغلب الجمل الوصفية جاءت فعلية بسيطة ومركبة وتركيبية، وأغلب أنواع الأدوات المستعملة فى الجمل المركبة هى «الواو». أما أدوات الربط التركيبية فأكثرها انتشارًا فى الجمل التى وقعت نعتًا هى «لو».

أما النعوت المفردة التى جاءت معها فقد تنوعت صيغها، ما بين اسم فاعل، واسم مفعول ونسب وعدد وصفة مشبهة. وأكثر الصيغ استعمالاً عند أبى العلاء فى هذه النعوت هى الصفة المشبهة. ففى الأمثلة التى سقناها كنماذج فى هذا القسم نجد ٥٠٪ من صيغ المفردات جاءت صفة مشبهة موزعة على الأوزان التالية:

فَعْل - فَعِيل - فَاعل - فَعْلاء - فَعِل.

فلعل أبا العلاء وهو يصف حور الجنة وأوانيها كان يصف بما هو ثابت دائم، لن يتغير على الدوام فالجنة هى المقر الدائم كما هو الأمر بالنسبة للمقيمين فى النار.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٩٢.

فلا غرابة أن يختار صاحبنا من الصيغ ما يدل على الثبوت والالتصاق الدائم، وهو الصفة المشبهة، لكن قد نكون مخطئين إذا قلنا إن أغلب صيغ النعوت المفردة فى الغفران، جاءت صفة مشبهة، لذا سنعمل فى الصفحات التالية على دراسة أحوال النعت المفرد.

obeikandl.com

النعت المفرد

تقرر القواعد النحوية أن منعوت المفرد كما يكون نكرة، يكون معرفة بشرط المطابقة بين النعت ومنعوته فى كل من التعريف والتنكير.

وعلى ضوء ذلك، وبعد عملية إحصاء وفرز، علمنا أن نسبة ورود المفرد نعتاً للمعرفة فى **رسالة الغفران**، أعلى بكثير من مجيئه صفة للنكرة، فلقد استعمل أبو العلاء :

٤٤٨ مرة النعت المفرد للمنعوت المعرفة.

و ١٥٥ مرة فقط للمنعوت النكرة.

ولعل لأبى العلاء العذر فى ذلك، إذ ليس للمعارف من الصفات إلا ما كان منها مفرداً، أما النكرات، فلها بالإضافة إلى النعت المفرد، مزية الاختصاص بالنعوت الواقعة جملة وشبه جملة.

وقد حاولنا الكشف عن ميل أبى العلاء فى اختياره لأنواع وصيغ النعوت المفردة، وأيها أكثر وروداً مع المنعوت النكرة، ومع نظيره المعرفة، فاستخلصنا من ذلك بعض الخصائص التى تميز الاستعمال العلائى للنعت المفرد فى الرسالة، واستطعنا أن نحصل من الجذاذات التى توفرت لدينا لأمثلة هذا الصنف، على الملاحظات التالية :

- يربى عدد النعوت المفردة على ٥٠٠ نعت، بعضها من الأسماء المشتقة العاملة (اسم الفاعل - صيغ المبالغة - الصفة المشبهة - اسم المفعول - أفعال التفضيل)، وبعضها الآخر من الأسماء المشتقة تأويلا، أى الأسماء الجامدة التى تشبه المشتق فى دلالتها على معناه (أسماء الإشارة غير المكانية - ذو المضافة - الاسم الدال على النسب قصداً - المصدر - العدد - بعض الألفاظ الجامدة المؤولة بالمشتق).

وقد شكلنا جداول إحصائية تبين نسبة ورود كل صيغة من صيغ النعت هذه، مع كل من المنعوت النكرة، ومع المنعوت المعرفة كما يلى :

الصنف الأول :

أحوال النعت المفرد مع المنعوت النكرة.

نوع النعت	العدد	شواهـد
اسم فاعل - من الفعل الثلاثى	٢٣	«فقد رَزَقها البارئُ صِيتاً **شائِعاً**»[١] «ثم اجتَرأتَ على تَصْيِيرِهَا ألفًا **خالصةً**»[٢] «أَلَمْ تَكُونِي السَّاعَةَ إوزَّةً **طائرة**»[٣]
- من الزائد على ثلاثة أحرف	١٨	«فقد كان أسلم وَرَوى حديثاً **مُنْفرداً**»[٤] «فيقول سمعْتُ أنكم جنٌّ **مؤمِنون**»[٥] «ثم يضربُ سَائراً فِي الفِرْدوْس فإذا هُو بروضةٍ **مُونقة**»[٦]
صيغة مبالغة على وزن : - فَعُول	٥	«وكم أَعمل مِنْ مَطيةٍ **أَمُون**»[٧] «فصادفتُ مَلكا **غَفُوراً**»[٨] «وهلْ جعدةُ إلاَّ رائدةُ ظليمٍ **نَفُور**؟»[٩]

(١) الرسالة، ص ١٩٠.

(٢) الرسالة، ص ٢١٤.

(٣) الرسالة، ص ٣٨٥، انظر الأمثلة الباقية فى الصفحات : ١٣٩، ١٤٧، ١٦٨، ٢٨٤، ٢٩١، ٣٠٧، ٣٢٧، ٣٥٠، ٣٧٧، ٣٨١، ٣٩٢، ٤٣٠، ٤٤٣، ٤٦٠، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٥٥٤، ٥٧٤.

(٤) الرسالة، ص ١٥٤.

(٥) الرسالة، ص ٢٩٠.

(٦) الرسالة، ص ٣٦٤، انظر الأمثلة الباقية فى الصفحات : ١٤٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٨١، ١٨٥، ٢٩٧، ٣١٨، ٣٤١، ٣٤٤، ٤٢٣، ٤٦٩، ٤٩٦، ٥٣٦.

(٧) الرسالة، ص ١٧٢.

(٨) الرسالة، ص ١٨٣.

(٩) الرسالة، ص ٢٢٩، انظر كذلك، ص ٣٩٧، ٤٨٥.

نوع النعت	العدد	شواهـــد
- فَعِل	٤	«لقَدْ رضيتَ بحقيرٍ شَقِن»[١] «ليس هُوَ كتاج المنذِر ولكن مُندية غوىً حَذِر»[٢] «وثبَ إليه وثبةَ نمِر، إلى متخلفةِ وَقيرٍ أَمِر»[٣]
- فَعَّال	١	«فلَمَّا خِفْتُ القتلَ صِرتُ ريحاً هفَّافة»[٤]
صفة مشبهة على وزن :	٣٥	«أما علِمتُما أن آدم خَرَج مِن الجَنةِ بذنبٍ حَقِير»[٥]
- فَعِيل		«وذَلك أَنِّي حُوسِبْتُ حِسَاباً شَديداً»[٦] «فيقول لَقَدْ قلت أشياءَ كثيرةً منها ما نُقِل إليكم ومنها ما لَمْ يُنْقل»[٧]
- فَعْلة (مؤنث فعل)	١	«هَا هُنا ناقةٌ صَعْبةٌ»[٨]
- فَعَل	٣	«ولِكُلٍّ وَجْهٌ حَسَنٌ»[٩]

(١) الرسالة، ص ٣٠٧ الشقن : القليل.

(٢) الرسالة، ص ٤٧١.

(٣) الرسالة، ص ٥١٩، انظر، كذلك ص ٣٤٤ - الوقير: القطيع - الأمر: الكثير

(٤) الرسالة، ص ٢٩٣.

(٥) الرسالة، ص ٢٣٣

(٦) الرسالة، ص ٢٤٧، انظر كذلك : ١٦٣، ١٨٠، ٣٣١، ٣٤٢، ٣٦٤، ٣٨٦، ٣٩٠، ٣٩٩، ٤١٠، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٢٩، ٤٣٧، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٧٥، ٤٨٩، ٤٩٢، ٤٩٦، ٥٣١، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٨٣.

(٧) الرسالة، ص ٣٥٦

نلاحظ أن أبا العلاء استعمل ١٠ مرات اللفظة «كثير» صفة للمفرد النكرة وها هى أرقام الصفحات التى وردت فيها أمثلتها : ٢٣٧، ٢٧١، ٤٢٠، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٧، ٤٩٤، ٥٨٣.

(٨) رسالة الغفران، ص ٤٢٣.

(٩) رسالة الغفران، ص ٣٢٨.

نوع النعت	العدد	شواهـــد
اسم المفعول		« . . . لكُنْتَ قَد أبقيت أثراً حَسَناً »(١)
		« يُحْسِن لها حُبًّا قَبَلاً »(٢)
- من الفعل الثلاثى	١٩	« وكَمْ علَى تِلك الأنهارِ من آنيةِ زَبَرجَد محفُور »(٣)
		« وقد صَارَ عَشَاهُ حَوَراً مَعْرُوفاً »(٤)
- من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف	١٦	« إن وَصَفْتُها وَصْفاً مُطْلَقاً »(٥)
		« لَوْ سُبِكَ رَجَزُك ورجزُ أبيك لَمْ تَخرج منه قصيدةٌ مُستحسَنةٌ »(٦)
اسم تفضيل	٨	« فَتُقْبِلان على نَجِيبينِ أَسْرَعَ من البرق اللامع »(٧)
		« ثم يَنْصَرِف إلى شخصٍ آخر »(٨)
		« ولو فَعلنَ ذلك لَبارتهُنَّ البَائياتُ بِأَتَمٍ أعظمَ رَنِيناً وأشدَّ فى الحِنْدِس حَنيناً »(٩)

(١) رسالة الغفران، ص ٣٣٨.

(٢) رسالة الغفران، ص ٣٨٤.

(٣) الرسالة، ص ١٤٩.

(٤) الرسالة، ص ١٧٨، ٣٧٥، انظر الأمثلة الباقية فى الصفحات: ١٧٨، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٩٢، ٣٦٥، ٣٧٦، ٣٨٧، ٤٢٩، ٤٣٨، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩٢، ٤٩٧، ٥٣٧، ٥٥٧.

(٥) الرسالة، ص ٢٠٥.

(٦) الرسالة، ص ٣٧٥، انظر كذلك ص: ١٥٤، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٦٥، ٤١٠، ٤١٣، ٤٦٣، ٤٧٧، ٤٨٨، ٥٢٥، ٥١٧.

(٧) الرسالة، ص ٢٧٤.

(٨) الرسالة، ص ٣٥٧.

(٩) الرسالة ص ٤٨٥، انظر ص ٤٨٧.

نوع النعت	العدد	شواهـد
		ملاحظة : (أ) فى المثال الأخير، لم يذكر أبو العلاء، بعد اسم التفضيل المجرد من «الـ» والإضافة «من» ومجرورها المفضل عليه، لكن حذفهما سائغ عند النحاة ما داما ملحوظين فى النية والتقدير. فالمأتم الذى تقيمه «البائيات» أعظم من المأتم الذى تقيمه سواها، فمن والمفضل عليه بمنزلة المذكورين، إذن فلا خلل، فى ذلك بقواعد اللغة. (ب) استعمل أبو العلاء لفظ «آخر» أربع مرات[1] وصفا للمفرد النكرة، ونعلم أن أصله (أأخر) أى اسم تفضيل مجرد من أل والإضافة فيكون واجب الإفراد والتذكير مهما كانت حال المنعوت، غير أن أبا العلاء جاء به مطابقا للمنعوت فى التأنيث، فى قوله : «وتقول حَيَّةٌ أُخْرَى»[2] لعل أبا العلاء سلك مسلك من تقدموه. فقد جاءت كذلك، فى الفصيح من كلام العرب، وكثرت تعاليل النحاة لهذا الاستعمال الخارج عن القياس، ومن جملة

(١) انظر الصفحات : ٣٥٧، ٣٦٧، ٥١١.

(٢) الرسالة، ص ٣٦٧.

نوع النعت	العدد	شواهـــد
		ما قالوه أن «أخرى» فى استعمالاتها المختلفة لا تدل على التفضيل، وإنما تدل على المغايرة والمخالفة فقط، وأنها لا تقع بعدها «من» الجارة للمفضل عليه، لا لفظاً ولا تقديراً، فما دامت لا تفيد التفضيل فلا ضرر أن لا تنطبق عليها أحكامه.
صفة على وزن: أفعل	٣	«فلمَّا أرهقَتنى تحولت صلاً أرقم»(١) «والكذِب كثيرٌ جمٌّ كأنه فى النظر طُودٌ أَشَم»(٢) «وسألتُ عن ذَلِك القِطار فوجدت فيه جملا أَعْوَر»(٣)
صفة على وزن: فَعْلاء: (مؤنث أفعل)	٣	«فكان أحَدُنا إنْ شَاءَ صَارَ حَيَّةً رقْشاء»(٤) «فكأنّى أُخَاطِبُ رَكُودًا صَمَّاء»(٥)
اسم إشارة	٢	«ودَخلتُ فى قَطِيل هُناك»(٦) فى المثال الأخير اسم الإشارة جاء للمكان، ونعلم أنه لا يقع نعتاً بنفسه ولكنه يتعلق بمحذوف هو النعت يقدر «بموجود» أو «كائن» ونحوهما وللاختصار نقول «الظرف نعت».

(١) الرسالة، ص ٢٩٣.
(٢) الرسالة، ص ٤٤٨.
(٣) الرسالة، ص ٤٦٩.
(٤) الرسالة، ص ٢٩٣.
(٥) الرسالة، ص ٢٥١.
(٦) الرسالة، ص ٢٩٣.

نوع النعت	العدد	شواهـــد
ذو المضافة بمعنى صاحب وفرعها ذات	٤	«أَعْطِ لَبِنَةً ذاتَ قَضَّة»[١] «لَشَهِدَ أنَّها حينَ تَبرزُ، أجَلُّ مِن تلك القَسَماتِ وإنْ كانت فى أَوْجُهٍ ذى سِمَات»[٢] **ملاحظة**: استعمال أبى العلاء لكلمة «ذى» فى المثال الأخير يثير الانتباه، فقد وقعت صفة لكلمة «أوجه» الواقعة جمعاً فى حين أن «ذى» جاءت مفردة وبذا تكون المطابقة بين النعت ومنعوته منعدمة فى هذا المثال. فما سبب ذلك؟ هل لأبى العلاء استعمال خاص لكلمة «ذى»؟ الملاحظ أنه لم يتكرر مثل هذا الاستعمال فى الرسالة، إذ جاء هذا المثال منفرداً، فقد يكون ذلك غلطاً من الناسخ، فإذا كان الأمر كذلك، لِمَ لَمْ ينتبه إليه المحققون، فهل ياترى لهم رأى خاص فى هذا الاستعمال؟
الاسم الجامد الدال على نسب قصداً	٤	«وكَيفَ لَهُ أَنْ يجَدَّعَ بِقَضِيب هِندىّ»[٣] «. . كان له قردٌ يحمله على أتانٍ وَحشيّةٍ»[٤]
المصـدر	٢	«أُحِبُّكَ حُبًّا صَرْدًا»[٥]

(١) الرسالة، ص ٥٢٧ - القِضّة بكسر فتشديد: الحصى الصغير.
(٢) الرسالة، ص ٥٦٣.
(٣) الرسالة، ص ٤٧٤، انظر شاهدين آخرين ٢٧٢، ٥٥١.
(٤) الرسالة، ص ٤٥٤.
(٥) الرسالة، ص ٣١٢.

نوع النعت	العدد	شواهـد
عـدد	٧	«فيه لغاتٌ ستٌّ»[١] **ملاحظة :** إن أبا العلاء جعل العدد «واحد» صفة ست مرات مذكراً، ومؤنثاً، وكلها جاءت لتأكيد الوحدة مثل قوله «وقد يجوز أنْ يكونَ سَبقك لأنكُما فى عصر واحد»[٢] «والزَّمنُ كُلُّه على سجيَّة واحدةٍ»[٣]
صفة على وزن : فَعْلَليل (وزن قليل فى العربية) بعض ألفاظ جامـدة مؤولة بالمشتق :	١	«قبلَ أن يُلَقَّنَ كَذباً حَنْبَرِيتاً»[٤]
- مثل	٢	«لو أَنَّ للأمير «أبى المرجَّى» خازناً **مثلَكَ** ما وصلت أنا ولا غيرى إلى قرقوف من خزانته»[٥] «وتَمْرٌ إوزَّةٌ مثلُ **البُخْتِيَّةِ**»[٦]
- سوى	١	«أَمْ قالَها كذلك عربيٌّ **سواك**»[٧]

(١) الرسالة، ص ١٦٠.
(٢) الرسالة، ص ٢٦٥.
(٣) الرسالة، ص ٣٥٩، انظر، الشواهد الباقية، بالصفحات ١٩٠، ٤٣٦، ٥٢٥، ٥٢٧
(٤) الرسالة، ص ٢٢٦.
(٥) الرسالة، ص ٢٦٢.
(٦) الرسالة، ص ٢٨٣.
(٧) الرسالة، ص ٣٢٩.

obeikandl.com

نوع النعت	العدد	شواهـــد
- غير	٥	«وما اعتصر بـ «صَرْخَدَ» أو أرض «شبام» لِكلِّ ملك غير عبام»[١] «ولستُ آمناً فى العاقِبَة فَضِيحةً غيرَ مُصَاقِبة»[٢]

تلك هى أحوال النعت المفرد وصيغه، حينما يكون المنعوت نكرة. وسنتناول الآن دراسة الصنف الثانى من النعوت المفردة.

* * *

الصنف الثانى :

أحوال النعت المفرد مع المنعوت المعرفة.

رغبة فى تيسير العمل، وفى مزيد الوضوح، قسمنا أمثلة هذا الصنف، حسب ما يعرف المنعوت، إلى ما جاء معرفة بالأصل، سواء كان علمًا أم معرفًا بالالف واللام، وإلى ما ورد نكرة واكتسب التعريف بالإضافة إلى معرفة.

والجدول التالى يعطينا نظرة مفصلة عن أحوال النعت وصيغه مع المنعوت المعرفة العلم والمعرف «بأل» :

(١) الرسالة، ص ١٥٢، العَبام : الثقيل الغبى

(٢) الرسالة، ص ٣٩١، انظر الشواهد الباقية، فى الصفحات ٢٢٤، ٢٢٦، ٤١١.

نوع النعت	العدد	شواهـــد
اسم الفاعل من الفعل الثلاثى	٩٢	«ما كَسبتْهُ النحلُ **الغادية** إلى الأنوار»[١] «زَيَّنَتْ لِي النفسُ **الكاذِبة**»[٢] **ملاحظة :** (أ) استعمل أبو العلا : لفظة : «القادر» ٥ مرات، نعتًا «لله» و«للعزيز»، يقول : «ولكنْ قالَ له العزيز **القادر** : كُنْ فكانَ»[٣] «فينشئُ الله **القادر** بلطفِ حكمته»[٤] (ب) لفظة «راكد» ٤ مرات : «تعرج بها الملائكة من الأرض **الراكدة** إلى السماء»[٥] (جـ) صيغة اسم الفاعل من الثلاثى نعتًا للدنيا ١٧ مرة، وقد تنوعت الألفاظ ما بين «دانية»[٦] «ساخرة» «خالبة»، «ماكرة»، «عاجلة». ولم يستعمل لفظة «دنيا» فى هذه الأمثلة إلاَّ مرة واحدةً «إذ كان يسميها «بالدار».

(١) الرسالة، ص ١٥٣.

(٢) الرسالة، ص ٢٤٩، ٢٧١ أرقام الصفحات التى بها الشواهد الباقية : ١٣٨، ١٤٤، ١٥٧، ١٦٨، ٢١٠، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٤، ٣٠٨، ٣١٥، ٣١٧، ٣٣١، ٣٤٧، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٧، ٤٠٤، ٤٠٣، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦١، ٤٦٤، ٤٧٢، ٤٧٦، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٩٢، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥١٥، ٥٢٦، ٥٣٤، ٥٤٧، ٥٥٨، ٥٦٩، ٥٧٤.

(٣) الرسالة، ص ١٥٣.

(٤) الرسالة، ص ٢٧٩، انظر، كذلك، ص ٢٦٣، ٢٤٥.

(٥) الرسالة، ص ١٤٠، انظر كذلك، ١٨٩، ٤٦٦، ٤٧٢.

(٦) الرسالة، ص ١٤٣، انظر كذلك ١٨١، ٣٦٢، ٣٧٥، ٣٩٥.

نوع النعت	العدد	شواهـد
		(١٥ مرة) يكرر فى نعوت هذه الأمثلة بعض الألفاظ بعينها : * ٣ مرات لفظة « الذاهبة » « كنا فى الدَّار **الذَّاهبة** »[١] * ٣ مرات « الخادعة » : « إنى قلت بيتًا فى الدار **الخَادعة** »[٢] * ٦ مرات « الفانية » : « ولكنى كنتُ فى الدار **الفانية** صاحبَ قَنْصٍ »[٣] * ٩ مرات « العاجلة » : « إن أردتِ سَلامتِي فاستعملِي مَعِى قَوْلَ القائل فى الدار **العَاجلة** »[٤]
اسم الفاعل من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف	٣٤	« الاسود بنَ يعفرُ ذا المقال **المطرب** »[٥] « لكانت الزائدة على ذلك زيادة اللجِّ **المتموج** على دمعةِ الطِّفل »[٦] « وكيفَ يقولُ الخليل **المخلص** »[٧]

(١) الرسالة، ص ٢٥١، انظر كذلك ٢٥٧، ٢٩٣.

(٢) الرسالة، ص ٣٥٨، انظر كذلك، ١٦٤، ٢٨٠.

(٣) الرسالة، ص ١٩١، انظر كذلك، ٢١٥، ٢٨٨، ٣٣٠، ٣٣٥، ٤٦١.

(٤) الرسالة، ص ٢٦٠، انظر كذلك، ٢٦٨، ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٢، ٣١٠، ٣٥٥، ٣٧٢.

(٥) الرسالة، ص ١٣٤.

(٦) الرسالة، ص ٢٢٥.

(٧) الرسالة، ص ٣٨٥، انظر الأمثلة الباقية فى الصفحات : ١٥٢، ١٦٥، ١٧٢، ١٧٨ ٢١٨، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٩، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٩٥، ٤٠٣، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٦، ٤٩١، ٥٠٧، ٥١٧، ٥٢٢، ٥٣٤، ٥٥٦، ٥٧١، ٥٧٤.

obeikandl.com

نوع النعت	العدد	الأمثلة
- اسم مفعول : - من الفعل الثلاثى	٤٠	«والولدَان **المخلدون** فى ظِلال تلك الشجرِ قيام وقعود»(١) «أتشعُر أيُّها العبدُ **المغفوُر** له لمَنْ هذا الشِّعر»(٢)
- من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف	٣٢	«إنها لَتَفضُل على تلك فضل الدرةِ **المختَزنةِ على الحَصاةِ المُلْقاة**»(٣) «خَفَّفَ الله عنكَ أيُّها الشَّابُّ **المغتَصَبُ**»(٤)
اسم مفعول (سماعى) على وزن فَعِيل النائبة على صيغة اسم المفعول من الثلاثى ومما زاد على الثلاثة	٣	«لأن ابليسَ **اللعينَ** نَفَتةُ فى إقليم **العربِ**»(٥) «فكيفَ **يُطمَعُ** له بالحظ المشِيد»(٦) «دونَ من نُسِب إلى القرآن **البَجِيل**»(٧)
عـــدد	١٩	«والرواية **الأولى** إنشادُ النحويين»(٨) **ملاحظة :** (أ) استعمل أبو العلاء ٨ مرات العدد اثنين على وزن اسم الفاعل :

(١) الرسالة، ص ١٤١.

(٢) الرسالة، ص ١٧٦، انظر، الشواهد الأخرى، فى الصفحات ١٣٠، ١٤٢، ١٤٤، ١٧٦، ١٨٥، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٧٢، ٢٧٩، ٣٠٦، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٣٣، ٣٦٠، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٩٤، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٧٦، ٤٨٢، ٤٩٦، ٥٣٤، ٥٧١، ٥٧٦، ٥٧٧.

(٣) الرسالة، ص ٢٢١.

(٤) الرسالة، ص ٣٥٥، انظر، الشواهد الأخرى، فى الصفحات: ١٦٥، ١٦٨، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٩، ٢٥٧، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٩٣، ٣٣٦، ٣٥٥، ٣٦٢، ٣٨٧، ٣٩١، ٤١٣، ٤٤٧، ٤٩١، ٥٤٧، ٥٥٥، ٥٧٧.

(٥) الرسالة، ص ٢٥٢.

(٦) الرسالة، ص ٤١١.

(٧) الرسالة، ص ٥٦٦.

(٨) الرسالة، ص ١٤٣، انظر، الأمثلة الباقية فى الصفحات: ٢١٣، ٢٣٨، ٢١٤، ٢٢٩، ٢٦٣، ٣٤٢.

نوع النعت	العدد	شواهـد
اسم الموصول :	١٠٣	- أربع مرات للمؤنث. «وقد كان بعضُ عُلماءِ الدَّولة الثانية»[١] - أربع مرات للمذكر. «ما كان يَقُولُ فى البيت الثانى»[٢] (ب) كـرر النعت بلفـظة «الأول»[٣] ٥ مرات «هلمَّ خفيف الثقيل الأول»[٤]. أكثر ما يجىء من الأسماء الموصولة نعتًا للمفرد هى «الذى» و«التى». * الذى ٤٤ مرة. «وقـد علِم الجبرُ الـذى نُسِب إليه جَبرئيل»[٥] * التى ٤٤ مرة. «ولم تكن فى النسخَة التى فى دار العلم»[٦] ومن الأسـماء الموصـولة، كذلك، ما يلى :

(١) الرسالة، ص ٣٢٠، انظر، أمثلة أخرى، فى الصفحات ٣٣٢، ٥٤٨، ٢١٤.

(٢) الرسالة، ص ١٥٥، انظر أمثلة أخرى، فى الصفحات ١٨٠، ٢١٣، ٢١٤.

(٣) الرسالة، ص ٢١٣، انظر أمثلة أخرى، فى الصفحات ٢١٧، ٢٤٤، ٣٦١، ٤٢٥.

(٤) الرسالة، ص ٢١٣ انظر أمثلة أخرى، فى الصفحات ٢١٧، ٢٤٤، ٣١١، ٤٢٥.

(٥) الرسالة، ص ١٢٩، انظر، أمثلة أخرى، فى الصفحات ١٣٦، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٨، ٢٢٢، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٥٦، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٦، ٣٠٦، ٣١٨، ٣٤٠، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٦٣، ٣٩٣، ٤٠٣، ٤١٥، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٧٢، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٧، ٥٤٥، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٨.

(٦) الرسالة، ص ١٤٧، انظر أمثلة أخرى، فى الصفحات : ١٣٠، ١٣٩، ١٦٢، ١٦٧، ١٩٠، ١٩٧، ٢٠٥، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٥٠، ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٧، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٣، ٣٥٦، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٩، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٩٤، ٥٤٠، ٥٥٢، ٥٥٨، ٥٦٠، ٥٧٠، ٥٧٣، ٥٧٧، ٥٨٣.

نوع النعت	العدد	شواهـد
		* اللذان، ٨ مرات : « . . حضره الأَسْوَدَانِ اللذان هُمَا الهَنَمُ والماء والحرةُ الغابرة والظلماء »[١]
		* اللتان، مرة واحدة : « ولو أنَّ القصائدَ لها علمٌ [. . .] لأَقامتْ عليه (الممدودتان) اللتان فى أوَّلِ ديوانِه مَأْتَمًا »[٢] .
		* الذين، ٧ مرات : « نحنُ الرُّواة الذين شِئت إحضارَهم آنفا »[٣]
صيغ المبالغة على وزن :		
- فعَّال	٣	« تَبارك العزيزُ الوَهَّاب »[٤]
- فَعَّالة (مؤنث)	٣	« زَهِدْتُ فى الدُّنيا الغَرَّارَة »[٥] ويلاحظ أن أبا العلاء استعمل ٣ مرات صيغة فعالة نعتًا « للدنيا » بنفس اللفظة « الغرارة »
- فَعُـول	٢	« يَترُكُنِي كالطَّريدَةِ العَذُوب »[٦] . « وهوأشهرُ من الأبلقِ العَقوقِ »[٧] .

(١) الرسالة، ص ١٣٨، انظر، الأمثلة الباقية فى الصفحات : ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ٤٢٤، ٤٨٢، ٥٢٤، ٥٣٧، ٤٨٤ .

(٢) الرسالة، ص ٤٨٤ .

(٣) الرسالة، ص ٢٠٦، انظر، الأمثلة الأخرى فى الصفحات : ٢٠٩، ٢٩١، ٤٠٧، ٥٣١، ٥٦٢، ٥٧١ .

(٤) الرسالة، ص ٣٧٥، ٤٨١ .

(٥) الرسالة، ص ٢٨٧، انظر الأمثلة الأخرى فى الصفحات : ٣٥٨، ٥٢٩ .

(٦) الرسالة، ص ٣٩٢ .

(٧) الرسالة، ص ٥٣٠ .

نوع النعت	العدد	الشواهـد
اسم تفضيل على وزن :		
- أفعل (مفرد مذكر)	١٠	«وأنَا أعْتَلُ كَىْ ألقىَ فِي الدركِ **الأسْفَلِ** من النارِ»(١).
		«فسأل عَنْ عَملى فَوجِدَ فى الديوان **الأعظمَ**»(٢).
- فُعْلى (مفرد مؤنث)	٢	«وذلك أن يَأخُذَ الشفَةَ **العُليَا** بيَدهِ»(٣).
صفة مشبهة على وزن :	٢١	يلاحظ أن الصفة المشبهة فى جل الأمثلة جاءت نعتاً «للكتاب»، وقد تكررت لفظة «العزيز» فى ثلاثة أمثلة :
- فعيل		«وأن البشرَ لَكَما جَاء فى الكتابِ **العزيز**»(٤).
		وفى ٤ أمثلة وقعت الصفة المشبهة نعتاً لله : «وكنتُ مؤمناً بالله **العظيم**»(٥).
- فَاعِل (صيغة الجمع)	٢	«وهو فى هذا أحدُ الكَفرةِ لا يُحْسَب من الكِرام **البَرَرة**»(٦).
- فَعُول (صيغة الجمع)	١	«وما بُنِى على الحروفِ الذُّلُلِ»(٧).

(١) الرسالة، ص ١٧٨.

(٢) الرسالة، ص ٢٦٠، انظر الشواهد الأخرى، فى الصفحات : ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٢، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤٣١.

(٣) الرسالة، ص ٤٠٢، انظر كذلك ٣١٧.

(٤) الرسالة، ص ٤٦٥، انظر الأمثلة الباقية، فى الصفحات ٣٥٨، ٥٢٩.

(٥) الرسالة، ص ١٨٣.

(٦) الرسالة، ص .

(٧) الرسالة، ص ٤٨١.

نوع النعت	العدد	الشواهد
- فَعْل	٣	«وكالأرض السبخَةِ ما تحفل..»[١].
- فَعَل (فى صيغة الجمع)	١	«لقد ضيَّقَ الله عَلىَّ مَرَاشفَ الحُورِ الحِسَان»[٢].
- فَيْعَل	١	«وهذه الكلمةُ الطيبةُ كأنها المعنيَّةُ بقوله»[٣].
اسم إشارة	٤	«هذه» وردت مرتان: «أفَتَظُنُّ أن «الرباب» هذه هى التى ذكرها القائل»؟[٤]. «هذا» مرتان: «قد جاء رَجُلٌ لغوِى يعنى أبَا الطيب هذا»[٥].
صفة على وزن فعلليل	١	«فإنهُ المَينُ الحَنْبَرِيتُ»[٦]. ويلاحظ أن نفس الكلمة جاءت مرة نعتاً للمعرفة ومرة نعتاً للنكرة.
لفظ جامد مؤول بالمشتق: غير	٢	«فَرُوِىَ: يَهدِى بالدالِ غير المُعْجَمة»[٧]. «ولم تكن العربُ فى الجاهليةِ تُقَدِمُ على هذه العظائِم والأمور غير النظائِم»[٨]

(١) الرسالة، ص ٣٩١، انظر الباقى فى ص ٤٠٧، ٥٦٢.
(٢) الرسالة، ص ٣٧٢.
(٣) الرسالة، ص ١٤٠.
(٤) الرسالة، ص ٢٢٧ انظر مثالاً آخر، فى ص ٣٢١.
(٥) الرسالة، ص ٥٥١، انظر مثالاً آخر فى ص ٥٦٨.
(٦) الرسالة، ص ٤٥٣.
(٧) الرسالة، ص ٣٢٩.
(٨) الرسالة، ص ٤٤٠.

نوع النعت	العدد	الشواهـد
		ملاحظة: نعلم أن «غير» نكرة وتظل كذلك وإن أضيفت إلى معرفة لشدة إبهامها، وإنما جاز لأبى العلاء أن يجعلها وصفاً للمعرفة فى هذين المثالين، لأن «أل» التى فى المنعوتين «الدال» و«الأمور» أل «الجنسية»، ونعلم أن المعرف الجنسى قريب من النكرة، من ثم جاز له أن يصف «بغير» هاتين الكلمتين.
«ذو» المضافة بمعنى صاحب وفروعها: ذو	٤	«الأسود بن يَعْفر **ذا المقال المطرب**»[١] «ثم تداركهم المقتدرُ **ذو الجلال**»[٢].
ذَات	٧	«وأَصْبِرُ على إدلاجِ المظلمة **ذات الأريز**»[٣].
ذوَات	٢	«والنَّسْوَةُ **ذواتُ التيجان** يُصَرْنَ بالسِنةٍ من الوَقُود»[٤].
ألات	١	«وعاطَوْهُ الأكؤسَ **آلاتِ** التصاوِيرِ»[٥].

٢ - أحوال النعت المفرد مع النكرة المضافة إلى ما يكسبها التعريف.

يبلغ عدد أمثلة هذا النوع ٧٣ مثالاً: وقد تنوعت صيغ النعت فيها تنوعًا كبيرًا كما يظهر من الجدول التالى:

(١) الرسالة، ص ١٣٣.
(٢) الرسالة، ص ٥١٠، انظر مثالين آخرين فى ص ١٩٥، ٥٦٦.
(٣) الرسالة، ص ٢٣١، انظر الباقى فى ص ١٥٢، ٣٩٣، ٥٠٣، ٥٥٧.
(٤) الرسالة، ص ٢٤٧، انظر مثالاً آخر، ١٥٠.
(٥) الرسالة، ص ٣٩٩.

نوع النعت	العدد	الشواهـد
اسم الفاعل :	٨	«وغَرِقتُ فى أمواج بدعها **الزاخرة**»[١].
- من الفعل الثلاثى		«فيقولُ، وهو **يَسْمَعُ** خِطَابَها **الرائقَ**»[٢].
- من الفعل الزائد على ثلاث أحرف	٥	«قد نَصَب لسُطورِها **المُنْجيةِ** من اللهب معاريجَ»[٣].
		«**الذى خَزَنه** الله لعباده **المتَّقِين**»[٤].
اسم المفعول :	٣	«أن أصناف الأشْربةِ **المَنْسُوبةِ** إلى الدارِ الفانيةِ..»[٥].
- من الفعل الثلاثى		«.. فلا تُعْنِتُوا هذا الشيخَ فإنهُ يُمتُّ بكتابِهِ فى (القرآن) **المعروف** بـ(كتابِ الحجة)»[٦].
- من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف	٧	«... وما يُعْلَم أنه حَقيقىٌّ التذكير ولا تأنيثُه **المعتمدُ** بنكير»[٧].
		«... **فَيَنْصَرِفُ** إلى قصره **المشِيدِ**»[٨].
صيغ المبالغة على وزن : فَعُول	٢	«فقُلتُ لنفسىَ **الكَذُوب**»[٩].

(١) الرسالة، ص ١٤٠.
(٢) الرسالة، ص ٣٧٢، انظر الأمثلة الباقية فى الصفحات ١٤٠، ١٦٨، ١٧٩، ٤٣٧، ٣٩٠، ٥٥٤، ٥٨١.
(٣) الرسالة، ص ١٤٠.
(٤) الرسالة، ص ٢٠٤، انظر مثالين آخرين فى ص ٤٦١، ٥٠٦.
(٥) الرسالة، ص ١٥٠.
(٦) الرسالة، ص ٢٥٥، انظر مثالاً آخر فى ص ٢٢٢.
(٧) الرسالة، ص ١٣٣.
(٨) الرسالة، ص ٣٥١، انظر أمثلة آخر فى ص ٢٢١، ٣٥٣، ٤٠٠، ٥٢١.
(٩) الرسالة، ص ٢٥٣، انظر مثالا آخر فى ص ٤٤٧.

نوع النعت	العدد	الشواهد
	٣	«فقد جَدَّدَ عَهْدَه **الأوَّل** بـ«قُوَيْق»[١].
		«وأما حِجَجُهُ **الخَمْسُ**..»[٢].
ذو بمعنى صاحب	١	«عَدَّ أنَّ تَحَطُّمَ الغَضَارةِ فناءُ عيشه ذى **الغَضَارةِ**»[٣].
الاسم الجامد الدال على نسب قصدًا	١	«خير من بنتِ الكرمة **العَاجِليّة**»[٤].
		«ويسْتَشهدُون على ذلك بقصِيدته **الجيمية**»[٥].
صفة مشبهة على وزن :		
- فَعِيل	٦	«لقد شُغِلتُ عن زُبْدٍ وطَرْد النافِرَة من الرُّبْدِ بمَا وَهَبَ ربِّى **الكريمُ**»[٦].
		«وعلى حضْرَتِه **الجليلةِ** سلام»[٧].
- فَعِل	١	«لعُدَّ فى تُرابها **الذَّفِر** كَصِيقِ المقتولِ»[٨].
اسم الموصول	٣٢	يستخدم أبو العلاء من أسماء الموصول ما يلى :
		الذى : ثمان مرات مثل :
		«إنِّى سألتُ ربى عَزَّ سلطانه ألاَّ يَحرِمنى فى الجنة تلذذًا بأدبى **الذى** كنت أتلذذ به فى عاجلتى»[٩]

(١) الرسالة، ص ٤٠٥، انظر مثالاً آخر فى ص ٣٩٣.
(٢) الرسالة، ص ٥٣٤، انظر مثالاً آخر فى ص٣٩٣.
(٣) الرسالة، ص ٥٠٦.
(٤) الرسالة، ص ١٤٥.
(٥) الرسالة، ص ٤٠٧.
(٦) الرسالة، ص ٢٦٧ الربد : النعام.
(٧) الرسالة، ص ٥٨٤ انظر كذلك ص ٣٠٥، ٣٣٠، ٤٤٧، ٤٩٩.
(٨) الرسالة، ص ٢٢٢ ذفر الشيء : ظهرت رائحته واشتدت، طيبة كانت أو خبيثة، فهو ذفر. الصيق الريح المنتنة من الدواب.
(٩) الرسالة، ص ٢٠١، انظر الباقى فى ص ٢٠٤، ١٦٨، ٥١٩، ٥٤٦، ٥٦٩.

نوع النعت	العدد	الشواهـــد
		التى : ٢١ مرة، مثل :
		«فشاهدت بعض الوراقينَ يسألُ عن قَافيَّةِ «عدى بن زيد» **التى** أولُها»[١].
		«فإنه فى قصيدتِك **التى** أوَّلُها»[٢].
		يلاحظ أن الأمثلة متشابهة التركيب والبنية إذ جاء اسم الموصول «التى» وصفاً «لبيت» أو «قصيدة» منسوبة إلى ضمير المخاطب يعود على الشاعر الذى يحاوره ابن القارح.
		الذين : مرتان، مثل :
		«فإذا أتَتْ الأطعِمةُ، افترقَ غِلمانُه **الذين** كأنهم اللؤلؤ المكْنُون»[٣].
		«لو أنه أحَدُ لصوصِ العَرَبِ **الذين** رُوِيَتْ لهم الأمثالُ السائرة»[٤].
		اللواتى، مرة واحدة :
		«أنتِ من حُور الجنان **اللواتى** خَلَقُكَنَّ الله جزاءً لِلمُتَّقِين»[٥].
اسم الإشارة	١	«ومَضى فى نُـزهتِـه **تلك** بشـابَّـين يَتحادثان»[٦].

(١) الرسالة، ص ١٤٦.

(٢) الرسالة، ص ٣٣٩، انظر الشواهد الباقية فى ص ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٧، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٥٣، ٣١٥، ٣٢٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥٣، ٥١٥، ٥٦٩.

(٣) الرسالة، ص ٢٧٢.

(٤) الرسالة، ص ٤٠٤.

(٥) الرسالة، ص ٢٨٦.

(٦) الرسالة، ص ٢٠١.

تلك هى أحوال النعت المفرد وصيغه مع المنعوت النكرة المضافة إلى ما يكسبها التعريف. ويمكن أن نسجل هنا أن أغلب النعوت المفردة فى هذه المجموعة جاء اسمًا موصولاً إذ يحظى بنسبة ١/٢ تقريبا (٣٢/٧٣) وأن أقلها استعمالا هو اسم الإشارة ١/٧٣ . فلم يرد إلا مرة واحدة.

* * *

لم يكتف أبو العلاء، بالنعت المفرد الواحد للمنعوت، بل نجده، أحيانًا، يخص المنعوت بـ :

١ – نعتين مفردين : (مفرد + مفرد).

٢ – ثلاثة نعوت مفردة : (مفرد + مفرد + مفرد).

٣ – نعتين أحدهما مفرد والآخر جملة، أو شبه جملة.

وقد يتقدم المفرد على الجملة أو شبه الجملة، وقد يتأخر عنها.

فأشكال النعوت التى تقدم فيها المفرد هى :

(أ) مفرد + جملة فعلية.

(ب) مفرد + جملة اسمية.

(جـ) مفرد + شبه جملة.

وصور الجمل التى تأخر فيها النعت المفرد على النعت جملة أو شبهها هى ما يلى :

(أ) جملة فعلية + مفرد.

(ب) جملة اسمية + مفرد.

(جـ) شبه جملة + مفرد.

٤ – ثلاثة نعوت : وقد جاءت كالتالى :

(أ) النعت الأول والثانى مفردان، والثالث جملة فعلية :

مفرد + مفرد + جملة فعلية.

(ب) الأول مفرد، والآخران شبها جملة :
مفرد + شبه جملة + شبه جملة.

(جـ) الأول شبه جملة، والثانى مفرد، والثالث جملة فعلية :
شبه جملة + مفرد + جملة فعلية.

(د) الأول شبه جملة، والثانى مفرد، والثالث جملة اسمية :
شبه جملة + مفرد + جملة اسمية.

٥ - أربعة نعوت مرتبة كالتالى :

(أ) الثانى مفرد، والباقى أشباه جمل :
شبه جملة + مفرد + شبه جملة + شبه جملة.

(ب) الأول شبه جملة والثانى جملة فعلية، والثالث مفرد والرابع جملة فعلية.
شبه جملة + جملة فعلية + مفرد + جملة فعلية.

وسنعمل، الآن، على دراسة أحوال وصيغ النعوت المفردة فى هذه الأنواع بعد أن تحدثنا عن أحوال الجمل الواقعة نعتًا مع النعت المفرد للمنعوت الواحد.

١ - مفرد + مفرد. عدد شواهد النعتين المفردين للمنعوت الواحد ١٤ وقد جاءت صيغ كل من المنعوت والنعتين، كما يلى :

obeikandl.com

المنعوت	نوع النعتين	العدد	الشواهد
نكرة	اسما موصول	١	«أنشِدْنَا كَلِمَتك التى على الشّين التى تقولُ فيها»(١)
	صفة مشبهة على وزن فعيل + اسم فاعل من الثلاثى (مؤنث).	١	«وعَلِىٌّ له سابقةٌ ومحاسنُ كثيرةٌ رائقةٌ»(٢)
نكرة	صفة مشبهة على وزن فَعِيل + غير	١	«وإنَّ فى الجنَّةِ لأَشْرِبةً كثيرةً غيرَ الخمرِ»(٣)
معرفة	صِفة مشبهة على وزن أَفْعَل (جمع) + اسم مفعول مما زاد على ثلاثة أحرف.	١	«وكل هِبْرزىّ من هذهِ الصفْرِ المباركةِ»(٤)
	اسم مفعول من الثلاثى + اسم فَاعِل مما زاد على ثلاثة.	١	«وقد ظهر فى الضيعة المعروفةِ بالنيْرَبِ المقاربةِ لـ«سرْمينَ» رَجُلٌ»(٥)
معرفة	اسم جامد دال على نسب قصدًا + اسم موصول.	٣	«.. كما قال «عدىُّ بنُ زيد» فى الأبيات الصاديةِ التى مضت»(٦) «.. أحق ما روَى عنك «سِيبَويه» فى قصيدتِكَ اللاميةِ التى تمدَحُ بها عبدَ الملكِ بنَ مروَان»(٧)

(١) الرسالة، ص ٢٠٨.
(٢) الرسالة، ص ٤٩٤.
(٣) الرسالة، ص ٣١٠.
(٤) الرسالة، ص ٥٦٨.
(٥) الرسالة، ص ٤٩٦.
(٦) الرسالة، ص ٥٥٢.
(٧) الرسالة، ص ٢٦٢، انظر مثالا آخر فى ص ٣٥٦.

المنعوت	نوع النعتين	العدد	الشواهد
نكرة مضافة إلى معرفة	صفة مشبهة على وزن فعِيل + اسم موصول.	١	«فعزَّ إلهُنَا القديمُ الذى لا يُعْجِزُه تصويرُ الأمانِي وتكوينُ الهواجِسِ فى الظُّنونِ»[١]
	صفتان مشبهتان على وزن فَيْعِل (جمع) + فَاعل (جمع).	١	«وآله الطيبين الطاهرين وسلم»[٢]
	فَعْل + فَيْعِل (كلاهما جمعا).	١	«وعلى عِتْرتِهِ الأَخْيَارِ الطيبين»[٣]
	فَعِيل + فَعِيل	٢	«صيَّرها ربى اللطيفُ الخَبيرُ»[٤]

هناك مثال آخر به نعتان مفردان، أيضًا، لكنه يتميز عن الأمثلة السابقة بكون النعت الأول قد عطف عليه مفرد آخر، قبل وُرود النعت الثانى كما يلى:

(١) الرسالة، ص ٢٧٦.
(٢) الرسالة، ص ٥٨٤.
(٣) الرسالة، ص ٢٥٧.
(٤) الرسالة، ص ٢٥٧.

المنعوت	نوع النعتين	العدد	الشاهد
نكرة مضافة إلى معرفة	اسم فاعل (جمع) + (مفرد، اسم فاعل معطوف على النعت الأول) + اسم موصول.	١	«فيرويه لهم عن أَشْيَاخِ العربِ حَرَشَةِ الضبَابِ فى البِلادِ الكلدَاتِ وجُنَاةِ الكمأةِ فى مغانى البُدَاة **الذين** لم يأكلوا شِيرازَ الألبان ولم يجعلوا الثَّمرَ فى الثِّبان»[1]

يلاحظ أن أغلب النعوت المفردة فى هذا النوع جاءت صفة مشبهة ١٣/٢٨.

وأكثرها جاء مع المنعوت النكرة المضافة إلى معرفة ٨/١٣.

وفيما يلى ننتقل إلى دراسة شواهد النعوت الثلاثة المفردة للمنعوت الواحد.

٢ - مفرد + مفرد + مفرد.

لم ترد فى **الرسالة** ثلاثة نعوت مفردة للمنعوت الواحد، إلا مرة فقط على الصورة التالية:

المنعوت	نوع النعوت	العدد	الشاهد
نكرة	ثلاث صيغ مبالغة على وزن فَعَّال	١	«أَوْ نشرُ مُدَامٍ خَوَّارةٍ، سيَّارةٍ فى القَلَلِ، سَوَّارَة»[2]

(١) الرسالة، ص ١٧٧.

(٢) الرسالة، ص ١٦٨. سارت الخمر فى الرأس: دارت وارتفعت فيه.

٣ - ننتقل الآن إلى الحديث عن النعتين للمنعوت الواحد، أحدهما مفرد والآخر جملة أو شبه جملة. كما قلنا سابقا، قد يتقدم فى هذه الأمثلة النعت المفرد وقد يتأخر، ويبلغ عدد أمثلة كلا الصنفين ٣٤ مثالا.

(أ) أحوال النعتين أولهما مفرد والثانى جملة فعلية :
مفرد + جملة فعلية.

له ١٨ مثالا فى رسالة الغفران، ومن الواضح أن المنعوت فى هذه الأمثلة يأتى نكرة، لأن الجمل لا تقع وصفًا إلا للنكرات :

النعت المفرد	العدد	الشواهد
اسم فاعل :	١	«لو شفعتْ لأحدٍ أبياتٌ صادقةٌ ليس فيها ذِكْرُ اللهِ سُبحانَه لشَفَعَت لك أبياتُك»[١]
- من الفعل الثلاثى		
- مما زاد على ثلاثة	٣	«وإنَّما أَفْرقُ من وُقُوع هذه الرسالةِ فى يد غُلامٍ مُتَرَعْرِع ليسَ إلى الفهم بمتسرِّع»[٢]
اسم مفعول :	٢	«أنَّ تَغريدَه فى السَّحَرِ أشعارٌ موزونةٌ تأذَنُ لنظيرها المحزونةُ»[٣]
- من الفعل الثلاثى		
- مما زاد على ثلاثة	١	«ولم أترُكْ وزنًا مقيَّدًا ولا مُطْلَقًا يجوزُ أن يوسَم بـ«زُفَر»إلا وسمتُه به»[٤]
صفة مشبهة على وزن :	٢	
- فَعِل		«وما يُؤْمنني إذا ركبت طِرْفا زَعِلًا رتَع فى رياض الجنةِ فآضَ من الأشَرِ مُستعِلا»[٥]
- فَعِيل	٢	«وهذا قولٌ يَنْتَقِضُ لأن فى هذه (الطائيَّةِ)

(١) رسالة الغفران، ص ٣٢٨.
(٢) رسالة الغفران، ص ٣٨٢ انظر، المثالين الآخرين، فى ص ١٩٨، ٤٢٩.
(٣) رسالة الغفران، ص ٣٩٠، المثال الآخر فى ص ٥٦٠.
(٤) رسالة الغفران، ص ٢٥١.
(٥) رسالة الغفران، ص ١٩٥ انظر المثال الآخر فى ص ٢٤٠.

النعت المفرد	العدد	الشواهـــد
(مؤنثة) - فَعْلَاء (مؤنث أفعل) اسم تفضيل : لفظ آخر		أبياتًا كثيرةً لا تخلو من زحافٍ»[١]
	٢	«ولو سُئِل أمةً عَوراءَ، يُعَوَّضُ منها فى الآخرة بِحَوراء، لَمَا فَعَل»[٢]
	٣	«وانصرفتُ بأَمَلِي إلى خَازن آخَرَ يُقالُ له زُفَر»[٣]
	٢	«فإذا هم بأبياتٍ ثلاثةٍ، ليس فى الجنةِ نظيرُها بهاءً وحسنًا»[٤]

(ب) النعتان أولهما مفرد، والثانى جملة اسمية :
مفرد + جملة اسمية.

وردت له ٤ شواهد.

النعت المفرد	العدد	الشواهد
اسم فاعل من الثلاثى	١	«ويحضُر المجالسَ أُناسٌ طَاغُون كأنَّهم للرشَدِ باغون»[٥]
صفة مشبهة على وزن فَعِيل (مؤنث)	٢	«وعندَهُ شجرةٌ قميئةٌ ثمرُها ليس بِزَاكٍ»[٦]

(١) رسالة الغفران، ص ٣٦٩ انظر المثال الآخر فى ص ٤٧٦.
(٢) رسالة الغفران، ص ٥٢٨، انظر المثال الآخر فى ص ٣٧٣.
(٣) رسالة الغفران، ص ٢٥١، انظر الأمثلة الأخرى فى ص ٢٥٥.
(٤) رسالة الغفران، ص ٢٦٧، انظر مثالاً آخر فى ص ٤٨٣.
(٥) رسالة الغفران، ص ٤٦٥.
(٦) رسالة الغفران، ص ٣٠٧، انظر مثالاً آخر فى ص ١٤٠.

obeikandl.com

النعت المفرد	العدد	الشواهـد
اسم جامد دال على نسب قصدًا	١	«ويَعمِدُ لِعلجٍ وحْشيٍّ ما التَّلَفُ عِنده بمخشى[١]

(جـ) النعتان أولهما مفرد والثانى شبه جملة :

مفرد + شبه جملة

جاءت لهذا النوع ٤ أمثلة :

النعت المفرد	العدد	الشواهـد
صفة مشبهة على وزن :		
- فَعِيل	١	«فتحْضُر جَماعةٌ كثيرةٌ من رجالٍ ونساء»[٢]
- أَفْعَل	١	«إنَّ رُوحِى قد نُقِلَتْ إلى جملٍ أعورَ فى قِطار فُلان»[٣].
اسم تفضيل : لفظ آخر	١	«وحُكىَ لِى عن رجلٍ آخرَ ممن يَقُول بالتناسِخ أَنَّهُ قال»[٤]

وفيما يلى الأمثلة التى تأخر فيها النعت المفرد عن الجملة أو شبه الجملة :

(أ) نعتان أولهما جملة فعلية والثانى مفرد :

جملة فعلية + مفرد

له مثال واحد فقط :

(١) رسالة الغفران، ص ١٩٨.
(٢) رسالة الغفران، ص ٢٧٢.
(٣) رسالة الغفران، ص ٤٦٩.
(٤) رسالة الغفران، ص ٤٦٩.

obeikandl.com

النعت المفرد	العدد	الشاهـد
صفة مشبهة على وزن فَعْل	١	«ولا لفظٍ يُسْتَحْسَنُ عَذْبٍ»[١]

(ب) نعتان أولهما جملة اسمية والثانى مفرد :

جملة اسمية + مفرد

وله مثال واحد فقط :

النعت المفرد	العدد	الشاهـد
اسم جامد دال على نسب قصدًا	١	«فتلعبُ فيها أسماكٌ هي على صُور السَّمَكِ بحرِّية ونَهرية وما يسكُنُ منه فى العيون النَّبْعِيةِ»[٢]

(جـ) نعتان أولهما شبه جملة والثانى مفرد :

شبه جملة + مفرد

وله ٦ أمثلة :

(١) رسالة الغفران، ص ٣٧٥.

(٢) رسالة الغفران، ص ١٦٨.

obeikandl.com

النعت المفرد	العدد	الشواهد
اسم فاعل من الفعل الثلاثى	٢	« . . وثوبًا من الدعةِ ضافيًا »[١].
اسم مفعول من الفعل الثلاثى	١	« ولا يَمتنعُ أن يكون أعَدَّ له شيئًا من المطاعمِ مسمومًا »[٢].
صفة مشبهة على وزن :		
- فَاعِل (جمع)	١	« وإنَّما كانتْ تَخْطِرُ بهم أطيفال منًّا عارِمُون »[٣]
- فَعِيل (مؤنث)	١	« فإذا هو بامرأةٍ فى أقصى الجنة قريبةً من المطَّلعِ إلى النارِ »[٤].
لَفظ شبيه بالمشتق : غير	١	« وكلُّ قصيدةٍ لِلْعَرَبِ غيرها على هذَا القَرِى »[٥]

من التحليل السابق نعلم أن أغلب صيغ النعت المفرد، فى شواهد النعت بمفرد وجملة أو شبه جملة للمنعوت الواحد، جاءت صفة مشبهة، إذ يبلغ عددها ١٣٤ .

وفيما يلى نتطرق للحديث عن شواهد النعوت الثلاثة للمنعوت الواحد.

٤ - قلنا إن أبا العلاء قد يأتى للمنعوت الواحد بثلاثة نعوت تتنوع ما بين مفرد، وجملة، وشبه جملة، مرتبة حسب الأشكال التالية :

(أ) النعتان : الأول والثانى مفردان، والثالث جملة فعلية :

مفرد + مفرد + جملة فعلية

له مثال واحد فقط :

(١) رسالة الغفران، ص ٥٧٤، انظر مثالا آخر فى ص ٣٧٧.
(٢) رسالة الغفران، ٤٢٤.
(٣) رسالة الغفران، ص ٢٩١.
(٤) رسالة الغفران، ص ٣٠٨.
(٥) رسالة الغفران، ص ٣٦٩.

النعتان المفردان	العدد	الشاهـد
صفتان مشبهتان على وزن فعلاء	١	«فتخرجُ منها جارية حوراءُ عَيْناءُ تَبْرَقُ لِحُسنِها حوريَّات الجِنَان»[١]

(ب) ثلاثة نعوت، أولها مفرد، والثانى والثالث شبها جملة :
مفرد + شبه جملة + شبه جملة

له مثال واحد :

النعت المفرد	العدد	الشاهد
صفة مشبهة على وزن فَعِيل	١	«اجتمع من آل أَبي طالب خَلقٌ كثيرٌ من ذكور وإناثٍ ممن لم يَشْرَبْ خمرًا ولا عَرف قَط منكرًا»[٢] .

(جـ) ثلاثة نعوت، أولها شبه جملة، وثانيها مفرد، والثالث جملة فعلية :
شبه جملة + مفرد + جملة فعلية .

تردد مجىء ذلك فى ٤ شواهد :

(١) رسالة الغفران، ص ٢٨٨ .
(٢) رسالة الغفران، ص ٢٥٨ .

النعت المفرد	العدد	الشواهـد
اسم فاعل من الفعل الزائد على ثلاثة	٢	«وسعُدٌ من اللبن متخَرِّقات لا تُغيرُ بأَنْ تطولَ الأوقاتُ»[١].
اسم مفعول مما زاد على ثلاثة	١	«والحوف أُزَيرٌ من أدم مشقوقُ الأطراف السافلة تتَّزِرُ به الجاريةُ وهى صغيرة»[٢].
صفة مشبهة على وزن أَفْعَل	١	«ويكونُ الواسطةُ بَيْنَهُ وبينَ الناسِ خادمًا له أَسْوَدَ قد سماهُ جبريل»[٣].

(د) ثلاثة نعوت، أولها شبه جملة، والثانى مفرد، والثالث جملة اسمية:
شبه جملة + مفرد + جملة اسمية

له شاهد واحد:

النعت المفرد	العدد	الشاهـد
صفة مشبهة على وزن فَعِيل	١	«غُرِسَ [...] بذلك الثناءِ شجرٌ فى الجنةِ لذيذُ اجتناء كل شجرةٍ منه تأخذ ما بين المشرقِ إلى المغرب بظل غاط»[٤]

ومن الملاحظ فى هذه الشواهد:

١ - أن أغلب صيغ النعوت المفردة جاءت صفة مشبهة إذ تبلغ ٩٨٪ من مجموع النعوت المفردة فى هذا الصنف.

(١) رسالة الغفران، ص ١٤١، انظر مثالاً آخر فى ص ٤٨٨.
(٢) رسالة الغفران، ص ٤٩٦.
(٣) رسالة الغفران، ص ٤٣٩.
(٤) رسالة الغفران، ص ١٤٠.

٢ - أن النعت المفرد قد تأخر عن النعت شبه الجملة فى مثالين.

وفيما يلى نسوق شواهد من الرسالة جاءت فيها أربعة نعوت للمنعوت الواحد.

(هـ) أربعة نعوت للمنعوت الواحد، جاء أحد هذه النعوت مفردًا، ورتبته بالنسبة للنعوت الأخرى كما يلى:

(أ) أربعة نعوت ثانيها مفرد، والباقى كله أشباه جمل:

شبه جملة + مفرد + شبه جملة + شبه جملة

له مثال واحد فقط:

النعت المفرد	العدد	الشاهـد
صفة مشبهة على وزن: فَعِيل	١	«وأبو الطيب اللغوى [...] له كتابٌ فى (الاتباع) صغيرٌ على حروف المعجمِ فى أيدى البغداديين»[١]

(ب) أربعة نعوت، أولها شبه جملة والثانى جملة شرطية والثالث مفرد، والرابع جملة فعلية:

شبه جملة + جملة شرطية + مفرد + جملة فعلية

جاء له مثال واحد:

النعت المفرد	العدد	الشاهد
اسم مفعول من الفعل الزائد على ثلاثة أحرف	١	«.. سحابةً كَأَحْسَنِ ما يَكونُ من السحُبِ مَنْ نَظَر إليها شَهد أنه لَمْ يَرَ قط شيئًا أحسَنَ مِنها مُحلاةً بالبرق فى وسَطِها وأطرافِها، تُمطر بماءِ وردِ الجنة من طلٍّ وطشٍّ وتنشرُ حصى الكافورِ كأنهُ صِغارُ البَرَدِ»[٢].

(١) رسالة الغفران، ص ٥٥٠.

(٢) رسالة الغفران، ص ٢٧٦.

الخلاصـــة :

من دراستنا لأحوال النعت الحقيقى وصيغه نستطيع أن نرسم جدولاً يلخص النتائج الإجمالية لصيغ النعت المفرد، سواء كان منفردا عن غيره من النعوت، أم كان مع نعت أو نعوت أخرى، وذلك مع كل من المنعوت النكرة والمنعوت المعرفة، والنكرة المضافة إلى ما يكسبها التعريف، وهدفنا من ذلك أن نكشف عن ميل أبى العلاء إلى نوع أو أنواع خاصة من الصيغ التى يجعلها صفات.

النعت	المنعـــوت		نكرة مضافة إلى ما يكسبها التعريف	النتائج العامة
	النكرة	المعرفة		
اسم فاعل	١٢	١٢٨	١٤	١٥٤
اسم مفعول	٥	٧٧	١٠	٨٢
صفة مشبهة	١٨	٣١	١٦	٦٥
صيغة مبالغة	٣	٨	٢	١٣
اسم تفضيل	٤	١٢	٢	١٨
اسم موصول	٢	١٠٥	٣٤	١٤١
اسم إشارة	٠	٤	١	٥
عـــدد	٢	١٩	٣	٢٤
ذو المضافة	٠	١٤	١	١٥
غـــير	٢	٢	٠	٤
فعلليل	١	١	٠	٢
اسم جامد	٢	٣	٢	٧

نستنتج من الجدول السابق أن صيغة اسم الفاعل تحظى بأكبر نسبة. فعدد مرات ورودها نعتاً يزيد على ثلث مجموع النعوت المفردة (١٥٤/٥٣٠)، ويليها فى ذلك اسم الموصول (١٤١)، ثم اسم المفعول (٨٢)، فالصفة المشبهة (٦٥).

محاولة تعليل ذلك.

اسم الفاعل :

يمكن أن نَعزو كثرة ورود الصفات المفردة فى صيغة اسم الفاعل إلى طبيعة مضمون رسالة الغفران التى اقتضت ذلك. فأبو العلاء أكثر ما يصف من الأشياء هو الفاعل منها، يعنى المتلبس بالقيام بالفعل، ثم إنه يصفه فى لحظة تلبسه بهذا الفعل العرضى الذى قد يزول بانقضاء فترة الوصف أو بعدها بقليل، أو على الأقل يكون وصفه ذاك غير ثابت بثبوت الذات الصادر عنها.

وقد نجد مصداق قولنا هذا فى ما سقناه من شواهد النعت الواقع اسم فاعل، ويكفى أن نلقى نظرة متفحصة على تلك الشواهد لنجد مثلا :

«إوزة طائرة» و«النحل الغادية» و«النفس الكاذبة» و«الخليل المخلص» و«المقال المطرب» و«الخطاب الرائق» و«أناس طاغون» و«غلام مترعرع».

إن الطيران، والغدو، والكذب، والإخلاص، والطرب، والصدق، والطغيان، والترعرع، كلها صفات تلزم موصوفاتها تلك، لحظات، أو زمناً معيناً، ثم تزول عنها، وليس لها من الدوام والاستمرار، ما يطالب صاحبنا بأن يختار لها من الصيغ ما يفيد ذلك.

وحيث إن جل ما جاء من موصوفات عالم الغفران، ينبنى أساساً على الخيال، وأن المقام مقام خلق وابتكار، فإن أبا العلاء اختار لأغلب موصوفاته من الصيغ صيغ اسم الفاعل، إذ كان يعلم مسبقاً أن أوصافه تلك عرضية ليست راسخة، لأن جنته خيالية ونفسها عرضية اختارها لتناسب المشاهد التى ينسقها لروايته.

اسم المفعول :

قد نعلل ظاهرة انتشار صيغ اسم المفعول بالتعليل السابق، مع فرق أن المقام فى الوصف بصيغة اسم المفعول يختلف عن الوصف بصيغة اسم الفاعل فى كون المنعوت هنا لم يكن هو الفاعل وإنما اكتسب صفة كان تحقيقُها خارجاً عن إرادته

أى لم تصدر عنهُ هو، وهذه الصفات، هى أيضاً عرضية ليست ثابتة مثل:

«أشعارٌ موزونة»، «وزناً مُطلقا ولا مقيدا» و«كتاب معروف» و«القصر المشيد» و«سحابة محلاة» و«الأشربة المنسوبة إلى..».

ولا شك أن هذه الصفات مما يمكن أن يستمر زمنًا ثم يزول.

اسم الموصول:

لعل اعتماد أبى العلاء على اسم الموصول فى ١٤١ مثالا، كان طريقاً آخر للوصول إلى الوصف بما يدل عليه اسم الفاعل كما فى قوله:

«ولم تكُن فى النسخة التى فى دار العلم» (أى، الموجودة فى دار العلم).

أو لما يدل عليه اسم المفعول نحوه:

«قد علم الجبرُ الذى نسب إليه جبرئيل» (أى المنسوب إليه).

«ولو أن أحدَ لصوص العرب الذين رويت لهم الأمثالُ السائرة» (أى المروى لهم).

ويبدو لنا أن تواتر مجىء اسم الموصول، صفة فى الرسالة، هو من ميزات لغة أبى العلاء كأعمى، فكأنه يتخذ اسم الموصول سنداً أوَّليًّا يستريح إليه، قبل أن يأتى بالصفة التى يريد إثباتها للموصوف، وإلا فله من صيغ اسم الفاعل واسم المفعول، والأسماء المنسوبة والمصادر.. مجالاً رَحْباً، خصوصاً وهو الفقيه المتضلع فى اللغة.

الصفة المشبهة:

إذا أمعنا النظر فى شواهد النعت المفرد الواقع صفة مشبهة وهى كما نطقت الأرقام تحتل الدرجة الرابعة (عدد مرات ورودها ٦٥)، فإننا نسجل أن أبا العلاء يستعمل الصفة المشبهة نعتاً:

١ - لله سبحانه، كقوله: الله العزيز، القادر، العظيم، اللطيف، الخبير.

٢ - لمرافق الجنة وحورها :

«شجرة قميئة» و «الحُور الحسان» و «طِرفا زَعلا» و «جارية حوراء عيناء».

فالمقام فى الجنة مقام الأشياء الثابتة القارة، التى جاء بها القرآن ولا شك فى قيامها وثبوتها.

٣ - للرسل والصحابة :

«آله الأخيار الطيبين»

٤ - للكائنات الدنيوية التى يعتبر تلبسها بتلك الصفات دائماً ومستمرا لا يزول إلا بزوال الذوات نفسها كما فى قوله :

«جمل أعور» و «أمة عوراء» و «طُود أشم» «صلا أرقم» «ركودا صماء» «حية رقشاء».

فالعور والشمم بالنسبة للجبل، والرقم للصل، والصمم كلها صفات ثابتة غالباً.

ماذا نستخلص؟

من خلال هذا التحليل يبدو، واضحاً أن أبا العلاء فى اختيار صيغ نعوته المفردة لم يخرج عما وضعت له تلك الصيغ فى الاستعمال العربى الفصيح كما أن ورود صيغ متواترة، أكثر من غيرها شىء اقتضته مضامين **الغفران** ومشاهد القص والحوار فى عالم خاص من نوعه عالم أخروى، وهو بذلك لم يأت بجديد فى تلك الاستعمالات. وإن كنا نُسجل قدرته على حسن الاختيار وتوفيقه فى أن يجعل لكل مقام ما يناسبه من الصيغ.

تلك خلاصة تحليل شواهد النعت المفرد الحقيقى، فى رسالة **الغفران**، ولايفوتنا فى نهاية هذا الفصل أن نثبت ملاحظة تخص النعت السببى وموقف أبى العلاء منه.

النعت السببى فى الغفران :

من الإحصاء الدقيق الذى قمنا به للنعوت الواردة فى الرسالة ظهر لنا أن النعت

السببى حظى بنسبة ١٪ فقط من مجموع النعوت. إذ لم نعثر إلا على شاهد واحد، فى جملة بها أربعة نعوت سببية لمنعوت واحد. يقول أبو العلاء:

«إذْ كَان كالشَّجَرَةِ **الوارفِ** ظلالُها فى الهواجِرِ، **والبارِد** هواؤها فى ناجر، **والطيبِ** ثَمرُها للذائق، **والأرجِ** نسميها للناشِق»[1].

إن ندرة مجىء هذا النوع من النعوت فى الرسالة، ليست غريبة فى الأسلوب العربى، فالنعت السببى عموماً، أقل استعمالا من النعت الحقيقى. لكن هل يمكن أن نستنتج من ورود هذا المثال فريداً استثقال أبى العلاء لهذا النوع ونفور ذوقه منه، أم أن ذلك وليد الصدفة فحسب؟

ذاك خلاصة ما توصل إليه البحث فى دراسة النعت فى رسالة الغفران. وحيث إن الجمل العلائية، تمتد داخليًا بما تضمه من بعض القيود **والتراكيب غير المستقلة** كالنعت كما رأينا من خلال هذا الفصل، وكذلك ببعض **التراكيب** المستقلة وعلى رأسها الجمل الدعائية، لذا سيتصدى الفصل التالى لهذا النوع من الجمل فى الغفران وتبيان خصائص الاستعمال العلائى له.

---

(١) الرسالة، ص ٥٠٠-٥٠١.

الفصل الخامس

الجمل الدعائية

مما يثير انتباه الدارس لرسالة الغفران، أيضًا، ظاهرة انتشار الجمل الدعائية فيها، وقد لفت ذلك نظر بعض الدارسين[1]، غير أنهم اكتفوا بالإشارة إلى كثرتها وتنوعها.

سبق أن تعرضنا لهذه الجمل، فى الفصل المتعلق بدراسة الجمل الفعلية والجمل الاسمية.

ونظراً لما تستحقه من اهتمام ها نحن نعود إليها من جديد لنفصل القول.

إن كثرة الجمل الدعائية فى رسالة الغفران، تجعلنا نتساءل عن السبب الذى دعا أبا العلاء إلى المبالغة فى إيرادها.

فهل كان المعرى، وهو يتفنن فى اختيار جمله وتدفقها، يرمى إلى إظهار طواعية اللغة العربية له، وإلى المبالغة فى التطاول على ابن القارح، وتحديه؟

قد يكون، فكما لاحظنا، لم يجد أبو العلاء فرصة للتفاخر بثروته اللغوية إلا استغلها. بل كثيرًا ما كان يختلق الفرص لذلك.

فلا غرابة، إذن، أن تشيع الجمل الدعائية فى رسالة الغفران، وألاَّ تمر صفحة أو صفحتان دون أن نجد جملة دعائية أو أكثر، خصوصًا فى الفصل الأول. ولا غرابة، كذلك، أن يحمل أبو العلاء جمله الدعائية شتى المعانى ومختلف المتمنيات.

هذا ما جعلنا نعير هذه الجمل اهتمامنا، ونحاول دراسة مضامينها وهندسة

---

(١) من هؤلاء نذكر أمجد الطرابلسى فى كتابه، «النقد واللغة فى رسالة الغفران»، انظر، ص ٣١.

كلماتها، علنا نستخلص من خلال ذلك، بعض ميزات الأسلوب العلائى فى الرسالة.

أولاً: مضامين الجمل الدعائية:

أشرنا سابقًا إلى أن عدد الجمل الدعائية فى الغفران، يبلغ ١١٩، وقد تنوعت مضامينها تنوعًا كبيرًا، وخاصة فى الجمل التى يدعو فيها أبو العلاء لابن القارح، وعددها ٩٥.

يتمنى صاحبنا لمراسله دوام السرور:

«لا زالَ فى الغبطة والسرور»[١].

«عمَّرهُ الله بِالسرور»[٢].

ويدعو له ببلوغ الأمانى:

«بلَّغهُ الله الأمَانِي»[٣].

كما يتمنى للآداب أن تأنس، وللعلم أن يثبت، وللمحافل أن تزدهر، كل ذلك بحضور ابن القارح وطول عمره، فيقول:

«آنسَ الله الآدابَ ببَقائِه»[٤].

«ثبَّتَ الله أرْكَانَ العِلم بِحَياتِه»[٥].

«أكملَ الله زِينةَ المَحافِل بحُضُوره»[٦].

ولعل حب أبى العلاء للآداب وغرامه باللغة، جعلاه يدعو ويكرر أمانيه فى الرفع من شأنها، خلال دعواته لابن القارح. ولسنا ندرى استهزاءً بمراسله، أم تحديا له، أم هما معًا؟ على أنه قد لا يكون هذا ولا ذاك، وإنما هو مجرد الزخرف فى الأسلوب وتنويع العبارات يقول:

---

(١) الرسالة، ص ٣٠٤.
(٢) الرسالة، ص ٣٧٠.
(٣) الرسالة، ص ٢٤٣.
(٤) الرسالة، ص ٤٠٧.
(٥) الرسالة، ص ١٣١.
(٦) الرسالة، ص ١٧٩.

«فرَّغَ الله ذِهنه للآداب»[١].

«خلَّد الله ألفاظَهُ فى دِيوان الأدَبِ»[٢].

ولا ينسى أبو العلاء أن يدعو لصاحبه بالوقاية من كل شر:

«جنَّبهُ الله المكارِهَ»[٣].

«غُطى شَخْصُه أن يُلحَظ بِنَواظِر الغير، ومتِّعَ مِنْ مَال بحير»[٤].

كما لا يغفل أن يدعو له بالتوبة والمغفرة. ألم يقر ابن القارح، فى رسالته، بما ارتكب من ذنوب؟ ألا تقتضى مشاهد **الغفران** أن ينال ابن القارح حظه من **الغفران** فيدعو له المعرى؟

«أعظمَ الله حَظَّهُ فِى الثَّواب»[٥].

«أجزل الله عطاءَه من **الغفران**»[٦].

ولم يفت أبا العلاء، وهو الخبير المجرب، أن فى الدنيا الغرارة أناس لا يحبون الخير لغيرهم، فيحقدون ويمكرون، فما من أحد إلا وله حسدة، لذلك نراه يدعو على أعداء ابن القارح، فى تسع جمل، وينزل بهم وبيل شتمه. يقول:

«أحلَّ الله الهلكَة بِمُبْغِضيه»[٧].

«أرغم الله حاسِده»[٨].

تلك نظرةٌ مجملة عن مضامين الجمل الدعائية التى تتعلق بابن القارح.

فهل نجد بالرسالة جملًا أخرى غيرها؟

---

(١) الرسالة، ص ٣١٤.

(٢) الرسالة، ص ٣٤٦، انظر فى نفس المعنى، الجمل الدعائية بالصفحات: ٢٣٦، ٢٨٠، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٩٩.

(٣) الرسالة، ص ٢٣٣.

(٤) الرسالة، ص ٢٣٧ - حير: كثير.

(٥) الرسالة، ص ٢١٧.

(٦) الرسالة، ص ٣٥٩، انظر، فى نفس المعنى، جملًا أخرى بالصفحات: ٢٠٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٥٢١.

(٧) الرسالة، ص ٣٤٧.

(٨) الرسالة، ص ٢١٧. انظر الجمل الأخرى بهذا المعنى، فى ص ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٤١، ٣٧٧، ٥٢٣.

لقد شكا ابن القارح إلى أبى العلاء، نكرانه «حلب»، حين وردها بعد غيبة جعلته يفقد، بها، المعرفة والجار، فبكاها. وقد صادفت الشكوى عند أبى العلاء هوى بحلب ملك قلبه:

«إنها الأمُّ البرة، تُعْقَدُ بِها المسَرَّةُ»[١].

لذا، غالبًا ما يدعو لحلب، كلما ذكرها. والملاحظ هو ترديد أبى العلاء لجملة: «حرسها الله»، بنفس اللفظ والتركيب (٨ مرات)[٢] ويستعمل مرة واحدة «حماها الله»[٣].

إن الجملتين معًا جاءتا معطوفتين فى رسالة ابن القارح، دعاءً لحلب حيث قال:

«وردت حلبَ حَرسها الله وحماها، بعدَ أن مُنِيتُ بربضها بالدرخمين»[٤].

ذَاك كان نصيب «حلب» من أدعية أبى العلاء. فهل من نصيب لبعض الأموات من الأنبياء والصحابة والعلماء؟

إن تعلق أبى العلاء بمحمد ﷺ، يبدو واضحاً فى رسالة الغفران، رغم ما يرمى به صاحبنا من طعن فى النبوة. فقد اعتبر المعرى الصلاة على نبى الإسلام من أسباب الفلاح، دنيا وآخرة. يقول على لسان ابن القارح:

«إنِّى كنتُ أخْلِصُ الدعاءَ فى أعْقابِ الصلواتِ»[٥].

فلعل ذلك ما جعل المعرى، كلما ذكر نبيًّا من الأنبياء، وعلى رأسهم محمد[٦] وإبراهيم[٧]، صلى عليه:

---

(١) الرسالة، ص ٤٠٧.

(٢) انظر ص ٢٥٦، ٣٩٣، ٤٠٢، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥١٨، ٥٨٠.

(٣) انظر، الرسالة، ص ٤٠٧.

(٤) الرسالة، ص ٢٤.

(٥) الرسالة، ص ٢٤١، انظر، كذلك فى نفس المعنى، عبارة وردت بصفحة ٢٥٧.

(٦) الرسالة، ص ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩. مثلاً.

(٧) انظر ص ٢٥٦، ٢٥٩.

«صلى الله عليه». وكان يصلى على عَلِيّ بن أبى طالب، ويدعو له بالسلام: «عليه السلام»[١].

ويصلى على فاطمة الزهراء: «صلى الله عليها»، و«عليها السلام»[٢].

إن قصة الحشر التى ساقها أبو العلاء، على لسان ابن القارح، مليئة بمثل تلك الدعوات[٣]. وقد غفلنا عن إحصائها لأننا لم نتبين فى ذلك فائدة. كما غفلنا عن إحصاء الجمل الترحمية التى ذكرها أبو العلاء، بصدد حديثه عن بعض الفقهاء «كالحسن البصرى رحمه الله»[٤]، وأبى بكر الشبلى[٥]. وهذا النوع من الأدعية يكثر فى الفصل الثانى من الغفران، حيث يجيب أبو العلاء على أسئلة مراسله، ويتصدى للحديث عن بعض العلماء.

لم يكن نصيب «إبليس» من تلك الأدعية، مُغْفَلاً إن إبليس «عدو الله وعدو أوليائه»[٦]، وعدو أبى العلاء. لذا نال حظه وافيا، فخصه بلعناته ولعنات الخالق كلها لفظه لسانه:

«فيرى إبليس - لعنه الله - وهو يضطرب فى الأغلال..»[٧]، «فيقول (إبليس) عليه اللعنة؟ الم تُنْهوا عن الشماتِ، يا بَنِي آدم»[٨].

«عليه التبار»[٩].

* * *

هكذا سعى أبو العلاء إلى تنويع مضامين الجمل الدعائية، تبعًا للمواقف التى يوجد فيها ابن القارح، إذ كان يختار لكل موقف ما يلائمه لفظًا ومعنى. لكن هذا لم يمنع من أن نجد، بالرسالة جملاً متقاربة لفظًا ومعنى وصياغة، مثل قوله:

---

(١) انظر، ص ٢.
(٢) نفس الصفحة، وص ٢٥٧-٢٥٩.
(٣) انظر، من ص ٢٤٨ إلى ٢٦٢.
(٤) الرسالة، ص ٣٦٧.
(٥) الرسالة، ص ٥٨٢، انظر، أمثلة أخرى فى ص ٣٦٧، ٥٢٩، ٥٣٢.
(٦) الرسالة، ص ٣٠٩.
(٧) الرسالة، ص ٣٠٩.
(٨) الرسالة، ص ٣٥٠.
(٩) الرسالة، ص ٤٩٠.

«أنطقه الله بكل فضل»[١].

«لا فتىً ناطقًا بالصواب»[٢].

«وهو بالقول مُنْطق»[٣].

«لا زال مُنْطَقًا بالسدَدِ»[٤].

فالمادة، (ن. ط. ق) توجد فى الجمل الأربع الأخيرة، وإن اختلفت صيغها. فقد جاءت:

- فى الجملة الأولى: فعلاً ماضيًا متعدِّيًا بالهمزة.
- فى الجملة الثانية: اسم فاعل.
- فى الجملتين الثالثة والرابعة: اسم مفعول.

ونلاحظ أن حدث النطق يتعلق، فى جميع الأحوال، بابن القارح.

ونجد كذلك تكرارًا لبعض العبارات، بلفظها وتركيبها، فى ثلاث جمل أو أكثر.

---

(١) الرسالة، ص ٢٤٨.

(٢) الرسالة، ص ٢٧٢.

(٣) الرسالة، ص ٢٧٦.

(٤) الرسالة، ص ٢٧٩، انظر أمثلة أخرى فى ص٢١٧، ٣٥٩.

obeikandl.com

والجدول التالى يعطينا بعض الأمثلة على ذلك:

عبارات متكررة فى الجمل الدعائية	عدد المرات
« بلغه الله . . . »[١]	٣
« زاد الله . . . »[٢]	٣
« ثبت الله . . . »[٣]	٥
« أعلى الله . . . »[٤]	٢
« آنس الله . . . »[٥]	٣
« أيد الله . . . »[٦]پ	٤
« لازال . . . »[٧]	٥
« أدم الله . . . »[٨].	١٥
« أدام الله الجمال ببقائه »[٩].	٢
« أدام الله تمكينه »[١٠].	٧

كان هدفنا، من هذه الوقفة، هو التعرف على طريقة أبى العلاء فى اختيار جمله الدعائية. فقمنا بتحليل مضامين تلك الجمل وحاولنا الكشف على مدى ملاءمة كل منها للسياق الذى أتت فيه، وسننتقل، الآن، إلى دراسة تلك الجمل من حيث طريقة تركيبها، وموضع المسند والمسند إليه فى كل واحدة منها.

(١) انظر ص ٢٣٣، ٢٤٣، ٢٤٤.
(٢) انظر ص ١٨٥، ٢٠١، ٢٧١.
(٣) انظر ص ١٣١، ١٨٦، ٢٠٢، ٢٠٧، ٣١٧.
(٤) انظر ص ٢٠٦، ٣١٠.
(٥) انظر ص ٢٨١، ٣٨٢، ٤٠٧،.
(٦) انظر ص ١١٧، ٢٠٦، ٢٦٨، ٥٣٠.
(٧) انظر ص ٢٠٣، ٢٤٠، ٢٩٢، ٣٠٤، ٣٧٥.
(٨) منها، فى ص ١٣٢، ١٨٣، ٥٠٠، ٥٢٩، ٥٥٣، ٥٧٨.
(٩) الرسالة، ص ١٦٨، ٢٧٥.
(١٠) الرسالة، ص ١٥٤، ١٧٥، ٢٠٠، ٣٤٨.

obeikandl.com

ثانيًا : نظام تركيب الجمل الدعائية :

ذكرنا، فى فصل مضى، أن أبا العلاء يستعمل الجمل الفعلية أكثر من الجمل الاسمية، وكانت وسيلتنا فى التعرف على ذلك، استقراء جمل الغفران استقراءً مكننا من تسجيل بعض الملاحظات، وإحصاء بعض النماذج، من بينها الجمل الدعائية. وفى إحصائنا لهذه الأخيرة لم نذكر الأسباب التى دفعتنا لاختيارها، ولم نقف عندها بالقدر الكافى، لذا عقدنا هذا الفصل، وبعد أن تحدثنا فى الجزء الأول منه عن مضامين تلك الجمل، سندرس الآن تراكيبها علنا نستطيع إظهار العلاقة بين المحتوى والقالب، أو بعبارة أخرى، بين مضامين تلك الجمل وهندسة أجزائها.

استخلصنا أن نصيب الجمل الاسمية، فى مجموع الجمل الدعائية جد ضئيل، لا يتعدى خمس عشرة جملة أى ١/٨ . وقد جاءت على صنفين، منها ما يتكون من مبتدأ وخبر، ومنها ما دخل عليه ناسخ من أخوات كان. فالأولى أربع جمل هى :

« عليك البَهْلَة »[١].

« عليه اللعنة »[٢].

« عليه التَّبار »[٣].

« وهو بالقول منطَق »[٤].

إنها من حيث البناء الداخلى، تدخل تحت قسم واحد هو الجمل البسيطة : تتكون من مبتدأ وخبر. والخبر فى الجمل الثلاث الأولى شبه جملة (جار ومجرور) متقدم على المبتدأ، وفى الجملة الرابعة، اسم مفعول، محافظ على رتبته بعد المبتدأ.

ومن الصنف الثانى قول أبى العلاء :

---

(١) الرسالة، ص ٣٤٩.

(٢) الرسالة، ص ٣٥٠.

(٣) الرسالة، ص ٤٩٠.

(٤) الرسالة، ص ٣٧٦.

- «ولا انفكتْ الفوائدُ واصلة منه إلى الجُلساء»[١].
- «لا برح مِنطيقًا بالحكم»[٢].
- «لا فتئَ خصمه مفحمًا»[٣].
- «لا زالت همته عالية»[٤].

ويلاحظ أن الاسم وعلى ابن القارح غالبًا: «لازال فى الغبطة والسرور» على الشكل التالى:

- الناسخ + المسند إليه (ضمير مستتر) + المسند (الخبر جار ومجرور).

ومما جاء فيه الاسم ظاهرًا قوله:

«لازال خَصْمُهُ مغلبًا» على الشكل التالى:

- الناسخ + المسند إليه + ضمير مضاف إليه (يعود على ابن القارح) + المسند (الخبر).

وغالبًا ما يأتى المسند إليه الظاهر مضافًا إلى ضمير متصل للمفرد الغائب، يعود على ابن القارح، كما فى المثال أعلاه.

تلك هى أحوال تراكيب الجمل الاسمية الدعائية.

أما الجمل الفعلية، فيفوق عددها بكثير الجمل الاسمية إذْ يبلغ ١٠١، كما رأينا، وسنقف عندها لإبداء ملاحظات تتعلق ببنائها التركيبى.

يمكن، على أساس البناء الداخلى، تقسيم الجمل الفعلية الدعائية إلى قسمين: الجمل البسيطة، الجمل المركبة.

---

(١) رسالة الغفران، ص ٢٨٠.

(٢) رسالة الغفران، ص ٣١٥.

(٣) رسالة الغفران، ص ٢١٦.

(٤) رسالة الغفران، ص ٢٩٢، انظر الأمثلة الباقية فى ص ٢٠٣، ٢٤٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٩٢، ٣٠٤، ٣٧٥.

١ - الجمل الدعائية البسيطة :

قلنا، إن الجملة البسيطة هى ما تكونت، على الأقل، من تركيب مستقل.

نلاحظ أن جل الجمل الفعلية الدعائية بسيطة.

أيستحسن أبو العلاء الجمل البسيطة لكونها غالبًا ما تأتى معترضة، بين الفعل ومفعوله، وبين المبتدأ وخبره. . . ؟

أم لكونها أبلغ فى التعبير من الجمل المركبة؟

أم لاعتبارات أخرى نجهلها؟

وقد جاءت أفعال هذه الجمل كما يلى :

(أ) ماضية متعدية إلى مفعول به واحد، عدا ثلاث جمل جاءت أفعالها متعدية إلى مفعولين، هى :

«جعلَ الله سمعَه مستودعًا كلَّ الصالحَاتِ»[١].

«أسمعهُ الله مَحَابَّهُ»[٢]، «أورد الله قلبه المحَابَّ»[٣].

(ب) ذكر أبو العلاء لكل الأفعال مفاعيلها، إلا فى خمسة أمثلة وهى :

«جمل الله ببقائه»[٤].

«أصلَح الله بِه وعَلى يَدَيْه»[٥].

«آنس الله بحياته»[٦].

«زاد الله فى أنفاسه»[٧].

(جـ) جميع الأفعال مبنية للمعلوم، إلا فى ثلاثة أمثلة فإنها مبنية للمجهول، وهى :

---

(١) الرسالة، ص ٣٢٤.
(٢) الرسالة، ص ٣٥٠.
(٣) الرسالة، ص ٢١٣.
(٤) الرسالة، ص ٢٠٤.
(٥) الرسالة، ص ٢٣١.
(٦) الرسالة، ص ٢٨١.
(٧) الرسالة، ص ١٨٥، ٢٠١.

«قُضى لَهُ بالسعد المؤرب»[١].

«غُطىَ شَخْصُه أن يُلحَظَ بنَوَاظِر الغِيَر، ومُتِّعَ مِنْ مالٍ بحَيَرٍ»[٢].

(هـ) وأخيرًا إن المسند إليه، فى ١٠٠ جملة، جاء «اسم الجلالة» بلفظة الله، إلا فى مثال واحد، فقد جاء بلفظ «القادر» وهو قوله:

«أمضى القادرُ له اقتراحهُ».

تلك ملاحظات عامة. وننتقل، الآن، إلى دراسة الجمل البسيطة من حيث موضع المفعول فيها.

* * *

نعلم أن للرتبة، فى نظام الكلمات داخل التركيب، دورًا هامًا فى تعيين وظيفة الكلمة وبابها النحوى، وأن من تلك الرتب ما يتعين حفظه سلامة للمعنى، ومنها ما لا يشترط فيه ذلك. وتقرر قواعد اللغة أن من الرتب غير المحفوظة، رتبة الفاعل والمفعول، إذ يجوز تقديم المفعول به على الفاعل، إلا إذا كان ذلك يوقع فى لبس لا نتبين معه أحدهما من الآخر.

كقولنا: «كافأتْ سلمى نجوى»، فى هذا المثال، يتعين أن تكون سلمى فاعلا، لأن رتبة الفاعل أن يلى الفعل.

على أساس موضع المفعول، يمكن تقسيم الجمل الدعائية الفعلية إلى نوعين، الجمل التى حافظ فيها المفعول به على رتبته بعد الفاعل، والجمل التى تقدم فيها المفعول به على الفاعل.

النوع الأول:

يبلغ عدد الجمل التى جاء فيها المفعول به بعد الفاعل ٨٣ جملة، ويخضع نظام كلماتها إلى الترتيب التالى:

---

(١) الرسالة، ص ٣٦٢.

(٢) الرسالة، ص ٣٨٧.

المسند + المسند إليه + المفعول به.

وذلك مثل قول أبي العلاء:

«أَسْكَتَ الله مُجادِله»[١].

وغالبًا ما يأتي المفعول به مضافًا إلى ضمير المفرد الغائب، على هاته الصورة:

المسند + المسند إليه + المفعول به + مضاف إليه (ضمير).

مثلا:

«أعلَى الله دَرَجته»[٢].

وقد يردف أبو العلاء المضاف إلى ضمير بجار ومجرور:

المسند + المسند إليه + المفعول به + مضاف إليه (ضمير) + جار ومجرور.

مثل: «زادَ الله أُمرَهُ من النَّفاذ»[٣].

وقد يأتي المضاف إليه اسمًا ظاهرًا، ويردف المجرور بمضاف إليه (ضمير يعود على غائب).

المسند + المسند إليه + المفعول + المضاف (اسم ظاهر) + جار ومجرور + مضاف إليه (ضمير).

مثل: «أكملَ الله زينة المحافِل بحضوره»[٤].

وأحيانًا يكون المفعول به مضافًا إلى كلمة مضافة بدورها إلى ضمير الغائب المفرد:

المسند + المسند إليه + المفعول به + المضاف إليه (اسم ظاهر) + مضاف إليه (ضمير).

---

(١) الرسالة، ص ٣٧٧.

(٢) الرسالة، ص ٣١٠، انظر أمثلة أخرى في ص: ١٥٤، ١٧٥، ١٨٣، ١٨٦، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢١٧، ٢١٩، ٣٤٨، ٣٧٧، ٥٣٠.

(٣) الرسالة، ص ٢٧١، انظر الأمثلة الباقية في ص ٢٠٧، ٢١٧، ٢٤٦، ٢٦٨، ٢٩٢، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٥٩، ٣٦٠.

(٤) الرسالة، ص ١٧٩، انظر أيضًا ١٣١، ١٣٢، ٣٩٦، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٥٣، ٥٢٩.

مثل: «أرغمَ الله أنف شانئه»[١].

وفى أمثلة أخرى، لا يأتى المفعول به مضافًا، وإنما يتلوه جار ومجرور مضاف إلى ضمير المفرد الغائب:

المسند + المسند إليه + المفعول + جار ومجرور + مضاف إليه (ضمير).

مثل: «أحلَّ الله الهلكة بمُبغضِيه»[٢].

وقد تمتد بعض هذه الجمل البسيطة بعطف اسم على المفعول به، كما فى قوله:

«جعلَ الله الإحسانَ إليه مَرْبُوبًا، ووده فِي الأفئِدَةِ مشبوبًا»[٣].

«جعلَ الله أَمنهُ متَّصِلاً، والطالبَ شأوَهُ مِنْ تَقْصِير مُنتصِلاً»[٤]

وقد يفصل بين الفاعل (المسند إليه) والمفعول به فاصل، غالبًا، ما يكون جارًا ومجرورًا:

المسند + المسند إليه + جار ومجرور + مفعول به + مضاف إليه، أو جار ومجرور.

مثل: «كتب الله له مَثوبةَ المتَّقين»[٥].

والفاصل، دائمًا، هو لام الجر الداخلة على ضمير الغائب المفرد، إلا فى مثال واحد حيثُ حرف الجر هو «على» وقد دخل على اسم ظاهر مضاف إلى اسم آخر، وهو قول المعرى:

«حفظ الله على أهلِ الأدبِ حَوْبَاءه»[٦].

ومرة جاء الفاصل هو العبارة: «تعالى».

«ثَبَّتَ الله تعالى الإحسانَ عَلَيْهِ»[٧].

---

(١) الرسالة، ص ٢٠٥، انظر كذلك ص ٢٠٤.

(٢) الرسالة، ص ٣٤٧، انظر أمثلة أخرى فى ص ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ٢٠٦، ٢٣٦، ٢٧٥، ٣٨٢، ٣٥٠، ٤٠٠، ٤٠٧، ٥٠٧.

(٣) الرسالة، ص ٢٢٤.

(٤) الرسالة، ص ٣٧١.

(٥) الرسالة، ص ٣٧١.

(٦) الرسالة، ص ٢٠٨، انظر، كذلك، ص ٢١١، ٢٦٨، ٣٩٩، ٥١٤، ٥٧٨.

(٧) الرسالة، ص ٢٠٨.

ونبدى ملاحظة أخيرة، هى أن ضمير المفرد الغائب، يأتى، إما مجرورًا، بحرف الجر، وإما مضافًا إليه، ويعود دائمًا على ابن القارح بصفته المدعو له.

النوع الثانى :

يبلغ عدد الجمل البسيطة التى تقدم فيها المفعول به على الفاعل ٢٤ جملة، وقد جاء تنظيم كلماتها على الشكل التالى :

المسند + المفعول به (ضمير المفردة الغائبة) + المسند إليه.

مثل قوله : «حرسها الله»[١].

وهذا النوع من الجمل يشيع، خاصة، فى الجمل الدعائية التى تتعلق بحلب، وفى الجمل الترحمية، وفى التى يدعو فيها أبو العلاء على إبليس، وقد يتلو المسند إليه جار ومجرور :

المسند + المفعول به + المسند إليه + جار ومجرور (اسم ظاهر).

مثل :

«عَمَّرهُ الله بالسرور»[٢].

«أَذكرهُ الله بالصالحاتِ»[٣].

ومن أفعال جمل هذا الصنف ما يتعدى إلى مفعولين، فيأتى المفعول به الثانى وقد فصل عن الأول بالمسند إليه :

المسند + المفعول به الأول (ضمير متصل) + المسند إليه + المفعول به الثانى.

مثل :

«وبلَّغَهُ الله الأَمَانِ»[٤].

تلك هى صور نظام وهندسة الكلمات فى الجمل الدعائية البسيطة، وننتقل

---

(١) الرسالة، ص ٤٩٧.

(٢) الرسالة، ص ٢٧٠.

(٣) الرسالة، ص ٢٧٩، انظر أمثلة أخرى من هذا النوع فى ص٢٤٨، ٣٧٠، ٣٧٧.

(٤) الرسالة، ٢٤٣، وانظر كذلك ص ٢٣٣، ٣٠٧، ٣٤٤.

الآن، إلى دراسة القسم الثانى من الجمل الدعائية فى الغفران، وهو الجمل المركبة.

٢ - الجمل الدعائية الفعلية المركبة :

عرفنا، فيما سبق، الجملة المركبة بكونها ما تألفت من تركيبين أو أكثر من التراكيب المستقلة. وقد يتم الربط بين تراكيبها «بأداة» كما قد يتم بدونها.

فأى أنواع الروابط استعمل أبو العلاء فى جمله المركبة الدعائية؟

لا تتعدى الجمل المركبة العدد ثلاثة، تتألف كل جملة منها من تركيبين مستقلين تربط بينهما أداة الربط (واو العطف) وهى :

- «كَبتَ الله عَدوَّه، / و / أَدَامَ رواحَه إلى الفضلِ وغُدُوه»[١].
- «غُطى شخصهُ أن يُلحَظ بِنواظِر الغِيَر، / و / مُتِّع من مَال بجير»[٢].
- «عمر الله خلدهُ بالجذَلِ، / و / أراح سمعه مِنْ كُلّ عذَل»[٣].

وهذه الجمل، من حيث نظام كلماتها، لا تختلف فى شىء عما رأيناه فى الجمل البسيطة.

الخلاصـــة :

إن الجمل الدعائية فى الغفران، لا تخرج عن كونها اسمية أو فعلية. والاسمية، من حيث بناؤها الداخلى، كلها جاءت بسيطة. أما الفعلية فتنقسم إلى جمل بسيطة وأخرى مركبة، غير أن نسبة المركبة جد ضئيلة، على غير عادة أبى العلاء فى لغة كل الرسالة، فكما رأينا، تطغى الجمل المركبة والجمل التركيبية على الجمل البسيطة، الشىء الذى جعل لغة المعرى تتميز بالامتداد الداخلى فى جملها، وتعكس النفس التركيبى الطويل لمؤلفها.

---

(١) الرسالة، ص ١٢٩.
(٢) الرسالة، ص ٣٨٧.
(٣) الرسالة، ص ٥٠٨.

أما من حيث مضامين الجمل الدعائية، فقد رأينا كيف أجهد أبو العلاء نفسه لتأتى متنوعة، وكم استغل الصيغ المختلفة للفعل الواحد، وللمادة الواحدة، كما استغل تغيير نظام كلمات بعينها، داخل جمل مختلفة، لتعبر عما يدعو به لمراسله (ابن القارح) أو على أعداء مراسله.

وخلاصة القول إن الجمل الدعائية فى **الغفران**، تدل، هى أيضًا، على ما لهذا الرجل الأعمى البصير من باع طويل فى اللغة العربية وقوالبها، وما تتوفر عليه من مرونة فى استعمال الألفاظ والتراكيب، فاستطاع أن يلائم بين مضمون الجمل وقوالبها، وأن يسوقها منسجمة انسجامًا تامًّا مع المشاهد.

obeikandl.com